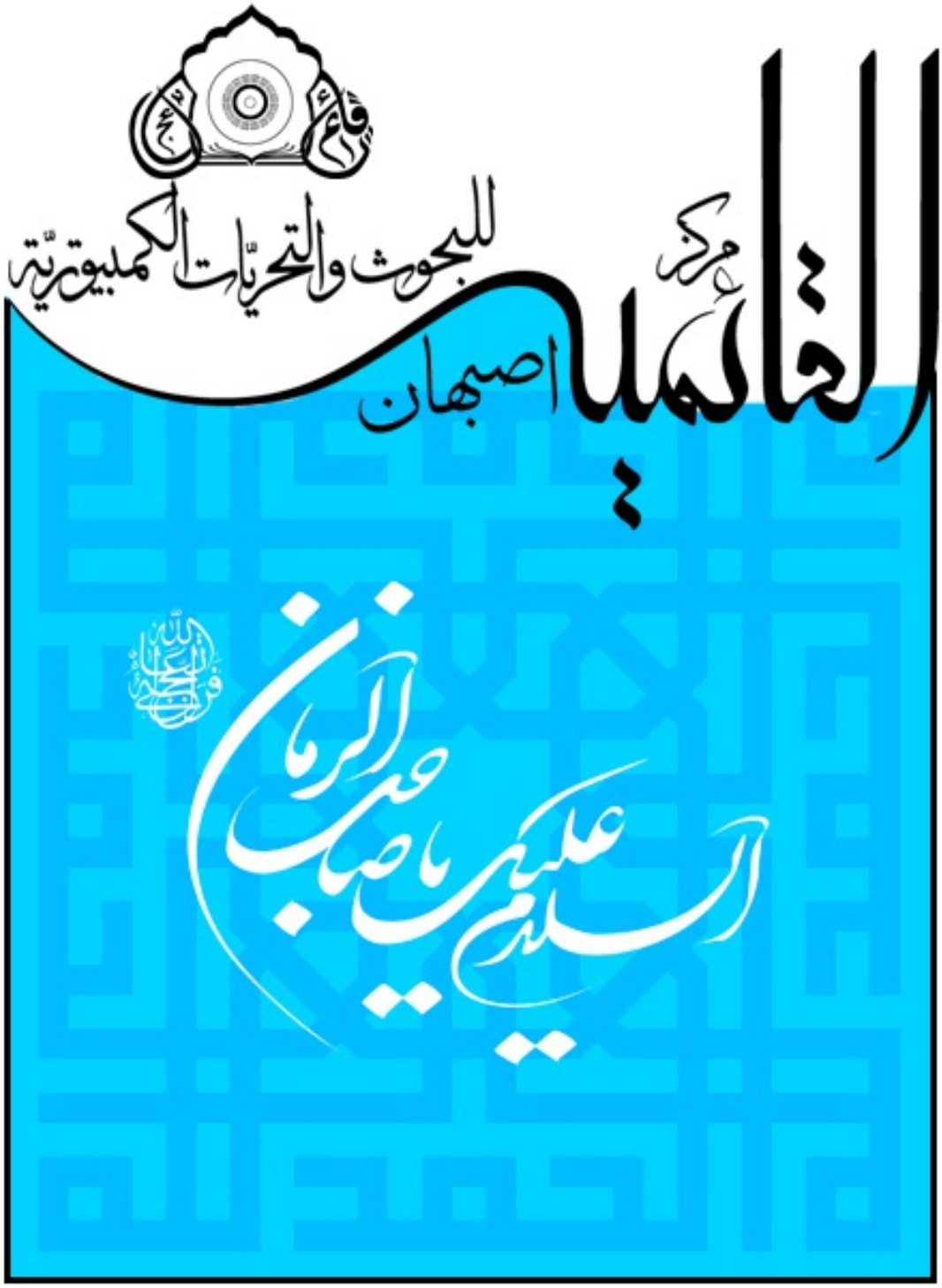

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

وضات

آية الله السيد

محمدرضا الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضات

كاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

بنید القار

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
وَمَضات ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
مقدّمة الناشر ----- ۱۶
محمّدعلیه السلام نبیّ الرحمة ----- ۱۷
محمّدعلیه السلام نبیّ الرحمة ----- ۱۷
مقدّمة ----- ۱۷
الرحمة فی النصوص الإسلامیة ----- ۱۷
کیف یکون نبیّناعلیه السلام رحمة للعالمین؟ ----- ۱۸
لا منافاة بین الرحمة والعقوبات الإسلامیة ----- ۱۸
وظیفتنا تجاه الإسلام ----- ۱۹
الزهراء ?الفیصل والقدوة ----- ۲۱
الزهراء ?الفیصل والقدوة ----- ۲۱
۱) الزهراء ?فیصلاً ----- ۲۲
مقدمة فی تقییم الأفکار ----- ۲۲
مقدمة ثانیة: فی تقییم الحکومات التی حکمت باسم الإسلام ----- ۲۲
دور الزهراء ?فی فضح الحکومات الجائرة ----- ۲۳
۲) الزهراء قدوةً ----- ۲۴
خطر النموذج الغربی وخواؤه ----- ۲۴
الزهراء ?النموذج الصالح والقدوة الحسنة ----- ۲۵
الغرب بأمسّ الحاجة إلی الرموز المعنویة ----- ۲۶
مسؤولیتنا تجاه الزهراء؛ ?فراغات لابد من ملئها ----- ۲۶
فاطمة الزهراء المقامات الغیبیة والوجه الحضاری ----- ۲۷

فاطمة الزهراء المقامات الغیبیة والوجه الحضاری ----- ۲۷
الفصل الأول: المقامات الغیبیة ----- ۲۸
الفصل الأول: المقامات الغیبیة ----- ۲۸
البحث الأول: سبب نشوء التفسیر المادی للمسائل الدینیة ----- ۲۸
البحث الثانی: الموقف من الاتجاه المادی ----- ۲۸
المبحث الثالث: الفائدة من البحث فی المقامات الغیبیة ----- ۲۹
المستوی الأول: مباحث علم الکلام ----- ۲۹
المستوی الثانی: العلوم الطبیعیة ----- ۳۰
المستوی الثالث: العقائد الدینیة ----- ۳۰
الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء ----- ۳۰
الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء ----- ۳۰
من مواقف الزهراء ----- ۳۱
الخلاصة ----- ۳۲
بیت الزهراء: نموذجاً ----- ۳۲
بیت الزهراء: نموذجاً ----- ۳۲
مقدّمة ----- ۳۲
مثال البیت الصالح والسعید ----- ۳۳
معالم البیت الفاطمی ----- ۳۳
۱. بیت لا توقعات فیه ----- ۳۴
۲. بیت لا توتر فیه ----- ۳۴
۳. بیت لا تعقید فیه ----- ۳۶
التعریف ببیت الزهراء ----- ۳۶
الشعائر الفاطمیة ----- ۳۷
الشعائر الفاطمیة ----- ۳۷

مقدّمة ----- ۳۷
الشعائر الدينية: مفهومها وأدوارها ----- ۳۸
أ مفهوم الشعائر الدينية ----- ۳۸
ب دور الشعائر الدينية ----- ۳۸
الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية ----- ۳۸
الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية ----- ۳۸
مسؤوليتنا فی شهری جمادی الاولی والاخرة ----- ۳۹
العنوان الأول: الإحياء الشعائری ----- ۳۹
العنوان الثانی: الإحياء الثقافی ----- ۴۰
الامام الحسين عليه السلام: استثناء فی السنن الالهية ----- ۴۱
الامام الحسين عليه السلام: استثناء فی السنن الالهية ----- ۴۱
مقدّمة ----- ۴۱
عظمة تضحية الإمام الحسينعليه السلام ----- ۴۱
الثواب الاستثنائی علی التضحية الاستثنائية ----- ۴۲
النحو الأول: الاستثناء فی الجانب التشريعی ----- ۴۲
النحو الثانی: الاستثناء التكوينی ----- ۴۲
أ التربة الحسينية مثالاً ----- ۴۲
ب النار مثالاً آخر ----- ۴۳
ج. الإمام الحسين عليه السلام محبوباً ----- ۴۴
عاشوراء: نصر يتجدّد علی مدی التاريخ ----- ۴۴
ماذا قدّمنا للحسينعليه السلام؟ ----- ۴۵
وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام ----- ۴۶
وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام ----- ۴۶
۱. إقامة مجالس العزاء فی البيوت ----- ۴۶

۲. مشارکة الإمام الحسینعلیه السلام بالأموال ---- ۴۷
۳. لیکن فی کل بیت خادم للحسینعلیه السلام ---- ۴۷
۴. ولا نقصر فی خدمة نستطیع تقدیمها للحسینعلیه السلام ---- ۴۷
قبس من النهضة الحسینیة ---- ۴۹
قبس من النهضة الحسینیة ---- ۴۹
المبحث الأوّل: تضحیة الإمام الحسینعلیه السلام من أجل الله تعالی ---- ۴۹
المبحث الأوّل: تضحیة الإمام الحسینعلیه السلام من أجل الله تعالی ---- ۴۹
أمثلة علی الدافع الأوّل ---- ۵۰
الفرق بین الدافعین الأخیرین، وتوضیحهما بالأمثلة ---- ۵۰
دافع الإمام الحسینعلیه السلام للتضحیة ---- ۵۱
المبحث الثانی: نهضة الحسین علیه السلام من أفضل سبل الإنقاذ ---- ۵۱
المبحث الثانی: نهضة الحسین علیه السلام من أفضل سبل الإنقاذ ---- ۵۱
المجال الأوّل: الاستنقاذ فی الإطار الخاص ---- ۵۱
المجال الثانی: الإنقاذ فی الإطار العام ---- ۵۲
مجالس الإمام الحسینعلیه السلام من الباقیات الصالحات ---- ۵۲
لا ینفع فی الآخرة عمل مثل ما تنفع الشعائر الحسینیة ---- ۵۳
الامام السجّاد علیه السلام ... عصره و دوره ---- ۵۳
الامام السجّاد علیه السلام ... عصره و دوره ---- ۵۳
مقدّمة ---- ۵۳
أ الأزمة الفکریة وأسبابها ---- ۵۴
أ الأزمة الفکریة وأسبابها ---- ۵۴
العامل الأول: الانفتاح علی ثقافات الأمم الأخری ---- ۵۴
العامل الثانی: عملیة التضلیل أو غسیل الدماغ ---- ۵۴
مثال علی التضلیل الفکری فی واقعنا الراهن ---- ۵۵

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية ----- ۵۵
ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية ----- ۵۵
أدوار الإمام السجّادعليه السلام ----- ۵۶
۱ بناء الامة فكرياً ----- ۵۶
۲ البناء الأخلاقي للأمة ----- ۵۷
نموذج من أخلاق الإمام السجادعليه السلام ----- ۵۸
۳ دور الإمام في إبقاء النهضة الحسينية ----- ۵۸
الانطلاق من قضية الإمام الحسينعليه السلام ----- ۵۹
الامام المهدی علیه السلام امام الرحمة ----- ۵۹
الامام المهدی علیه السلام امام الرحمة ----- ۵۹
الفصل الأول الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ----- ۶۰
الفصل الأول الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ----- ۶۰
المقام الأوّل: الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة ----- ۶۰
المقام الأوّل: الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة ----- ۶۰
النقطة الأولى ----- ۶۰
النقطة الثانية ----- ۶۰
النقطة الثالثة ----- ۶۱
المقام الثاني: الإمام المهدی علیه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة ----- ۶۱
المقام الثاني: الإمام المهدی علیه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة ----- ۶۱
النقطة الأولى ----- ۶۱
النقطة الثانية ----- ۶۱
النقطة الثالثة ----- ۶۲
الفصل الثاني: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۲
الفصل الثاني: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۲

المظهر الأول: حلّ المعضلات العلمیة ---- ۶۲
المظهر الثانی: حلّ المشکلات العملیة علی یدیه علیه السلام ---- ۶۳
المظهر الثالث: التوجیه والعنایة ---- ۶۴
دور الامام المهدی علیه السلام فی حیاتنا ---- ۶۵
دور الامام المهدی علیه السلام فی حیاتنا ---- ۶۵
مقدّمة ---- ۶۵
الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام ---- ۶۵
الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام ---- ۶۵
المقدمة الأولی ---- ۶۵
المقدمة الثانیة ---- ۶۶
المقدمة الثالثة ---- ۶۶
دور الإمام المهدی علیه السلام ---- ۶۶
الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟ ---- ۶۷
الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟ ---- ۶۷
المقدمة الأولی: الالتفات إلی النقص والفاقة والحاجة عندنا ---- ۶۷
المقدمة الثانیة: التوجه إلی مصدر القوة والغنی والقدرة وهو الإمام المهدیعلیه السلام ---- ۶۸
المقدمة الثالثة: محاولة إیجاد القابلیة ---- ۶۸
المقدمة الرابعة: الإلحاح والتوسل ---- ۶۸
نموذجان للاستفادة من وجود الحجةعلیه السلام ---- ۶۸
وأخیراً ---- ۷۰
الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۰
الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۰
أما المحور الأول ---- ۷۰
أما المحور الأول ---- ۷۰

العامل الأول: الاهتمام بالقضیة المهدویة ضرورة إیمانیة ---- ۷۰
العامل الثانی: الإیمان بالإمام المهدی علیه السلام مصداق من مصادیق شکر المنعم ---- ۷۱
العامل الثالث: الاهتمام بالقضیة المهدویة یوجب البرکة والتوفیق ---- ۷۲
المحور الثانی: کیفیة الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۲
المحور الثانی: کیفیة الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۲
۱ الاهتمام بالثقافة المهدویة ---- ۷۲
۲ إحیاء الشعائر المهدویة ---- ۷۳
خاتمة: فی برکات الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۳
وسائط الفیض الالهی ---- ۷۴
وسائط الفیض الالهی ---- ۷۴
مقدّمة ---- ۷۴
من السنن نظام الوسائط ---- ۷۴
الوسائط الغیبیة ---- ۷۵
الاعتقاد بالوسائط الغیبیة لا یختصّ بنا نحن الشیعة ---- ۷۵
الواقع خیر دلیل ---- ۷۶
صلاة فاطمة ?وقضاء الحوائج ---- ۷۶
وِرد آخر للزهراء? ---- ۷۷
الأیام الفاطمیة ---- ۷۷
التبری من اعداء الله تعالی ---- ۷۷
التبری من اعداء الله تعالی ---- ۷۷
الموقف من أعداء الله تعالی ---- ۷۷
الموقف من أعداء الله تعالی ---- ۷۷
الموقف الأول ---- ۷۷
الموقف الثانی ---- ۷۸

الموقف الثالث ---- ۷۸
التبرى من أعداء الله تعالى فى القرآن الكريم ---- ۷۸
نظرة إلى مقولة التوفيق العقائدى ---- ۷۹
لماذا التبرى؟ ---- ۷۹
لماذا التبرى؟ ---- ۷۹
النقطة الأولى ---- ۸۰
النقطة الثانية ---- ۸۰
الصديقة الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى ---- ۸۰
واجبنا تجاه قضية الزهراء ---- ۸۲
لک سدارتک وأعطنى عمامتى ---- ۸۲
تاثير الذكر ---- ۸۲
تاثير الذكر ---- ۸۲
مقدّمة ---- ۸۲
البحث الأول: التفاعل بين أنحاء الوجود ---- ۸۳
البحث الثانى: الترابط بين أنحاء الوجود ---- ۸۳
تأثير ذكر الله على حياة الإنسان ---- ۸۳
قصة فيها عبرة ---- ۸۳
الذكر العملى والقلبى ---- ۸۴
نماذج من الذكر العملى ---- ۸۵
صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها ---- ۸۵
صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها ---- ۸۵
فلسفة صلاة الليل ---- ۸۶
صلاة الليل عبادة متميّزة ---- ۸۷
معطيات صلاة الليل ---- ۸۷

المراتب المعنوية ----- ۸۹
المراتب المعنوية ----- ۹۰
المراتب المعنوية ----- ۹۰
اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ----- ۹۱
آثار الحالة المعنوية ----- ۹۱
تحويل الحالة المعنوية إلى قوة مادية ----- ۹۲
الآخرة خير و ابقى ----- ۹۳
الآخرة خير و ابقى ----- ۹۳
مقدمة ----- ۹۴
ثراء النص القرآنى ----- ۹۴
۱. الآخرة أبقى من الدنيا ----- ۹۴
۲. الآخرة خير من الدنيا ----- ۹۴
تركيز القرآن على موضوع الآخرة والعيش فى أجوائها ----- ۹۶
مسؤوليتنا ثقيلة فى هذا المجال ----- ۹۷
التوبة، القرار الشجاع ----- ۹۸
التوبة، القرار الشجاع ----- ۹۸
مقدّمة ----- ۹۸
المبحث الأول: مفهوم التوبة ----- ۹۸
المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها ----- ۹۹
التضحية بالجاه فى سبيل التوبة ----- ۹۹
قصة لا أعلم!! ----- ۱۰۰
شهر رجب، شهر الرحمة والتوبة ----- ۱۰۱
التفكير العالمى ----- ۱۰۱
التفكير العالمى ----- ۱۰۱

تأثیر الفکر فی حیاة الإنسان ----- ۱۰۲
الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر ----- ۱۰۲
الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر ----- ۱۰۲
تأثیر الفکر فی حرکة الإنسان ----- ۱۰۳
الفصل الثانی: مظاهر التفکیر العالمی ----- ۱۰۴
الفصل الثانی: مظاهر التفکیر العالمی ----- ۱۰۴
التشیّع فی الهند وتایلند والفلبین ----- ۱۰۴
الخلاصة ----- ۱۰۵
الیأس من روح الله ----- ۱۰۵
الیأس من روح الله ----- ۱۰۵
العلاقة بین الیأس والکفر ----- ۱۰۶
بین الإیمان والرجاء ----- ۱۰۶
آفاق الأمل والرجاء ----- ۱۰۶
المجال الأول: الأمل فی التغییر الفردی ----- ۱۰۶
الاعتبار بما حدث فی العراق! ----- ۱۰۷
المجال الثانی: الأمل فی التغییر الاجتماعی ----- ۱۰۸
المجال الثالث: الأمل فی التغییر العالمی الشامل ----- ۱۰۹
التبعیة الثقافیة ----- ۱۱۰
التبعیة الثقافیة ----- ۱۱۰
۱مشکلة التبعیة بشکل عام ----- ۱۱۰
قضیة التنباک والعهد البهلوی فی إیران مثالاً ----- ۱۱۰
۲. التبعیة الثقافیة ----- ۱۱۱
۳. وسائل مکافحة التبعیة الثقافیة ----- ۱۱۲
۳. وسائل مکافحة التبعیة الثقافیة ----- ۱۱۲

بالهمة والتوكل على الله يصبح العطاء ثراً ---- ۱۱۴
الجلد و الجتهاد ---- ۱۱۵
الجلد و الجتهاد ---- ۱۱۵
۱. الجد والاجتهاد فی مجال الطاعة والعبادة ---- ۱۱۶
۲. الجد والاجتهاد فی مجال التعلم والمعرفة ---- ۱۱۸
۳. الجد والاجتهاد فی مجال الخدمة والعمل ---- ۱۱۹
لنكن من المجتهدين ---- ۱۲۰
لنكن من المجتهدين ---- ۱۲۰
مقدّمة ---- ۱۲۰
البحث الأول: الحاجة إلى الاجتهاد ---- ۱۲۰
البحث الثانی: هل تكفی اجتهادات المجتهدين السابقين؟ ---- ۱۲۲
البحث الثالث: الاجتهاد الدينی ليس منحصراً فی الفقه ---- ۱۲۳
البحث الرابع: الاجتهاد لا يعرف الحدود ---- ۱۲۳
وأخيراً ---- ۱۲۴
پی نوشتها ---- ۱۲۴
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۱۳۴

وَمَضات

اشارة

اسم الكتاب: ومضات تقرير لمجموعة من المحاضرات

المؤلف: حسيني شيرازى، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: بنيد القار

مكان الطبع: كويت

تاريخ الطبع: ۱۴۲۹ ه

الطبعة: دوم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الناشر

فى ظل هذه الظروف العصيبة التى يمرّ بها العالم، والمشكلات التى تعانى منها الامة الإسلامية، والأزمات الروحية والأخلاقية التى يئنّ منها المجتمع، إضافة إلى ما نلمسه من التعطش الشديد إلى اعادة الروح الإسلامية الأصيلة وبث الوعى الإسلامى الصحيح المستمد من نهج أهل البيتعليهم السلام فى صفوف المسلمين، وانطلاقاً من قوله تعالى?: فَبَشِّرْ عِبَادِ ?الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ?وشعوراً منّا بالحاجة الماسّة إلى نشر وبيان مفاهيم الاسلام الأصيلة ومبادئه الإنسانية السامية، عزمنا بعد التوكل على الله تعالى، على تقديم المحاضرات الفكرية والتربوية القيمة حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، فى مناسبات مختلفة.

ولقد عُرف عن المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى ?من جملة ما عرف عنه من جوانب عظمته اهتمامه الفائق بترسيخ الأخلاق فى المجتمع، سواء عبر الدروس العملية التى كانت تحكيها سيرته الفاضلة، أو من خلال المحاضرات الخاصة التى كان يلقيها على الطلبة أسبوعياً، يربّيهم فيها على مكارم الأخلاق ويوسّع أفق التفكير لديهم من خلال التواصل معهم ومدّهم بالمعلومات الواسعة وتحفيزهم بالعمل والجد والاجتهاد، والإخلاص والتقوى ومواكبة العصر والاهتمام بأمور المسلمين...

وعلى ذات السيرة جرى نجله سماحة آية الله السيد محمّد رضا الشيرازى حفظه الله الذى خصص منذ سنين يوماً واحداً فى كل أسبوع وهو يوم الأربعاء ليلقى محاضرة أخلاقية على طلاب العلوم الدينية يتحفهم فيها بقبسات من روائع خلق أهل البيتعليهم السلام.

هذه المحاضرات هى الأخرى لم تكن حصراً على المفاهيم الأخلاقية وحدها بل تناولت الرؤى والمفاهيم الإسلامية فى مختلف جوانب الحياة العلمية والمنهجية من خلال سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما امتازت بمعالجتها لمواضيع وقضايا معاصرة، فكانت مدرسة تربوية وتوعوية إسلامية شاملة بحقّ. وقد جمعناها فى كتاب مستقلّ لكى تكون الفائدة أعمّ، علماً أن هذه المجموعة تحتوى على أربعة وعشرين محاضرة، كما نشكر جهود إخواننا الذين ساهموا فى إعداد هذا الكتاب ونخصّ بالذكر الأستاذ عبدالرضا افتخارى.

نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع من قسم التحقيقات فى موقع الامام الشيرازى مساهمة فى نشر الوعى الاسلامى الأصيل وسداً

لبعض الفراغ العقائدى والأخلاقى لأبناء امّتنا، ونسأل الله العلى القدير أن يتقبله منا ويوفقنا للمزيد. إنه سميع مجيب.

قسم التحقيقات فى موقع الامام الشيرازى

www.shirazi.ir

۲۶ ربيع الأول ۱۴۲۶

محمّدعليه السلام نبىّ الرحمة

محمّدعليه السلام نبىّ الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

مفهوم «الرحمة» يشكّل أحد المحاور الأساسية فى فكر الإنسان المعاصر، ورغم أن الرحمة من القيم المحورية فى الإسلام ولكننا نلاحظ أن الجهات الأخرى تبنّت اليوم هذه القيمة نظرياً وعملياً، ولا نريد الآن البحث فى ما إذا كان هذا التبنّى تبنّياً واقعياً أم مزيّفاً، فلهذا مجال آخر، ولكن الشىء الواضح هو أن الجهات الأخرى ترفع اليوم شعار الرحمة وتتبنّاه نظرياً وعملياً، فالمسيحيون مثلاً يحاولون أن يكتسحوا العالم من خلال رفعهم هذا الشعار، وإذاعاتهم تردّد «أن المسيح رحمة» و «أنه افتدانا من لعنة الناموس» و «أنه تحمّل جميع الآلام للتكفير عن خطايا البشر».

وحتى القوى العظمى ترفع اليوم شعار الرحمة والدفاع عن حقوق الإنسان، فالغرب يرفع شعار الدفاع عن حقوق الأطفال فى العالم وحقوق المرأة وحقوق السجناء و، ... أما نحن المسلمين فمن المؤسف أن تبنّينا لهذه القيمة اليوم ضعيف جداً سواء من الناحية النظرية أم من الناحية العملية.

فلو اعتقل أحد المؤمنين فى إحدى البلاد الإسلامية، فربما يبقى أعواماً لا يُعرف عنه شىء، فى حين أنه لو اعتقل فرد من دين آخر فإن لجان الدفاع عن حقوق الإنسان قد توجّه ضغوطاً كبيرة إلى الدولة التى تعتقله حتى تطلق سراحه.

لقد بقى الشيخ بهلول معتقلاً فى السجون الأفغانية زهاء ثلاثين عاماً ولم يُفرج عنه حتى حدث خلاف بين الحكومة الأفغانية ودولة أخرى قامت بفضح الحكومة الأفغانية فى مجال اضطهاد حقوق الإنسان، وأشارت إلى اعتقال الشيخ بهلول، فاضطرت الحكومة الأفغانية إلى إطلاق سراحه وإلّا لربما بقى سجيناً حتى نهاية عمره!

الرحمة فى النصوص الإسلامية

إن النصوص الإسلامية مشحونة بمفهوم الرحمة، فأول ما تفتح كتاب الله تعالى يواجهك شعار الرحمة? بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،? كما أن هذا الشعار مطلع كلّ سورة فى القرآن الكريم.

وقد تكررت كلمة «الرحمة» ومشتقّاتها فى القرآن الكريم مئات المرّات، ولكننا نكتفى هنا بذكر آيتين كريمتين؛ الأولى منهما ترتبط بالجانب التكوينى، أما الثانية فترتبط بالجانب التشريعى.

أمّا الآية الأولى فهى قوله تعالى?: إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ.?

إن اللغز الذى حيّر العقول منذ القدم هو: لماذا خلق الله الإنسان؟ من الواضح أن الله تعالى خلق كلّ الأشياء من أجل الإنسان، ولكن ما هى الغايـة من خلق الإنسـان؟ يقول الله تعـالى فى الجواب على ذلـك: (إلاّ ـ من رحم ربّك ولـذلك خلقهم) أى خلقهم كى يرحمهم فهذا هو الدافع وراء خلق الإنسان، وهذه هى العلّة الغائية لوجوده.

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى مخاطباً نبيّه الكريمعليه السـلام?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، ?و «إلاّ» تفيد الحصـر، فيكون معنى العبارة أن هدف البعثة متمحّض فى الرحمة.

اتضح إذن أن الرحمة تمثّل قيمة محورية فى نظام التشريع، كما تمثّل قيمة محورية فى نظام التكوين.

كيف يكون نبيّناعليه السلام رحمة للعالمين؟

وهنا سؤالان قد يخطران فى الأذهان عن قوله تعالى?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ:?

السؤال الأول: إذا كان النبيعليه السلام رحمة للعالمين، فلماذا لم ينتفع الكفّار بهذه الرحمة؟

وإذا كـان العلمـاء يقولون: «مـا يعلم أنه لا ـ يترتّب على شـىء لا ـ يعقـل أن يكون غرضـاً منه» فكيف يكون الغرض من بعثـة الرسولعليه السلام هو الرحمة للجميع مع أنها لم تترتّب عليه؟

هناك إجابات عديـدة على هـذا السؤال ولكنا نكتفى بالإشارة إلى إحداها وهى: أن الرحمة من الحقائق المشكّكة حسب الاصـطلاح الفلسفى أى أن لها مراتب، وبعض مراتب هذه الرحمة شملت الجميع.

لقـد كـان السـيد الوالدرحمـة الله عليه ربما قبل زهاء شـهرين من وفاته، يحثّ العلماء والكتّاب الـذين يزورونه على الكتابـة عن فضـل النبيعليه السلام على الحضارة المعاصرة، وكان يقول:

«يمكن تـأليف كتـاب ضـخم فى هـذا المجـال ولكن ليس لـدىّ الوقت الكـافى للقيام بـذلك، ولـذلك أؤكّـد عليكم أن تقوموا أنتم بذلك، فإنّ ما ينعم به إنسان اليوم من خير مدين به للنبيعليه السلام».

لقـد كـان الغرب فى القرون الوسـطى يغـطّ فى ظلام الجهـل والتخلّف فى كلّ المجالات كما يعترف مؤرّخوهم بـذلك. ففى المجال الصـحى كـانت مستشـفياتهم كاصـطبلات الحيوانـات، أمـا الوضـع العلمى فيكفى أن نعرف أنهم كـانوا يقتلون علمـاءهم ويحرقونهم، والمقصلة الموجودة فى لندن والتى كانت تفصل رؤوس العلماء وغيرهم عن أجسادهم شاهدة على ذلك.

وأما المرأة فكانت محتقرة أيّما احتقار، حتى بُعث نبيناعليه السلام وغمر العالم بأنواره، وما مبادئ حقوق الإنسان وحرية الرأى وما يعبّر عنه بالديمقراطيـة فى عـالم اليوم إلاّ ـ حصـيلة احتكـاك الغرب بالحضارة الإسـلامية. فإذا كان الإنسان المعاصـر ينعم بقـدر من الحرية والأمن والعلم والمعرفـة فإنما ذلك ببركـة النبى الأعظمعليه السـلام. ولقد أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ?إلى بعض الجوانب من هذه النقلة النوعية التى حقّقها رسول اللهعليه السلام فى قولها: «?فأنقذكم الله برسولهعليه السلام».

اتضح إذن أن النبى الأعظمعليه السلام لم يكن رحمة للمؤمنين أو المسلمين فقط بل كانعليه السلام رحمة للعالمين جميعاً.

لا منافاة بين الرحمة والعقوبات الإسلامية

السؤال الثانى: إذا كان الإسـلام دين الرحمة والرسولعليه السـلام نبىّ الرحمة، فكيف نفسّـر العقوبات الجزائية فى الإسـلام، أليست هذه العقوبات منافيةً للرحمة؟

نشير فى الجواب على نحو الإجمال أيضاً إلى نقطتين:

النقطـة الأولى: إن نظام العقوبات يمثّل جزءاً محـدوداً من الإسـلام، وإن قيمته الكاملة تكمن فى كونه يمثّل جزءاً من النظام الإسـلامى كلّه، ولو فصـلنا أى جزء من المجموعة التى ينتمى إليها وعرضـناه على أنه يمثّل الكلّ فإن الصورة التى يعكسها هذا الجزء قد لا تكون

جميلة، بل ربما تكون قبيحة منفّرة.

والمشكلة أن بعض الناس يتصوّر أن الإسلام ليس سوى نظام عقوباته الجزائية، فما ان يذكر اسم النظام الإسلامى حتى يتبادر إلى ذهنه أنه النظام الذى يطبّق تلك العقوبات، فإذا قيل له مثلاً «لنعمل من أجل أن يصل الإسلام إلى الحكم» قفزت إلى ذهنه صورة قطع يد السارق وإقامة الحدّ على الزانى، مع أن الإسلام أوسع من ذلك بكثير، ولو راجعتم كتب الفقه فسترون أنّ الحيّز الذى يشغله النظام الجزائى ككتاب الحدود والقصاص والديات صغير قياساً إلى باقى الأجزاء مثل العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها.

وكان السيد الوالد ?يذهب على تفصيل ذكره إلى أن نظام العقوبات لا يُطبق إلّا إذا طبِّق الإسلام كمجموعة متكاملة، فكان يقول: «ينبغى أن يكون النظام الاقتصادى إسلامياً وكذلك النظام الاجتماعى والسياسى ثم نقوم بعد ذلك بإجراء الحدود».

وقد روى أنه جيء برجل سارق عند المأمون ليقطع يده، فاعتذر الرجل باضطراره، فالتفت المأمون للإمام الرضاعليه السلام وسأله: ما تقول؟ فقال الإمامعليه السلام: فلله الحجة البالغة، أى لقد احتجّ عليك فردّه بالحجة، فغضب المأمون على الإمامعليه السلام!

فكأنّ الإمامعليه السلام يقول فى جواب المأمون: إذا كان النظام الاقتصادى فاسداً فقام فقير بالسرقة مضطرّاً، فلا معنى لتطبيق العقوبة عليه.

ولذلك نلاحظ أنه عندما كان النظام الإسلامى مطبقاً إلى حدّ ما، لم يكن القضاة يعرفون بعض الحدود، لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى تنفيذها، ولقد روى المؤرّخون: أن سارقاً سرق فى عهد الإمام الجوادعليه السلام وجيء به إلى القضاء، ولكن القضاة لم يعرفوا مِن أين ينبغى أن تُقطع يده واختلفوا، حتى قاضى القضاة لم يعرف الجواب فلجأوا إلى الإمامعليه السلام فبيّن لهم الحكم!

أما النقطة الثانية: فهى أن كلّ قانون بحاجة إلى ضمانة تنفيذية، ومن دونها لا ينجح القانون، والعقوبات تشكّل إحدى الضمانات لتنفيذ القانون، وعلى هذا جرت سيرة العقلاء؛ ولذلك يقول علماء الكلام: إن محركية القانون لا تتمّ إلّا بالوعد والوعيد. ففى ظلّ نظام لا يعاقب المجرمين يفقد الناس الأمان ويطاردهم شبح العدوان على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم ... ولا يهنأون بعيشهم؛ ولذلك قال الله تعالى?: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ، ?فإن فى موت القتلة حياة من سواهم من الأبرياء، وهذا يعنى أن العقوبات الإسلامية رحمة للناس لأنها تحقّق لهم حياة آمنة.

وظيفتنا تجاه الإسلام

إذا عرفنا أن الإسلام دين الرحمة وأن نبيناعليه السلام هو نبى الرحمة كما روى عنه أنهعليه السلام قال عن نفسه الشريفة: «إنما أنا رحمة مهداة»، فما هى وظيفتنا تجاه هذا الدين الذى هو دين الرحمة؟

نقول فى الجواب إن وظيفتنا الأولى تجاه الإسلام هو عرضه، ولا يكفى عرضه نظرياً، بل لابدّ من عرضه عملياً أيضاً.

إن كثيراً من الناس لا- يعرفون حقيقة الإسلام، ولو عرف الناس الإسلام على حقيقته لأقبلوا عليه، فإن فى الإسلام دقائق تكشف عن عظمته. إن الإسلام ليس رحمة للإنسان فحسب بل هو رحمة للحيوان أيضاً. ولو راجعتم كتب الروايات للاحظتم روايات عجيبة فى هذا المجال. فهناك حقوق يذكرها الإسلام للحيوان لم تصل إليها الحضارة المعاصرة رغم الشعارات التى ترفعها فى الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الحيوان.

من الروايات العجيبة فى هذا المجال ما روى عن النبيعليه السلام أنه قال: «نظّفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهنّ».

فالإسلام يقول لأتباعه: حتى مرابض الغنم ينبغى أن تكون نظيفة، والأعجب من ذلك أنه يدعوهم لمسح رغامها أى ما يخرج من أنوفها، فهل تجدون نظيراً لذلك فى عالم اليوم؟

وهناك رواية مرويّة عن الإمام الصادقعليه السلام يعدّد فيها ستة حقوق للدابّة على صاحبها؛ يقولعليه السلام:

۱. «لا يحمّلها فوق طاقتها».

۲. «ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها» فإنه إذا كان معذوراً أن يركبها حال السفر والتنقّل، فهذا لا يعنى أن يُتعبها من دون ضرورة فلا ينبغى له أن يظلّ راكباً عليها يحدّث صديقاً له بل ينبغى له أن يترجّل عنها ثم يتحدّث!.

۳. «ويبدأ بعلفها إذا نزل».

وهذا أيضاً من عجائب التشريع الإسلامى؛ فإن السفر يُتعب الإنسان عادةً، وعندما يصل المسافر يكون عادةً منهكاً يفكّر فى راحته وغذائه أولاً وهذا ما نلمسه عندما نسافر اليوم، فكيف إذا كان السفر على الدوابّ وعبر الطرق القديمة ولكن الإمامعليه السلام يقول: ينبغى أن تفكّر فى علف الدابّة أولاً وليس فى طعامك وشرابك.

ومن الحقوق:

۴. «ولا يسمها» فإنهم كانوا يضعون علامات على الدوابّ عن طريق كيها فى مواضع من بدنها، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

ومن الحقوق أيضاً:

۵. «ولا يضربها فى وجهها فإنّها تسبّح».

۶. «ويعرض عليها الماء إذا مرّ به».

وفى رواية أخرى:

«وأن لا يضربها على النفار»، أى عندما تنفر.

والروايات فى هذا الباب كثيرة سواء عن النبيعليه السلام أو عن الإمام الصادقعليه السلام وهكذا عن سائر الأئمةعليهم السلام، وما أعظم قول الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فى هذا المجال: «واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِىَ اللهَ فِى نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

ولصاحب كتاب «الحدائق ?» بحث حول حقوق الحيوان فيه بنود متعدّدة، يقول فى البند (د): «قد صرّحوا أى الفقهاء بأنه حيث إن ديدان القزّ إنما تعيش بالتوت أى على أوراق التوت فعلى مالكها القيام بكفايتها منه (أى هذه وظيفته الشرعية) وحفظها من التلف، فإن عزّ الورق (وشحّ فى السوق مثلاً وغلا ثمنها) ولم يعتن بها (فإن المالك قد لا يعتنى فى مثل هذه الحالة لأنه يرى أن ذلك يكلفه) باع الحاكم من ماله واشترى لها منه ما يكفيها».

وهكذا نلاحظ أن رحمة الإسلام تشمل حتى ديدان القز، فكما إن للإنسان حقوقاً فكذلك للحيوان، بل إن رحمة الإسلام تشمل حتى النبات أيضاً كما يظهر بمراجعة «بحث النفقات» من كتاب «النكاح»، ولو عُرضت أحكام الإسلام وتعاليم النبى والأئمة المعصومينعليهم السلام ورواياتهم على العالم عرضاً صحيحاً لأقبل نحوها أيما إقبال.

ولا بأس أن نستطرد لنذكر ما نقله أحد الإخوة المؤمنين وكان يعيش فى الغرب حيث ذكر أنه أقيم احتفال لشخص يسمى «هارفى» باعتبار أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى، فارتقى المنصّة وتحدّث عن اكتشافه، فصفّق له الحاضرون. يقول الأخ: وبعد أن انتهى تصفيقهم أخذت أصفّق وحدى، فأخذوا ينظرون إلىّ وسألونى عن سبب هذا العمل، فقلت لهم: إننى لم أصفّق لهارفى بل صفّقت لرجل منّا نحن المسلمين كان يعيش قبل حوالى ألف وأربعمائة عام، هو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى، فقيل لى: من هو؟ قلت: إنه إمامنا جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، فقد ذكر ذلك لتلميذه المفضّل بن عمر، كما ورد فى كتاب (توحيد المفضّل) ويمكنكم مراجعة الكتاب والتأكّد مما أقول، فصفّق الحاضرون كلّهم هذه المرة معى ولكن للإمام الصادقعليه السلام.

إن تراثنا غنى جداً ولكنا مع الأسف حصرناه فى زوايا محدودة ولم ننشره للعالم.

بعد الحملة العالمية التى شُنّت على الإسلام والتى رمته بالإرهاب والعنف، سألت أحد الإخوة المؤمنين الذين يعيشون فى الغرب عن أثر هذه الحملات على المجتمع الغربى، فقال: لقد ولّدت عندهم رغبة جامحة فى التعرّف على هذا الدين. فقلت له: أهى مجرد رغبة فى المعرفة أم هناك اعتناق أيضاً، فأجابنى: المعرفة طريق الاقتناع والاعتناق.

وقد نقل أن فى الغرب اليوم إقبالاً على تعلّم اللغة العربية لأنها لغة القرآن، كما نقل أن المصاحف الكريمة نفدت من الأسواق.

إن القرآن حقّ، ومن طبيعة الحقّ أنه يهزم الباطل. إن الحقّ يخيف أهل الباطل، لأن الناس إذا عرفوه تركوا الباطل واتجهوا إليه، كالشمس عندما تشرق، حيث تُطفَأ المصابيح التى كانت مسرجة طوال الليل ويتمّ الاستغناء عنها، بل المصابيح الكهربائية نفسها عندما اخترعت قضت على المصابيح النفطية والشموع القديمة.

إن القرآن الكريم يؤثّر فى أعماق الإنسان، وإنه ليؤثّر فينا ويهزّنا نحن الذين عشنا فى أجوائه منذ نعومة أظفارنا، فكيف بمن يسمعه لأول مرة؟!

ما ألذّ سماع القرآن وهو ينطلق من المآذن خاصة فى الأسحار! وما أعظم أثره فى النفوس! إن الطاقة التى يولّدها القرآن فى النفوس لا تماثلها طاقة.

وهكذا الأمر فى أحاديث النبيعليه السلام وأحاديث الإمام الصادق وأحاديث سائر الأئمة المعصومينعليهم السلام، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية.

إن الشعوب إذا عرفت الإسلام أقبلت عليه، ولكن الحكومات المعادية للإسلام هى التى تتّهم الإسلام بالإرهاب وتسعى لتضليل شعوبها وتزييف وعيهم من خلال إلصاق التهم بالإسلام.

وقد نقل أحد الإخوة المؤمنين ممن يعيشون فى الغرب أن البقال الذى كان يتبضّع منه، طلب منه بعد الأحداث المعروفة أن لا يأتى إلى محلّه بعد ذلك، وعندما سأله عن السبب قال:

«إنى أشعر بالخوف عند مشاهدتك لأنك مسلم»

هكذا ملؤوا أدمغة الناس بالتهم والأباطيل؟!

كما نقل أخ آخر أنه التقى شخصاً من كبارهم فقال له:

«إنى عندما أرى هذه المشاهد يقشعرّ بدنى وأقول أحقّاً هذا هو الإسلام؟

يقول الأخ المؤمن: فقلت فى جوابه: لا تظلم الإسلام، فهؤلاء لا يمثّلون الإسلام إنما هم فئة منحرفة؛ لأن نبى الإسلام هو نبى العفو والرحمة والتسامح والصفح والأخلاق العظيمة، وإنه عفا حتى عمّن جيّش الجيوش ضدّه وقاد الجبهة التى قاومته وهو أبو سفيان، وعفا عن كلّ أهل مكّة، وعندما سألهم وقد ربح المعركة: ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قالعليه السلام: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن! وأبو سفيان بالنسبة للمسلمين كان كهتلر بالنسبة لكم، فهل كنتم ستعاملون هتلر لو ظفرتم به كما عامل النبيعليه السلام أبا سفيان وقد أظفره الله تعالى به ونصره عليه نصراً مبيناً؟!

إذن علينا أن نعرض الإسلام من خلال سيرة النبيعليه السلام والأئمة الأطهارعليهم السلام، وقد روى عن الإمام الرضاعليه السلام أنه قال: فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لذلك وأن يجعل يوم ميلاد النبى الأعظمعليه السلام الذى هو إمام الرحمة كما فى دعاء التوسل، ويوم ميلاد حفيده مظهر الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام مباركاً لنا ولكم ولجميع المؤمنين.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الزهراء ?الفيصل والقدوة

الزهراء ?الفيصل والقدوة

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

هذان الشهران (جمادى الأولى وجمادى الثانية) يتعلّقان بسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء.?

وحديثنا بهذه المناسبة يدور حول ثلاثة محاور، هى:

۱) الزهراء ?فيصلاً

مقدمة فى تقييم الأفكار

إن لتقييم الأفكار والنظريات والمبادئ والمذاهب طريقين هما:

الأول: الطريق المباشر، حيث يتم التوجّه إلى الفكرة مباشرة ويجرى تقييمها من خلال ذاتها، ويُنظر هل هى تتناقض مع ذاتها، ومع الواقع الخارجى أم لا؟

الثانى: الطريق غير المباشر، وذلك من خلال ملاحظة آثار الفكرة ونتائجها فى الواقع، فهذا الطريق يمثل فرداً من أفراد البرهان الإنّى مقابل اللمى المذكور فى علم المنطق، وهو الذى يُنتقل فيه من المعلول إلى العلة وذلك مثل الانتقال من وجود الدخان إلى وجود النار، فى هذا الطريق تُلاحظ نتائج الفكرة فى الواقع الخارجى والحياة العملية، ثم يُحكم من خلالها على الفكرة ذاتها وفيما إذا كانت حقاً أم باطلا!

ولسنا الآن بصدد الحكم على الطريق الثانى وأنه صحيح مطلقاً أو فى الجملة، فليس هذا مدار بحثنا، إنما الذى نريد الحديث عنه هو الواقع القائم وهو أن الناس عادة يقيّمون الأفكار من خلال نتائجها، ولايقيّمها من خلال ذاتها إلا المفكرون بل بعض المفكرين، أما الطابع العام فى المجتمعات فهو تقييم الفكرة من خلال نتائجها.

فلو أخذنا الفكر الماركسى كمثال، فهناك من المفكرين من قيّمها عبر ذاتها وأثبت بطلانها من خلال ذلك، ولكن ليس كل الناس يعرفون نظرية فائض القيمة التى طرحها كارل ماركس فى مؤلفاته، ولا كلهم يعرفون الأدوار التاريخية الخمسة التى زعمها ولكن مع هذا ترى أغلب الناس يحكمون بخطأ الفكر الماركسى من خلال ملاحظة فشل الشيوعية فى كل العالم، فلقد تحوّل الاتحاد السوفياتى السابق إلى دولة من دول العالم المتخلفة بعد أن كان إحدى القوتين العظيمتين فى العالم، وانهار الاقتصاد الشيوعى بل النظام الشيوعى فى العالم كله.

مقدمة ثانية: فى تقييم الحكومات التى حكمت باسم الإسلام

لو انتقلنا الآن إلى أدوار الحكم التى مرّت على المسلمين بعد وفاة رسولعليه السلام، وحكمت باسم الإسلام وبعنوان الخلافة، نجد فى صدرها ثلاثة أدوار تبعتها أدوار أخرى.

الدور الأول تمثّل فى حكومة الثلاثة الأوائل، أما الدور الثانى فتمثّل فى الحكومة الأموية، فيما تمثّل الدور الثالث فى حكم بنى العباس.

إننا نعتقد أن هذه الأدوار الثلاثة أعطت انطباعاً سلبياً وعكست صورة بشعة عن الإسلام لدى كثير من الناس فى العالم، ولا ننكر أن هناك مفكرين ومنصفين درسوا الإسلام من خلال ذاته، ولكن كما قلنا فى المقدمة الأولى لا يقيّم كل الناس الأفكار من خلال ذاتها بل يحكمون عليها من خلال آثارها وتطبيقاتها، ومن ثم فإن هذه الحكومات الثلاث أعطتهم انطباعاً سيئاً عن الإسلام.

والواقع أننا نستطيع القول إن كثيراً من هؤلاء الحكام كان يشبه صداماً، أفهل هناك عاقل يستعدّ للرضوخ لحكم صدام، إلا أن يُفرض عليه بالحديد والنار؟!

إن الحكام الذين حكموا باسم الخلافة الأموية والعباسية وغيرهما عكسوا صورة كهذه، فلقد رأينا معاوية مثلاً ـ يفرض ابنه على المسلمين ثم يقوم خطيبه فى المسجد فيقول: أمير المؤمنين هذا (ويشير إلى معاوية)، فإن مات فهذا (ويشير إلى يزيد)، ومن أبى فهذا (ويشير إلى سيفه)! فيقول له معاوية: اجلس فأنت أخطب الخطباء!

أليس هذا منطق صدام؟

وفى السقيفة نفسها حدث ما يشبه هذا! فماذا كان مصير زعيم الخزرج عندما لم يرض بترشيح الأول؟

قالوا: طؤوه وهذا ما يذكره القوم فى كتبهم فوطؤوه بأقدامهم حتى كاد أن يموت، ثم قتلوه واتهموا الجن بقتله ووضعوا بيتين من الشعر ونسبوهما إلى الجن وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم تخطئ فؤاده

أليس هذا يشبه منهج صدام وأسلوبه فى تصفية خصومه؟

أما يزيد فقد أخذ البيعة من الناس على أنهم خدم له يباعون ويُشترَون!

إن صداماً لم يفعل هذا ظاهراً، بينما فعله يزيد وهو المسمى خليفة رسول اللهعليه السلام!!

دور الزهراء ?فى فضح الحكومات الجائرة

النقطة المحورية فى هذا البحث أن أئمة أهل البيتعليهم السلام بأجمعهم قاموا عبر أقوالهم ومواقفهم ومظلوميتهم فى الفصل بين الحكومات الجائرة والإسلام.

وكان لثلاثة من المعصومينعليهم السلام دور كبير فى فضح هذه العهود الثلاثة.

فكان لسيد الشهداء الإمام الحسينعليه السلام الدور الأساسى فى فضح الحكومة الأموية وإسقاطها.

أما الإمام الذى قام بفضح الحكومة العباسية من خلال مواقفه ومظلوميته فهو الإمام الكاظمعليه السلام الذى سُجن وجرى عليه ماجرى من ظلم ومحن فى هذا الطريق.

وكان لأم الأئمة فاطمة الزهراء ?دور محورى فى هذا السبيل، إذ إنها التى قامت بفضح أخطر الحلقات والأدوار؛ وذلك لأن حكومة الأوائل هى التى مهّدت الطريق لجميع جرائم الأمويين والعباسين والعثمانيين ومن جاء بعدهم، فإن الانحراف بدأ منذ ذلك الحين، كما أن تمكين الأمويين بدأ من تلك المرحلة أيضاً.

ونجد فى الأشعار التى يرددها خطباء المنبر وشعراء أهل البيتعليهم السلام بياناً لهذه الحقيقة، يقول الشاعر:

سهم أتى من جانب السقيفة

وقوسه على يد الخليفة

أى أن السهم الذى أصاب نحر الطفل الرضيع فى كربلاء كان قد انطلق من السقيفة.

ويقول الشاعر الآخر:

اليوم من إسقاط فاطم محسناً

سقط الحسين من الجواد صريعاً

أى أنه لو لم تكن تلك الجرأة على بضعة قلب المصطفيعليه السلام وإسقاط جنينها يوم حرق الدار، لما بلغ الحال بالقوم لأن يصرعوا

ريحانة الرسولعليه السلام على رمضاء كربلاء ويطؤوه بحوافر خيولهم!

إذن كان هذا السقوط نتيجة ذاك السقوط.

ويقول شاعر ثالث:

كفٌّ بها أمك الزهراء قد ضربوا

هى التى أختك الحورا بها سلبوا

فهذه الجناية نتيجة تلك!

وموقف الزهراء ?كان يحظى بالأهمية المضاعفة لأنها هى التى بدأت بحلّ عقدة الخلط بين الدين وتصرفات الحكام الظلمة، فأنقذت الإسلام من خطر الزوال، لقد قالت الزهراء ?بالموقف واللسان: «إن هؤلاء لا يمثلون الإسلام والدين والنبيعليه السلام، قالت ذلك فى خطبتها الفدكية وقالته بإخفاء قبرها وذهابها إلى ربها وهى واجدة عليهم منكرة لأفعالهم».

إن الخطبة الفدكية للزهراء ?مهمة جداً ولها تأثير كبير فى النفوس والعقول، وقد قال أحد المستبصرين:

«لقد سمعت هذه الخطبة فى شريط مسجّل، فهزّتنى وكانت الدافع لبحث انتهى بإعلانى الانتماء إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام».

وهكذا مجهولية قبرها، ?إذ كيف يمكن أن يُتصور أن يكون لعائشة وكل زوجات النبيعليه السلام قبور معروفة ولا يُعرف لفلذة كبد النبى وحبيبته قبر؟! ومهما حاول الخصوم أن ينكروا من حقائق فإنهم لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة، فكان هذا الموقف من الزهراء? حيث أوصت بإخفاء قبرها وعدم السماح للقوم بحضور تشييعها من المواقف المهمة التى فصلت بين الممارسات الخاطئة للحكام وبين الفكرة النقية للإسلام، وكأنها ? قالت: «إن هؤلاء الأشخاص لا يمثّلون الدين، وإنما هم حكّام متخلفون حكموا المجتمعات الإسلامية بمنطق الحديد والنار».

ونحن إذ نحيى ذكرى الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ?فإننا نحيى هذه الحقيقة أيضاً، فهى ?أعطت المقياس والحدّ الفاصل بين الفكرة والتطبيق، وأنقذت الإسلام من خطر التشويه والزوال بسبب تصرفات الحكومات المنحرفة.

۲) الزهراء قدوةً

خطر النموذج الغربى وخواؤه

ننتقل الآن إلى موضوع آخر وهو موضوع الرمز والقدوة، فنقول:

إن من الأمور التى يقوم بها الغرب اليوم صناعة الرموز فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية وهذه الرموز غير طبيعية وإنما يقومون بصناعتها بطريقة متكلفة وهذا بحث طويل لا نريد أن نخوض فيه الآن.

إن ما نتوخاه من هذا البحث ونريد قوله هنا هو أن الغرب قد صنع رموزاً للمرأة فى عالمنا المعاصر من جملة ما صنع من رموز وهذه قضية خطيرة جداً، وقد باتت خطورتها اليوم أكثر من أى وقت مضى، عندما نأخذ بنظر الاعتبار العولمة وأدواتها، فإن الناس كانوا فيما مضى فى مأمن من التخريب الثقافى إلا إذا ذهبوا إلى الغرب، أما اليوم فإن الغرب دخل إلى بيوتنا، إنه اليوم موجود فى كل بيت شئنا أم أبينا عبر شاشات التلفاز والقنوات الفضائية وشبكات الانترنيت و...

لقد صنعوا رموزاً جذابة للمرأة، فجعلوا منها نائبة فى البرلمان، ورئيسة للوزراء بل رئيسة للجمهورية فى بعض البلدان، وهذه الأمور مغرية للمرأة بلا شك.

ولكننا نعتقد أن الغرب فشل فى تحقيق هدفه، وذلك لأنه وإن دفع المرأة نحو القمة من الناحية المادية لكن ينبغى أن نعرف أن الثمن الذى دفعته المرأة كان باهضاً، كما كان يقول السيد الوالد.?

مثلاً: لو أن شخصاً مصاباً بداء السكرى جلس إلى مائدة فيها مختلف أنواع الأطعمة، فلم يلتزم بالحمية بل أكل كلّ ما يشتهى مما هو موجود أمامه، فإن الثمن الذى سيدفعه سيكون أغلى من اللذة العاجلة التى حصل عليها حين لم يملك نفسه وأطلق لها العنان.

وهكذا هو حال المرأة فى الغرب، فإن الثمن الذى دفعته لقاء المكاسب المادية التى حصلت عليها هو تحطم شخصيتها، فالمرأة الغربية محطمة، والعائلة فى الغرب محطمة، والعلاقات بين الزوجين مفككة، بل يتفق أحياناً أن تموت امرأة فى بيتها وحيدة ولا يُعرف بخبرها الا بعد انبعاث الروائح الكريهة من المكان الذى تقيم فيه.

أما نحن فوضعنا أفضل بكثير، إن عندنا تلاحماً وتقارباً وتزاوراً، فى حين إن هذه القضايا مفقودة فى الغرب. ولذلك بدأنا نشهد الآن ردود فعل عندهم تجاه هذه الحالة، وقد تحدث أحد الخطباء الكبار عن ظهور جمعية باسم «جمعية المرأة المستسلمة لزوجها» فى الغرب، وهذه حالة مدهشة تحكى ردود الفعل على الواقع الذى بلغه الغرب فى هذا المجال.

والغريب أن عشرات الألوف من النساء الغربيات انتمين إلى هذه الجمعية، وقد ألّفت رئيسة الجمعية كتاباً يحمل الاسم نفسه (جمعية المرأة المستسلمة لزوجها) حيث طبع منه لحد الآن نصف مليون نسخة!

أما فكرة الجمعية بإجمال فنابعة من أن الحضارة المادية أجّجت الصراع فى داخل العائلة بين الرجل والمرأة من خلال خطاباتها التحريضية لكل منهما، فجعلت كلاً منها ضد الآخر والمؤسف أن هذه الحالة بدأت تتسرّب إلى البلدان الإسلامية، كلّ حسب مستوى تأثره بالحضارة الغربية.

إن الحضارة الغربية تقول للمرأة: لكِ كيانكِ وشخصيتكِ المناظرة للرجل فتمرّدى عليه فليس له قيمومة عليك بل أنت مساوية له لا فرق بينك وبينه من أية جهة، وهذا يعنى تنصيب قائدين فى موقع واحد وتأجيج الخلاف بينهما، فهل سيبقى هذا الكيان قائماً أم سيتحطم كما نرى فى الغرب؟

تقول الإحصائيات إن أرقام الطلاق فى الغرب رهيبة جداً، وكذلك حالات الانتحار الناتجة من الخلافات العائلية، أما الخيانات الزوجية فغدت أسهل من شرب الماء عندهم.

ملخص فكرة الجمعية هو العودة إلى الحالة التى كانت عليها المرأة قديماً خاضعة لزوجها، مستسلمة ومطيعة له، واعتباره القيّم على شؤونها (الرجال قوّامون على النساء)!

الزهراء ?النموذج الصالح والقدوة الحسنة

إننا نعتقد أن أفضل رمز ونموذج يمكن أن نقدمه للمرأة فى العالم كله، هى السيدة فاطمة الزهراء، ?وسيُقبل العالم على الاقتداء بهذا النموذج إن نحن نجحنا فى تعريف العالم بشخصية الزهراء.?

لقد اطّلعت سيدة يابانية فى قضية لا مجال لتفاصيلها الآن على حياة فاطمة الزهراء ?فتأثرت بها وقالت:

«هذا هو النموذج الذى كنت أبحث عنه»

ثم أعلنت إسلامها.

المرأة المعاصرة حتى المسلمة تحتاج اليوم إلى هذه القدوة المثالية، بل نحتاج إليها جميعاً فى بيوتنا وعوائلنا.

لقد كانت الزهراء ?قمّة فى حياتها الزوجية حتى قال عنها زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فو الله ما أغضبتُها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتْنى ولا عصت لى أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان».

أفلا نحتاج اليوم لمثل هذا النموذج؟ أوَ لا يحتاجه العالم كله أيضاً؟

ألا تشكل الزهراء ?بديلاً أفضل من هذه النماذج المعروضة؟

وفى وصيتها هى ?تقول للإمام عليه السلام: «يابن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى».

فقالعليه السلام لها: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتى».

ألسنا اليوم بأمسّ الحاجة إلى هذا المثال؟! وكان أبوها النبيعليه السلام قد أوصاها أن لا تطلب شيئاً من زوجها.

وقد ذكر المؤرخون:

«أنه دخل الإمامعليه السلام الدار يوماً فقال لها: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والذى عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شيء آثرتك به؟ قال: أفلا أخبرتنى؟ قالت: كان رسول اللهعليه السلام نهانى أن أسألك شيئاً».

أفتوجد اليوم امرأة لا تطلب من زوجها شيئاً وتصبر على ذلك ثلاثة أيام؟

ألا يحتاج العالم لهذا النموذج الذى يأخذ بيده من هوّة الماديات السحيقة إلى قمة المعنويات والكمال والحياة السعيدة؟

لقد أنجبت السيدة الزهراء وربّت خيرة النساء؛ زينب وأم كلثوم، وخيرة الرجال؛ الحسن والحسينعليهم السلام.

فما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بها فى حياتها العائلية؛ مع زوجها وأبنائها؟ وما أحوجنا إلى الاقتداء بجهادها وصبرها، فلقد كانت مجاهدة من الطراز الأول، وأنجبت أئمة معصومين جاهدوا ضد الطغاة والحكومات المستبدة فكانوا بحقّ قلاع الحرية الحقيقية، ونحن اليوم بحاجة إلى هذه النماذج، وينبغى لنا عرضهم رموزاً وقدوات فى بلادنا وفى العالم كله.

الغرب بأمسّ الحاجة إلى الرموز المعنوية

هل سمعتم بجسر الانتحار فى لندن؟ يقول أحد الإخوة ممن كانوا هناك:

«لا حظت أنهم صنعوا لأحد الجسور حاجزاً من الجانبين، فسألت عن السبب، فقيل لى: إن هذا الجسر يقع على شارع للسير السريع، فكان الذين يريدون الانتحار يلقون بأنفسهم منه للشارع الذى تحته فتدهسهم السيارات المسرعة، وقد بنى على جانبيه هذا الحاجز للحد من حالات الانتحار المتزايدة يومياً».

فأية حياة يعيشها الغربيون؟ هل هذه هى الحضارة التى يتبجحون بها؟ إنها ليست سوى مظاهر خاوية من الداخل، مثلها مثل من أشرف على الموت لإصابته بمرض عضال كالسرطان ولكنه يحتفظ بمظهر طبيعى!!

ولذلك إذا عُرض على الغربيين الإسلام بشكل صحيح أقبلوا عليه، لكن المشكلة فى أن عرضنا ضعيف.

نقل وكيل أحد التجار فى طهران أن أحد المؤمنين كان قد أعطاه كتاباً للوالد ?حول الإسلام، فأهداه فى إحدى سفراته الأوربية إلى امرأة تعمل فى شركة يتعامل معها، فلم يمض يوم على قراءتها الكتاب حتى اعتنقت الإسلام!.

مسؤوليتنا تجاه الزهراء؛ ?فراغات لابد من ملئها

هناك فراغات كثيرة فيما يتعلق بمسؤوليتنا تجاه الزهراءعليه السلام وبخاصة فى شهرى جمادى الاولى والثانية، ومنها:

١. لقد ألّف العامة فى «فقه عائشة»، ولا أدرى هل من فقهها خروجها على إمام زمانها الذى قال فيه النبيعليه السلام: حربك حربى؟!

ولم يكتب أحد على حدّ علمى فى «فقه فاطمة» ?بشكل مستقل إلا السيد الوالد، ?ولكن المشروع بحاجة إلى المتابعة.

٢. ثمة فراغ فى مخاطبة العقل الجامعى، أجل إن الكتب الموجودة عندنا جيدة، ولكن لكل جيل عقلية معينة، فعلينا أن نؤلف كتباً عن السيدة الزهراء ?تخاطب عقلية الجامعيين.

عندنا كتب عن الحجاب ولكن كم منها يتحدث بلغة الفتيات الجامعيات؟ هذا فراغ ينبغى ملؤه أيضاً.

٣. وهناك فراغ فى الكتب التى تخاطب العقل الغربى، فللغربى عقلية معينة تختلف عن عقلية الشرقى، وأسلوب الكلام الذى تقوله للشرقى ربما لا يقبله الغربى، إذن نحن بحاجة إلى كتب تخاطب العقل الغربى، وقد شاهدت قبل أيام كتاباً كتب خصيصاً لمخاطبة العقل الغربى عن الزهراء، ?ولكن ينبغى المزيد، ففى هذا المجال يوجد فراغ أيضاً.

۴. وأخيراً لدينا فراغ فى مجال المؤسسات الاجتماعية الصغيرة، وأعنى بها التجمعات والمجالس البيتية، وهذه مهمة جداً.

لا ـ شك أن للكيانات والمؤسسات الكبيرة كالحسينيات والمساجد دورها المهم والمؤثر، بيد أن للمجالس الصغيرة البيتية دورها الخاص الذى قد لا تنهض به المراكز الكبيرة، إذن فلنشجع على هذه الظاهرة ظاهرة تشكيل المجالس البيتية وبخاصة فى أيام جمادى الأولى والآخرة.

نقل لى أحد المؤمنين فى الكويت أنه ذهب إلى البحرين لصفقة تجارية مع أحد التجار البحرينيين الذين يتعامل معهم، فأخبره أنه سيلتقيه اليوم التالى، ولكن الأخير اعتذر وقال إنه يعطل عمله يوم غد، يقول التاجر الكويتى:

«فتعجبت وقلت: وما المناسبة ولا توجد عطلة رسمية أو عيد ولا هو بيوم جمعه مثلاً؟ فقال: أنت شيعى ولا تعرف! غداً يوم وفاة فاطمة الزهراء ?وعندنا عطلة.

يقول الكويتى:

«فأسفت على غفلتى وأنا الشيعى، واهتمام هذا التاجر بالموضوع مع أنه من أبناء العامة، فعقدت العزم على إقامة مجلس العزاء فى بيتى كل عام بهذه المناسبة، وأنا مستمرّ على ذلك منذ حوالى أربعين سنة، وقد لمست منه الخيرات والبركات الكثيرة».

فلنشجع أبناءنا على إحياء هذه المناسبة وإقامة هذه المجالس التى قد تستمر بعدنا عشرات الأعوام، كما أن فى طهران اليوم مجالس يعود تاريخها إلى أكثر من مئة عام.

ويوم كان الوالد ?فى الكويت شجّع هذه الظاهرة، وها نحن نلمس النتائج، فهى اليوم بالمئات، وإننى لا أذكر أن أحداً بدأ مجلساً ثم تركه بل هى مستمرة حتى يومنا هذا لما لمس أصحابها فيها من الخير والبركة، فلنحاول جهدنا لملء هذا الفراغ أيضاً.

وستكون هذه الأعمال ذخراً لآخرتنا إن شاء الله تعالى، وقد نقل لى أحد الإخوة الذين حضروا دفن السيد محمد كاظم القزوينى ?أنهم وضعوا كتاب «فاطمة من المهد إلى اللحد» الذى هو أحد تأليفاته مقابل وجهه فى قبره بناءً على وصيته، ويوم القيامة يأتى السيد القزوينى ومعه كتاب «فاطمة من المهد إلى اللحد»، ويأتى السيد كاظم الكفائى ?ومعه كتابه المشهور «الزهراء فى الأدب والتاريخ» ذلك الكتاب الذى حُكم عليه بسببه بالإعدام فى عهد الحكم البائد فى العراق، ولكن الله تعالى نجّاه، ويأتى العلامة الأمينى ?ومعه «الغدير» وهكذا صاحب العبقات، وقد نقل عن أحد علمائنا الماضين ?أنه سأل عن أشدّ المناطق نصباً لأهل البيتعليهم السلام ثم شدّ الرحال إليها لكى ينشر بينهم الولاء لآل البيتعليهم السلام. وثمة شخص آخر استشاط المخالفون غضباً من جهوده فى خط أهل البيتعليهم السلام فقرروا الانتقام منه ومن الذين اهتدوا على يديه، فأحاطوا بالمسجد الذى كان فيه وأحرقوه بمن فيه، فاستشهد هو والمؤمنون الذين كانوا معه، ?وسيأتى هذا الرجل ومعه هذه التضحية الكبرى كوثيقة للشفاعة يوم القيامة، فبماذا سنأتى نحن؟

هل فكرنا فى ذلك؟

إن امرأة مؤمنة باعت ذهبها وتبرعت بثمنه لطباعة كتاب عن أمير المؤمنينعليه السلام، كما باع الشيخ محمد جواد البلاغى ?بيته فى سبيل نشر الدين، أفلا نقدّم نحن أيضاً ما نقدر عليه فى هذا الطريق، ليكون وثيقة من وثائق الشفاعة فى يوم القيامة? يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ?بإذن الله تعالى؟!

أسأل الله تعالى التوفيق لى ولكم لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

فاطمة الزهراء المقامات الغيبية والوجه الحضارى

فاطمة الزهراء المقامات الغيبية والوجه الحضارى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

حديثنا فى هذه المحاضرة عن الصدّيقة الزهراء ?فى فصلين:

الفصل الأول: فى المقامات الغيبية للصدّيقة الطاهرة ?فى إطارها الكلّى.

الفصل الثانى: فى الوجه الحضارى للصدّيقة الطاهرة.?

الفصل الأول: المقامات الغيبية

الفصل الأول: المقامات الغيبية

هنالك اتجاه انتشر فى العقود الأخيرة بين البعض يمكن أن نطلق عليه التفسير المادى للدين. نتناول بيان هذا الاتجاه ومناقشته فى البحوث التالية:

البحث الأول: لماذا نشأ هذا الاتجاه؟

البحث الثانى: ما هو الموقف إزاء هذا الاتجاه؟

البحث الثالث: ما الفائدة من البحوث التى تتناول المقامات الغيبيّة؟

البحث الأول: سبب نشوء التفسير المادى للمسائل الدينية

لقد نشأ اتجاه التفسير المادى لدى البعض فى تفسير المعتقدات والمسائل الدينية، على أثر عوامل منها المد المادى الغربى الذى حصل كرد فعل على التجربة المريرة التى خاضها المجتمع الأوربى مع الكنيسة التى كانت تفرض أفكارها الخرافية على الناس باسم الدين.

ولا يخفى أن مثل هذه الأفكار الخرافية موجودة حتى الآن عند بعض مشايخ الوهابية، فهنالك مثلا كتاب لأحد شيوخهم يصرّ فيه على أن الأرض ساكنة ويكفّر أو يضلّل كلّ الذين يخالفونه فى ذلك. ومن أدلته على رأيه أننا عندما ننهض كل صباح نرى البقال والعطار والخباز كلًّا فى مكانه، ولو كانت الأرض متحركة كان البقال يوماً فى الجانب الأيمن ويوماً فى الجانب الأيسر مثلا.

يقول الشيخ فى كتابه أيضاً:

«كثيرون نصحونى أن لا أكتب هذا الكتاب ولكن الحق أحق أن يقال»!

هكذا كان حال رجال الدين المسيحيين فكانوا يعتقدون بنظريات باطلة يرفضها العلم، وكانوا يصرون عليها ويكفّرون من يقول بخلافها، ويفتون بقتله، فكانوا يتهمون العلماء بالإلحاد ويحكمون عليهم بالإعدام بسبب نظرياتهم العلمية التى تناقض أفكار الكنيسة.

هذه الحالة خلقت ردّ فعل فى الغرب وظهر اتجاه يرفض القضايا الغيبية برمّتها ويقول إن كلّ المعارف البشرية الصحيحة هى التى تبتنى على التجربة والمشاهدة، والتى يمكن إثباتها فى المختبر أو عبر المعادلات الرياضية، أما الأشياء الغيبية فكلها لا اعتبار لها لأنها غير خاضعة للحس والمشاهدة والتجربة. وشيئاً فشيئاً طغت هذه النزعة على الغرب عموماً.

وحيث إن حضارة الغرب هى الحاكمة اليوم وهذا شىء لا ينكر، فلقد كنا فى يوم من الأيام نحن أصحاب الحضارة الحاكمة وكان الغرب محكوماً، وعدنا اليوم محكومين والغرب حاكماً والحضارة الحاكمة تؤثر فى الحضارات المحكومة، كانت النتيجة أن انتشر هذا الاتجاه (الذى يؤمن بالعلم التجريبى فقط) فى أوساط مجتمعاتنا وتأثر به بعض المتدينين أيضاً، فأخذوا يحللون الأمور تحليلاً مادياً، أما القضايا التى ترتبط بالغيب فإنهم يحاولون إلغاءها أو تأويلها بنحو من الأنحاء.

البحث الثانى: الموقف من الاتجاه المادى

فی بیان هذا الموقف نقول: الدین والغیب أمران متلازمان لا ینفکان، ولو جُرّد الدین من الغیب لم یعد دیناً بل أصبح قانوناً کسائر القوانین الوضعیة السائدة. الدین لا ینفک عن الغیب بل یبتنی علیه، فلو جرّدتَ الدین من الغیب فقد جردته من قاعدته التی یبتنی علیها.

فالألوهیة غیب، وهی القاعدة الأولی التی یبتنی علیها الدین، ویعبَّر عن الله سبحانه ب «غیب الغیوب» و «الغیب المطلق». وفی الحدیث الشریف: «وإن الملأ الأعلی یطلبونه کما تطلبونه أنتم»، أی کما أننا لا ندرک کنه الله سبحانه لأنه غیب فکذلک الملائکة لا یعرفون کنه الله تعالی!

بل صفات الله غیب أیضاً، فنحن نعلم أن الله عالم ولکن ما حقیقة علم الله؟ إنّه غیب، وکل المحاولات البشریة لاکتشاف کنه صفات الله محاولات فاشلة.

والنبوة غیب، لأنها تبتنی علی الوحی وهو غیب. وهکذا المعاد.

یقول الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام: «سلکوا فی بطون البرزخ سبیلاً».

فمحاولة إخضاع کل شیء فی الدین للمعادلات المادیة، معناه إلغاء القاعدة التی یبتنی علیها الدین.

کما أن هنالک بعض التفاسیر للقرآن الکریم اتّسمت بالتفسیر المادی للمفردات الدینیة فهی تحاول أن تؤوّل کل شیء غیبی فی القرآن، ومن الأمثلة علی ذلک: محاولة تأویل قوله تعالی فی سورة البقرة?: ثُمَّ بَعَثْنَاکُم مِّن بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ، ?وقوله تعالی: ?فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا.?

وهناک بعض المفسّرین یؤولون قوله تعالی?: وَأَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْرًا أَبَابِیلَ ?تَرْمِیهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّیلٍ ?بالقول: إن الطیر والحجارة فی الآیة کنایة عن میکروب مرض قاتل انتشر بین صفوف الجیش!

ولکنا نسأل هؤلاء: ماذا تفعلون مع الجن والملائکة؟ وماذا تقولون فی المسیح وإحیائه الموتی وإبرائه الأکمه والأبرص بإذن الله تعالی؟! وکیف ستؤولون قول الله تعالی?: قَالَ عِفْرِیتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِکَ ?وعشرات الآیات الغیبیة الأخری؟ بل إن القرآن مشحون بالقضایا الغیبیة من أوله إلی آخره، فلا داعی للتأویل بل إما أن یقبل الإنسان بالغیب ککل أو یرفضه ککل؛ لا أن یلغی الأحادیث الشریفة ما أمکنه، ویقوم بتأویل الآیات الکریمة لأنه لا یمکن إنکارها!

المبحث الثالث: الفائدة من البحث فی المقامات الغیبیة

یقول بعض الناس: عرفنا أن للزهراء ?مقامات غیبیة، وأنها کانت تعلم الغیب مثلاً، أو أنه حصل کذا وکذا فی الملأ الأعلی عند زواجها، ?فما هی الفائدة أو الثمرة التی نجنیها من هذه المباحث وأمثالها؟

الجواب علی هذه الإثارة بجوابین: نقضی وحلّی.

- أما الجواب النقضی فیمکن طرحه فی ثلاثة مستویات:

المستوی الأول: مباحث علم الکلام

فنقول: وما هی فائدة کثیر من مباحث علم الکلام والحکمة الإلهیة؟ فمثلاً: ما فائدة معرفة أن الممکن مرکب من وجود وماهیة؟ وما الثمرة التی نجنیها من معرفة أن الوجود مشترک أو غیر مشترک وأنه مشترک لفظی أو معنوی؟ وأنه حقیقة واحدة أم حقائق متعددة؟ وأن الوجود أصیل أو الماهیة؟ هل هذه البحوث یمکن أن تحلّ محل الماء والخبز؟ أم یقال فی الجواب: لیس بالماء والخبز وحدهما یحیا الإنسان!

وإذا کان الأمر کذلک فلماذا یوجَّه الإشکال علی بحث المقامات الغیبیة للصدیقة الزهراء وأهل البیتعلیهم السلام، ولا یوجّه لمباحث

علم الكلام؟

المستوى الثانى: العلوم الطبيعية

فنقول: وما فائدة كثير من المعارف فى العلوم الطبيعية؟ مثل معرفة أن الشمس تبعد عنا كذا ميلا مثلاً؟ فهل بحوث كهذه تبنى بيتاً يسكن فيه الإنسان؟

أم يقال فى الجواب: ليس المطلوب من المعرفة دائماً أن تؤمّن بيتاً للإنسان؟

فإذا كان هذا الإشكال لا يرد هناك، فكذلك لا يرد هنا.

المستوى الثالث: العقائد الدينية

وقد يترقى بعض فيقول: وما الفائدة فى كثير من البحوث العقائدية مثل أن الله تعالى واحد أم اثنان؟!

إذن، الإشكال عام ومشترك ولا يرد على المقامات الغيبية وحدها، وهذا هو الجواب النقضى.

- أما الجواب الحلى فنقول:

أولاً: إن المعرفة مطلوبة لذاتها أى لها قيمة ذاتية، وهذه هى الفائدة العلمية.

ثانياً: إن للبشر ميلاً فطرياً لمعرفة الغيب، فإذا لم يملأ هذا الفراغ بالمعرفة الصحيحة ملأته الخرافة والأباطيل.

والدليل على ذلك أنا نرى النزعة الغيبية حتى بين الكفار، فالعرّافون لهم فى الغرب موقع كبير وسوق رائجة، وهكذا المنجمون والسحرة.

ثالثاً: هناك فرق كبير بين أن نعرف أن الإمام بشر عادى مثلنا فى كل شىء وبين أن نعرفه بمقامه الغيبى، ففرق مثلاً أن نعرف أن الإمام الرضاعليه السلام كان إماماً مفترض الطاعة وحسب، وبين أن نعرف أنه حى وناظر إلينا يسمع الكلام ويرد السلام، كما نقل عن أحد علمائنا أنه رأى الإمام يردّ سلام زائريه فرداً فرداً، فكما أن العالم خشيته من الله أكثر لأن معرفته بالله أكثر؛ قال تعالى?: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ?فكذلك سيزداد تعظيمنا لأئمتناعليهم السلام إذا ما عرفنا مقاماتهم الغيبية.

إذن لابد من عرض المقامات الغيبية للأئمةعليهم السلام وللصديقة الزهراء ?ولكن مقروناً بالتحليل والتعليل حتى لا تستثقله بعض الأذهان.

وبهذا ينتهى البحث عن المقامات الغيبية للصديقة الزهراء ?فى إطاره الكلّى وندَع البحوث التفصيلية لموقع آخر.

الفصل الثانى: الوجه الحضارى للصديقة الزهراء

الفصل الثانى: الوجه الحضارى للصديقة الزهراء

وهذا البحث يأتى مكملاً للبحث الأول (المقامات الغيبية) وهو بحث مهم جداً بل قد يكون واجباً بالوجوب المقدمى فى عالم اليوم؛ فإن العلماء يقولون إن مقدمة الواجب واجبة إما بالوجوب العقلى أو بالوجوب العقلى والشرعى معاً، فهم وإن اختلفوا فى نحو الوجوب إلا أن أصل الوجوب ليس محل خلاف.

وفى البدء أنقل لكم بعض القصص الواقعية لبيان حاجة الإنسان المعاصر إلى القيم وتعطشه إلى الأخلاقيات.

- القصة الأولى تعود لشاب خليجى كان يعيش مع شخص مسيحى فى بيت واحد، فكان يجلب له الطعام دائماً، فتأثر المسيحى بهذا السلوك وأعلن عن رغبته فى اعتناق الإسلام.

•والقصة الثانية: إن رجلا كافراً كان يرقد فى المستشفى فرأى أن جاره المسلم يزوره أصدقاؤه المسلمون أما هو فحتى ابنه لا يزوره، وعندما سأل جاره عن السبب قال:

«إن ذلك يعود لثواب عيادة المريض فى الإسلام. فقال المسيحى: أما أنا فابنى ينتظرنى حتى أموت لكى يبيع جثتى للمشرحة ثم اعلن إسلامه»!

•أما القصة الثالثة فتعود لشاب من دول الخليج يدرس فى إحدى الجامعات فى الغرب، يقول:

«كنت ذاهباً إلى الجامعة وكان الحضور فى ذلك اليوم مهماً جداً ربما لامتحان أو أمر مهم آخر إذ هطل المطر بغزارة، فاستظل الناس بسقف فى انتظار أن يتوقف المطر، وكنت أحمل مظلة، فرأيت فى الأثناء امرأة واقفة متحيرة لا تعلم ماذا تفعل، لأن المطر قد لا ينقطع بسرعة فيدركها الوقت ويفوتها الحضور فى الجامعة.

فأخذتنى الشفقة عليها لأنها فتاة فدنوت منها وسلّمتها المظلّة ثم ذهبت إلى الجامعة تحت الأمطار.

وبعد بضعة أيام رأتنى الفتاة فقالت لى: لقد حققت عنك فعرفت أنك من البلد الفلانى وأنك تدين بالإسلام، وأن ما قمت به تجاهى ينبع من بند فى دينكم يسمى الإيثار، وهذه القيمة مفقودة عندنا، ولقد أعجبنى دينكم، فعلّمنى كيف أدخل فيه!».

وما أكثر القيم التى توجد عندنا ولا مفهوم لها عند كثير من الغربيين، وإحدى هذه القيم قيمة الضيافة، وقد نقل أحد الإخوة أنه حتى الزوجين ربّما يدفع كل منهما ثمن طعامه بنفسه إذا دخلا المطعم.

وهذه الحالة المادية أثرت حتى على بعض المسلمين الذين ذهبوا إلى الغرب، ولذلك ترى تفكيرهم مادياً صرفاً، ولا يعملون شيئاً إلا بعد معرفة مردوده المادى ويحسبون حتى للدقيقة التى يصرفونها مع أحد بما يجنونه من ربح مادى فقط.

وفى ظل سيطرة التفكير المادى شهد الغرب تفككك الأسرة وغياب القيم الإنسانية، فالأب يُخرج أبناءه من البيت ليتدبروا أمرهم ولا يعد نفسه مسؤولاً عنهم، والأولاد لا يكترثون بما يحلّ بآبائهم وأمهاتهم، وبعض الأبناء ينتظر موت أبيه ليبيع جثته، أما الاحترام والطاعة والتفقد للوالدين فلا وجود لها غالباً فى المجتمع الغربى.

والأخلاق أصبحت أخلاقاً مادية، فالشخص لا يعود صديقه المريض إلا إذا رأى أن فى ذلك نفعاً مادياً له.

وإذا كان موقف واحد من شاب مسلم أثّر فى فتاة غربية وحوّلها إلى الإسلام فكيف إذا عرضنا حياة فاطمة الزهراء ?على العالم، وحياتها كلها مواقف وقيم؟!

من مواقف الزهراء

•لقد تصدقت الزهراء ?حتى بالقميص الجديد الذى أعطاها أبوها رسول اللهعليه السلام بمناسبة زواجها.

•وتصدقت بطعامها هى وزوجها وأطفالها وهم صائمون لثلاث ليال متوالية على المسكين واليتيم والأسير الكافر!

•وقد دعت من الليل إلى الصباح لجيرانها قائلة: الجار ثم الدار.

حقاً ماذا رأى جورج جرداق فى حياة عليعليه السلام حتى أصبح مغرماً به هكذا؟ لا شك أنه رأى مواقفه النبيلة المعبرة عن القيم الإسلامية.

وذلك المسيحى (انطون بارا) ماذا رأى من الحسينعليه السلام حتى كتب كتاباً حوله؟

وهناك كتاب ألّفته مؤلفة مصرية عن سيدة النساء الزهراء ?اطّلعتْ عليه امرأة يابانية فأسلمت وقالت:

«لقد أدركت أن فاطمة الزهراء ?هى المثل الأعلى لى فى حياتى وأسلمتُ على أثر قراءتى هذا الكتاب».

والحقيقة إن فى تاريخ قادتنا الألوف من هذه المواقف ولكنها تحتاج إلى عرض وبيان، وقد ذكر السيد الوالد ?فى مقدمة كتابه «فقه الزهراء» ?بعض القضايا الحضارية فى حياة الزهراء ?والتى يمكن أن تعرض على عالم اليوم وتؤثر فيه.

الخلاصة

إن علينا أن نتحرك بمقدار وسعنا لنشر وتوضيح هذين البعدين: المقامات الغيبية والوجه الحضارى فى حياة الصديقة الزهراء، ?ولا نحتج بعدم قدرتنا على ذلك، إذ القدرة متوفرة غالباً.

كان أحد العلماء يقول:

«إنى حجة الله على جميع الطلبة، فما من عذر يأتى به طالب إلا وقد وجد فى حياتى دون أن يمنعنى عن الاستمرار والمواصلة، فإذا احتج أحدهم بالفقر قلت له: لقد كنت أكثر فقراً منك. وإذا قال أحدهم: لقد بدأت متأخراً فى طلب العلم، فإنى قد بدأت بتعلم الأوليات وأنا فى (حوالى) الثلاثين من العمر. وإذا قال أحدهم إن ذاكرته كانت ضعيفة، فأنا كنت أنسى حتى أسماء أولادى وأضلّ أحياناً الطريق إلى بيتى بسبب ضعف ذاكرتى».

المهم أن الإنسان القادر لا يعذر وعليه أن يؤدى الدور المطلوب منه على مقدار طاقته ووسعه.

- لقد تبرعت امرأة فى الكويت بميراثها من أبيها فى بناء حسينية مازالت قائمة حتى الآن.
- واستطاع حارس ليلى فى الكويت أن يبنى حسينية، وهى حسينية جومدار المعروفة.
- وقد وفق شخص يبيع السماورات فى مشهد واسمه عابدزاده لبناء أربع عشرة حسينية بأسماء الأربعة عشر معصوماًعليهم السلام.
- كما نُقل أن الشيخ عباس على الإسلامى وفّق لبناء أربعمائة مشروع خيرى وأول مشروع بدأه فى بيته، فقد كان يجمع الأفراد فى غرفته يعلمهم القرآن، فيما كانت تذهب زوجته إلى المطبخ وتبقى فيه خلال تلك المدة التى قد تستغرق بضع ساعات؛ لأنه لم تكن فى البيت غرفة أخرى.

أفلا يكون هؤلاء وأمثالهم حججاً على كثير منا فى يوم القيامة؟

إذن ينبغى علينا أن نؤدى دورنا فى هذا المجال ولا نتذرع بعدم القدرة؛ فكلٌّ مطلوب منه على قدر إمكانه، ولله على الخلق الحجة البالغة.

نسأله سبحانه أن يوفقنا للخدمة فى سبيله.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

بيت الزهراء: نموذجاً

بيت الزهراء: نموذجاً

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقدّمة

نحن الآن على أعتاب ميلاد سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، الصديقة الكبرى، ومن على معرفتها دارت القرون الأولى فاطمة الزهراء، ?وحديثنا فى هذه المحاضرة عن بيت الزهراء.?

وقبل أن ندخل فى صلب الموضوع نقدّم مقدمة وهى: أن كل قيمة من القيم النبيلة إذا أريد لها أن تكون قائمة فى داخل النفس البشرية، أو على أرض الواقع الخارجى فلا بد أن يكون هنالك نموذج واقعى يمثّلها؛ وذلك لأن للمثل والنماذج الواقعية من الباعثية أضعاف ما للأفكار المجرّدة.

فإذا كان عندك طفل فى البيت مثلاً وأردت أن تدفعه لحفظ القرآن الكريم، فهل يكون لبيان الفكرة له (كالقول بأن حفظ القرآن نور وبركة) من التأثير مثل ما لو أريته نموذجاً واقعياً وقلت له: انظر إلى هذا الطفل فهو فى عمرك ولكنه يحفظ القرآن كله؟!

ومن لطف الله ورحمته بنا نحن البشر أنه تعالى جعل لنا أمثلة واقعية للقيم النبيلة، بل جعل سبحانه فوق ذلك ينابيع لتلك القيم.

فكما أن الله تعالى جعل لنا ينابيع فى عالم الماديات، فجعل الشمس نبعاً للدفء فى هذا العالم، وجعل العيون ينابيع للمياه العذبة، فكذلك جعل لنا ينابيع ثرية فى عالم المعنويات فى مختلف المجالات.

فالنبى يعقوبعليه السلام منبع الحنان الأسرى على مرّ التاريخ.

والنبى نوح شيخ الأنبياءعليه السلام منبع الاستقامة.

والنبى أيوبعليه السلام منبع الصبر،

والنبى آدمعليه السلام الذى بكى حتى صار على خده كالأخدود، منبع التوبة. والنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) الذى قال: ?إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى ?مثال التحدى والهجرة وينبوعهما.

والنبى عيسيعليه السلام منبع التبتل والإعراض عن الدنيا والانقطاع عنها.

أما المثال والينبوع الذى يمثل جميع القيم الخيرة والنبيلة فى الحياة فى أعلى صورها ومراتبها فهو محمد وآل محمدعليهم السلام.

مثال البيت الصالح والسعيد

إذا كان الإنسان يحتاج فى كل تلك القيم إلى مثل وينابيع، أفلا نحتاج فى تشكيل البيت الصالح والسوى والسعيد إلى نموذج ومثال يَستلهم منه ما يؤمّن الدنيا والآخرة: الرجل والمرأة والأولاد؟!

نستطيع القول فى الجواب: أجل، وأفضل نموذج لهذا البيت الصالح والسعيد هو بيت على وفاطمة.?

عندما نزلت هذه الآية الكريمة? فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ?قام رجل وهذه الرواية رواها العامة والخاصة فقال: أى بيوت هذه؟ فقال النبيعليه السلام: بيوت الأنبياء. فقام رجل آخر وأشار إلى بيت على وفاطمة ?وقال: هذا البيت منها؟ فقال النبيعليه السلام: نعم من أفضلها.

ووجود «من» التبعيضية فى عبارة الرسولعليه السلام إما أن يكون من باب إجابة الرجل السائل على قدر عقله، أو أن الجواب محيّث أى أنه كذلك من بعض الحيثيات وإن كان هو الأفضل على الإطلاق من حيثيات أخرى، فهل هناك بيت يضم معصومَين غير بيت على وفاطمة؟ ?لا شك أن النبيعليه السلام أفضل من أمير المؤمنينعليه السلام، ومن فاطمة الزهراء ?ولكن بيت النبى لم يضمّ معصومَين فإن خديجة ?لم تكن معصومة بالمعنى المعروف للعصمة.

ولئن كانت مريم ?معصومة لكنها لم يكن لها بيت بالمعنى المتداول للكلمة.

إذن يمكن القول إن بيت على وفاطمة ?هو أفضل البيوت على الإطلاق من هذه الحيثية.

معالم البيت الفاطمى

امّا معالم هذا البيت الشريف فهى كثيرة ومنها أنّه:

۱. بيت لا توقعات فيه.

۲. بيت لا توتر فيه.

۳. بيت لا تعقيد فيه.

۴. هو بيت العمل.

۵. هو بيت التعاون.

۶. هو بيت المحبة.

۷. هو بيت التربية.

ونقتصر فى هذه العجالة على شرح مختصر للمعالم الثلاثة الأولى.

۱. بيت لا توقعات فيه

البيت الذى لا توقعات فيه بيت سعيد، والمجتمع الذى لا توقعات فيه مجتمع سعيد، فالتوقعات من المناشئ المهمة للمشاكل والخلافات العائلية وهى أيضاً من مناشئ النزاعات والحروب الدولية.

وحيث إن المنظومات الفكرية للأفراد تختلف، وحيث إن الطبيعة النفسية والبدنية للرجل تختلف عن الطبيعة النفسية والبدنية للمرأة، فمن الطبيعى ان لايفهم أحد الطرفين بعض توقعات الآخر أو لايقتنع بها، ومن هنا تنشأ المشاكل بين الطرفين، وهذا لا يصدق على الحياة العائلية فقط بل ينسحب على الحياة الاجتماعية أيضاً، فعدم فهم التوقعات أو عدم الاستجابة لها قد يؤديان بعلاقة عمرها ثلاثون عاماً!

وكم ستكون علاقاتنا لطيفة إذا حصلت عندنا القناعة وقللنا من توقعاتنا من الآخرين؟!

وبيت على وفاطمة ?كان بيتاً خالياً من التوقعات.

•فلقد روى «أن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام طلب طعاماً من الزهراء ?فقالت: منذ يومين ولا يوجد عندنا طعام! فقال لها: ولم لم تخبرينى؟ قالت: إنى لأستحيى من إلهى أن أكلفك ما لا تقدر عليه».

فأين هذا النموذج من واقع مجتمعاتنا، حيث يكلّف كلّ من الرجل والمرأة: الآخر ما لا يطيق فى كثير من الأحيان؟

وفى رواية أخرى: فقال لها (أمير المؤمنينعليه السلام) يوماً: يا فاطمة هل عندك شىء؟ قالت: والذى عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شىء آثرتك به. قال: أفلا أخبرتنى؟ قالت: كان رسول اللهعليه السلام نهانى أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألى ابن عمك شيئاً إن جاءك بشىء عفواً وإلا فلا تسأليه.

حقّاً لو وُجدت هذه الحالة فى العوائل، فكم ستشعر بالسعادة والهناء؟

۲. بيت لا توتر فيه

إن التوتر أصبح معلماً من معالم العصر، فالعلاقات بين الدول يشوبها التوتر، والعلاقات الاجتماعية، يشوبها التوتر وعلاقة الرجل والمرأة فى داخل البيت يشوبها التوتر، وحديثنا فعلا فى البند الأخير، فالرجل ينتقد المرأة وهى تنتقده وكلّ منهما يهجر الآخر، ولا شك أن وضع الغرب أسوأ بكثير منا فى هذا المجال، وكلما اقتربنا من الغرب وثقافته أكثر تفاقمت هذه المشكلة فى بلادنا أكثر.

صحيح أن الغرب متقدم علينا من الناحية المادية ولكنه يعيش خواءً معنوياً فى كل المجالات، والحديث عن الخواء المعنوى والروحى فى الغرب حديث طويل لامجال له الآن، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض مظاهر ذلك الخواء من قبيل التوتر والقلق والكآبة وحالة السبعية والعدوانية؛ حيث إن كلا يريد افتراس الآخر، إلى غير ذلك.

لقد صدر كتاب يؤرّخ لحياة عبقرى من عباقرة الغرب العظام.

وقد ورد فى هذا الكتاب أن هذا العبقرى لم يستطع أن يعيش مع زوجته طويلاً فسرعان ما طلّقها. (لقد بلغ الحال ببعض الغربيين أنهم لايطيقون العيش مع زوجاتهم إلا فترة محدودة فيطلّق الزوج زوجته ولم يمضِ على زواجهما أكثر من سنتين، وبعضهم يطلق زوجته قبل ذلك خلافاً للعوائل المتدينة التى يعيش فيها الزوجان عادةً معاً إلى آخر عمرهما وإن بلغا أكثر من ثمانين سنة! فهكذا كان يعيش

آباؤنا وأمهاتنا).

ولم يكتف هذا العبقرى بتطليق زوجته بل أخذ يؤذيها واستمر على إيذائها حتى أُصيبت بخلل نفسى ظلت تعانى منه إلى أن ماتت.

هـذا مـع أن الله تعـالى يقـول لنـا فى القرآن الكريـم?: فَإِمْسَـاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْـرِيحٌ بِإِحْسَـانٍ ?أى إن أردت أيهـا الرجـل أن تحتفظ بزوجتـك فاحتفـظ بها ولكن ليكن تعاملك معها بمعروف، وإن شـئت طلاقها فليكن طلاقك لها بإحسان، ولا يحلّ لك أن تُلحق بها الأذى فى حالـة الزوجيـة أو تلاحقهـا بالإيـذاء بعـد الطلاق، بل فوق ذلك يقول الله تعالى?: وَمَتِّعُوهُنَّ ?أى اعطوهن ما يتمتعن به بعد الطلاق ويجبر خاطرهنّ الكسير، من دار أو خادم أو خاتم أو غيرها.

يقول الكاتب:

«ولقـد ابتلى الابن الأصـغر لهـذا العبقرى بـالجنون؛ وحقّ له ذلـك وهو يرى عائلـة مفككـة وتوتراً دائماً فى البيت مع أن المفترض أن يكون البيت واحة يستريح فى ظلها الإنسان بعد عنائه فى صحراء الحياة القاحلة».

حقاً إن الحياة كالصـحراء القاحلـة والإنسان بعـد أن يطوى مسافـة فى هـذه الصـحراء ويـذوق فيها الحر والبرد والغبار يحتاج إلى واحة يأوى إليها ويرتاح فى ظلها، والبيت هو الواحة المفترضة فى صحراء الحياة القاحلة.

فالرجل يتعب خارج البيت وينتظر أن يجد الراحة فى البيت، حيث تملأ المرأة والأطفال البيت بهجة وسروراً.

والمرأة تتعب فى إدارة شؤون البيت والأطفال وهى الأخرى تنتظر قدوم الرجل لتشعر بالسعادة فى ظله.

فإذا لم يكن البيت واحة وسكناً بل كان الزوجان يعيشان فى نكد ونزاع وخصام فهذا ليس بيتاً ينعم فيه الزوجان بالسعادة بل هو جحيم وشقاء!

يقول أحد الإخوة:

«سألت صديقاً لى: كيف حالك؟ فقال: الحمد لله أعيش فى الجنة. قلت: كيف؟ قال: لأن زوجتى سافرت فصار البيت جنة»

إذا كان الرجل يتعامل مع المرأة هكذا، والمرأة تتعامل مع الرجل هكذا، بحيث يشـعر كل منهما أنه أصـبح سعيداً بغياب الآخر وأمكنه أن يتنفس الصعداء بغيابه أفحياة هذه أم جحيم؟!

«وقـد رأينا حال ذلك العبقرى الذى طلّق زوجته وآذاها حتى مرضت وماتت، ثم أصـيب ابنه الأصـغر بالجنون وأودع المستشـفى، ولم يقم هذا العبقرى الكبير بزيارته حتى مرة واحدة إلى أن مات»

•وقـد زارنا قبل فترة صـديق عاش فى الغرب مدة مديدة وهو رجل متدين عمل أستاذاً فى إحدى جامعات لندن، فحدثنى عن التقدم التكنولوجى المدهش هناك، واستشهد على ذلك بحقائق فى مجال تخصصه، ثم قال:

«ولكن يوجـد هناك فراغ روحى هائل. فخلال الفترة التى كنت فى الغرب ظهر أشـخاص كثيرون يـدّعون النبوة، والعجيب أنهم كانوا يجـدون لهم أنصـاراً يلتفون حولهم فـترة قـد تسـتمر أربع سـنوات أو خمس سـنوات إلى أن يكتشـفوا حقيقتهم ويعرفوا أنهم دجـالون فينفضوا عنهم!».

وهذه الحالة تدلّ على الفراغ الروحى والتعطش الموجود فى الغرب للمعنويات.

•ونقل أحد الأشخاص أيضاً ممن كانوا قد ذهبوا إلى دولة يطلق عليها (الدولة العظمى) وقال:

«شاهـدت على التلفزيون مقابلـة مع إحـدى النسـاء الشـهيرات والثريات جـداً، كانت تجيب خلالها على الأسـئلة الموجهـة إليها، ولكن بمجرد أن سئلت: هل أنت سعيدة فى حياتك؟ أجهشت بالبكاء أمام ملايين المشاهدين!».

وهذه الوقائع تكشف عن غياب السعادة فى المجتمع الغربى؛ والبيت الغربى.

ولقد كان من معالم البيت العلوى الفاطمى أنه بيت لا توتر فيه.

يقول الإمام أمير المؤمنينعليه السلام: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتُها على أمر حتى قبضها الله عز وجل ولا أغضبتْنى ولا عصت لى أمراً».

فلا على يغضب فاطمة ولا فاطمة تُغضب علياً.?

وفى وصية الزهراء ?قالت: «ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى. فقالعليه السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتى».

ولقد اقتدى بهما ?الكثير من أسلافنا فعاشوا حياة هانئة طيبة ولم يكن أحد الزوجين يفترق عن الآخر حتى الموت.

۳. بيت لا تعقيد فيه

لقد كان بيت على وفاطمة ?بسيطاً فى كل شىء، بل لم يكونا يملكان فى البداية بيتاً أصلاً، فلقد تزوج الإمام أمير المؤمنينعليه السلام من فاطمة، ?ولم يكن عندهما بيت فقدم إليهما الحارثة بيتاً ثم بنى الإمامعليه السلام بيتاً له بعد الزواج.

أما مهر فاطمة ?فهناك رواية تقول إنه كان أربعمئة درهم، وهناك رواية أخرى تقول إنه كان أربعمئة وثمانين درهماً، ورواية ثالثة تقول إنه كان خمسمئة درهم، ولقد نقل السيد الوالد على ما أظن رواية تقول إنه كان ثلاثين درهماً، وكان الوالد ?يجمع بين هذه الروايات باختلاف الدراهم.

وقد قسّم المهر إلى ثلاثة أقسام، ثلث للأثاث وثلث للطيب وثلث للوليمة على ما يستظهر من بعض الروايات فيكون المبلغ المصروف فى الجهاز ثلث المجموع فقط!

وكان من الجهاز إهاب كبش ينامان عليه فى الليل ويُعلف عليه الناضح فى النهار!

أما قميص ليلة الزفاف فقد تصدقت به الزهراء، ?على السائل، ولم يكن عندها قميص جديد آخر فلبست ?القميص العتيق!

ونحن إذا اقتدينا فى بيوتنا ببيت الزهراء وعلى ?أفنظل نعانى بعد ذلك من المشاكل التى نعانى منها اليوم؟!

هذه كانت بعض معالم بيت الزهراء ?ونوكل الحديث عن المعالم الأخرى إلى فرص أخرى.

التعريف ببيت الزهراء

ننتقل إلى فصل آخر نتناوله باختصار وهو ضرورة طرح نموذج بيت الزهراء ?فى المجتمع الصغير أى العائلة وفى المجتمع الكبير أى المدينة وفى المجتمع الأكبر أى العالم.

وقد قال أحد الشخصيات:

«نحن إن لم تكن عندنا هذه النماذج كان يجب علينا أن نخترعها».

وهذا ما يفعله بعض الروائيين حيث يخترعون نماذج لبعض القيم النبيلة.

أما نحن فلا نحتاج لأن نخترع نماذج للقيم النبيلة فهى موجودة عندنا ولكن يجب علينا عرضها وتذكير أنفسنا وأبنائنا ومجتمعاتنا (الصغير والكبير والأكبر) بها. وحسناً كان يفعل بعض الآباء والأجداد، فلقد كانوا يذكرون لأولادهم كل يوم قبل المنام حكاية من حكايات النبى الأعظم والأئمة الطاهرينعليهم السلام فكانوا يربّونهم على هذه المثل.

ونحن إذا لم نربِّ أبناءنا على هذه النماذج ولم ننشرها فى المجتمع الصغير والكبير والأكبر فإننا قد نخسر آخرتنا ودنيانا، لأن الابن الذى ملأت ذهنه ثقافة الغرب سيقف يوماً فى وجه أبيه وربما يقتله من أجل بعض النقود.

وهناك قصة واقعية حدثت فى هذا المجال مجملها:

«إن ولداً قال لأبيه: أعطنى المقدار الكذائى من المال وإلا قتلتك. فقال الأب: إنه ليس مالى. فما كان من الولد إلا أن أخرج سكينة أو نحوها وغرزها فى رقبة أبيه وذبحه».

فإذا لم نعرض هذه النماذج المشرقة، فمن الذى يحفظ هؤلاء الأبناء والبنات، وما الذى يحول دون هروب الفتيات من البيوت؟ (فلقد

شاعت فی بعض البلدان الإسلامیة ظاهرة الفتیات الهاربات) وما أکثر الفضائح التی تحدث فی البلاد الإسلامیة ولا تتمکن الحکومات من الوقوف فی وجهها أو الحدّ من تزایدها!

ومن الطبیعی أن لا تفلح الدول والحکومات فی القضاء علی هذه الظواهر المرَضیة لأن العلاج والحلّ لیس فی القوة بل فی عرض النماذج المربیة.

أنقل أدناه قصتین واقعیتین:

- القصة الأولی: هی قصة رجل سحب أمواله من المصرف فی بلد عربی وفی داره فوجئ بشخصین ملثمین مسلّحین أو أکثر یهاجمانه ویطلبان منه المال، فقال لهم: لا بأس ولکن دعانی أذهب إلی تلک الغرفة لآتیکما بالمال، وخرج الرجل لیدخل من باب آخر ویوجّه إلیهما نیران سلاحه فأرداهما معاً. وعندما کشف لثامهما اکتشف أن أحدهما کان ابنه والآخر ابن أخیه.

أرأیت کیف یتعامل الابن مع أبیه من أجل المال إذا کانت ثقافته مادیة؟ ولماذا لا یفعل ذلک إذا کانت ثقافته کذلک؟ إنه إن لم یقتل أحداً من أجل المال وقد سنحت له الفرصة ربّما یعدّ سفیهاً من وجهة النظر المادیة?، قَالُواْ أَنُؤْمِنُ کَمَا آمَنَ السُّفَهَاء. ?إن التربیة المادیة تقول: إن الترفع عن القتل وترک الفرصة فی الحصول علی المال تذهب هدراً سفاهة، ولکن الفکر الدینی یقول (والله لو اُعطیت الأقالیم السبعة بما تحت أفلاکها علی أن أعصی الله فی نملة أسلبها جلب شعیرة ما فعلت).

- القصة الثانیة: نقلها حدیثاً أحد الإخوة المؤمنین الذین ذهبوا إلی الغرب.

قال: إن رجلاً مؤمناً مهاجراً إلی الغرب رأی ابنته فی طریق الانحراف فقرر أن یهجر بلاد الغرب، فسافر مع ابنته وعائلته إلی بلد إسلامی وهناک مزّق جوازات سفر الدولة التی قدموا منها کی لاتستطیع ابنته العودة، ولکنها ذهبت إلی سفارة ذلک البلد الغربی واشتکت علی أبیها ثم حصلت علی ورقة عادت بها إلی بلاد الغرب تارکة عائلتها، فإذا کان وضعها هکذا وهی فی ظل أبیها فکیف ستتصرف بعد ذلک وقد تخلصت منه نهائیاً؟!

الخلاصة: أن دنیانا مهددة قبل آخرتنا إن لم نتدارک الأمر ولم نقم بعرض النماذج النیرة مثل بیت الزهراء وخدیجة ?علی مجتمعنا الصغیر والکبیر والأکبر بکلّ قوة؛ عسی أن نستنقذ دنیانا وآخرتنا بإذن الله سبحانه.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

الشعائر الفاطمیة

الشعائر الفاطمیة

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین

قال الله تعالی فی کتابه الحکیم:

?وَمَن یُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَی الْقُلُوبِ.?

مقدّمة

قبل الحدیث عن الشعائر الفاطمیة ومسؤولیتنا إزاءها، نتحدث أولاً عن الشعائر الدینیة عموماً، وعن الشعائر الإیمانیة خصوصاً، فکلّ هذه الأنواع الثلاثة من الشعائر (الشعائر الدینیة بشکل عام، والشعائر الإیمانیة بشکل خاص، والشعائر الفاطمیة بشکل أخصّ) تنضوی تحت جامع مشترک وهو عنوان «شعائر الله» لأن أی شعیرة لها نوع إضافة الی الله سبحانه فهی من شعائر الله سبحانه.

الشعائر الدينية: مفهومها وأدوارها

أ مفهوم الشعائر الدينية

الشعائر جمع شعيرة والشعيرة هى العلامة الحسية التى تقود الإنسان نحو صاحب الشعيرة، فالشعائر الدينية كما يبدو عبارة عن العلامات الحسية التى تقود الإنسان الى الله سبحانه وتعالى.

ووجود العلامات الحسية قضية مهمة جداً، وقد تنبع أهميتها من النزعة الحسية الموجودة لدى الإنسان؛ فإن الإنسان لا تحرّكه الأشياء التجريدية بقدر ما تحركه الأشياء المحسوسة، وربما لهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون بشراً ولم يكونوا ملائكة؛ قال تعالى?: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ?أى فى قالب حسّى بشرى، ولعله من هذا المنطلق أيضاً كانت العبادات عادةً أموراً حسية مع أن جوهرها أمر معنوى وهو النية، فالصلاة مثلاً لها قالب حسى هو القيام والركوع والسجود، ولعله لهذا السبب أيضاً كانت الشعائر الدينية علامات حسية.

ب دور الشعائر الدينية

للشعائر أدوار كثيرة ومن أهمها: دورا الحماية والهداية، فالشعائر من أعظم الوسائل لهداية الآخرين، وبالشعائر يمكن أن نحفظ الفرد والأمّة ونصونهما من خطر الذوبان والانصهار فى الثقافات الأخرى، ومن هنا تلاحظون اليوم حملة شديدة فى الغرب على شعائرنا الدينية (ولعل من يقود ويخطّط لهذه الحملة هى اليهودية العالمية) وخير مثال على ذلك ما نشهده اليوم من هجمة على الحجاب؛ بهدف تذويب المرأة المسلمة فى المجتمع الغربى، فالحجاب كشعيرة هو الذى يحفظ إيمان المرأة المسلمة ويصونها من الذوبان فى الأفكار المضادّة، كما المسجد والحسينية والأذان وصلاة الجماعة والشعائر الحسينية.. فهذه كلّها من الشعائر الدينية التى تحفظ إيمان المسلم وتقيه من الانصهار أو التصدّع الإيمانى.

ومن هنا أيضاً حارب حزب البعث فى العراق المساجد والحسينيات والحوزات الدينية ورجال الدين، كما حارب البهلوى الأول فى إيران الحجاب بشدّة وكان يصرّ على أن لا تكون هناك (فى إيران) محجبة واحدة، وقد نقل أنه حوّل المدرسة الفيضية (وهى واحدة من أكبر المدارس الدينية فى قم) إلى مخزن للبضائع بعد أن أخليت أو كادت من طلّابها.

إذن ما دامت الشعائر الدينية موجودة فهذا معناه وجود الحماية للدين، وإذا ما استطاع نظام مّا أن يقضى عليها فهذا هو بداية الطريق للقضاء على الدين. وقد أفتى الفقهاء بوجوب الهجرة من البلد الذى لا يمكن إقامة شعائر الدين فيه، مع أن الهجرة من أشقّ الأعمال على الإنسان، حتى قيل إن الهجرة أخت الشهادة، لأن الشهادة تنهى الحياة المستقبلية (الدنيوية) للإنسان أما الهجرة فتضع حداً لحياة الإنسان الماضية والعلاقات التى أنشأها طيلة عقود ويكون عليه أن يبدأ حياته الجديدة من الصفر.

الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية

الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية

نفس الدور الذى تنهض به الشعائر الدينية لحفظ الدين فى بعد الحماية والهداية تنهض به الشعائر الإيمانية لحفظ الإيمان.

هذا ولا يخفى أن الإيمان مركّب من سلب وإيجاب أى نفى وإثبات، ومن الشعائر الإيمانية ما يحتوى على بعد الإثبات فقط ومنها ما يحتوى على البعدين معاً.

والشعائر الفاطمية من الشعائر الإيمانية التى تعنى بالبعدين (التبرّى والتولّى) بكل قوّة وبشكل واضح وصريح ومباشر.

إن قضية سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام قضية مهمّة جداً، وهى تحتوى على البعدين، وتدين الخلافة الأموية بشكل مباشر، كما تدين خلافة الأوائل بشكل غير مباشر (لأن الخلافة الأموية التى مثّلت انحرافاً واضحاً عن خط الاسلام، كانت نتيجة لخلافة الأوائل)، وهكذا قضية الغدير فإنها تثبت بُعد التوّلى بشكل مباشر، كما تثبت بعد التبرّى بشكل غير مباشر.

أما القضية الفاطمية فإنها تمثّل إدانة مباشرة لكل الحكومات المنحرفة ابتداءً من حكومة الأوائل وانتهاءً بحكومة العثمانيين؛ ومن ثم فإن إحياء القضية الفاطمية هو إحياء للإيمان كله.

إن قضية الزهراء ?وإدانتها للأوائل واضحة جداً، لا غموض فيها ولا لبس.

يكفى أن تطرح هذا السؤال على أى مسلم: لماذا كل زوجات النبيعليه السلام قبورهن معلومة، ولكن بنت النبيعليه السلام العظيمة قبرها مجهول؟

وفى هذا الصدد ينقل أن «نظام العلماء ?» عندما ذهب إلى الحج، التقى شخصاً فى المدينة المنورة، فسأله: لماذا لم يُشيّع جثمان فاطمة؟ ?فقال: ولِمَ لَم يُشيّع، فقد شُيّعت ?تشييعاً عظيماً. فقال له: هل تعرف كم اشترك فى تشييع نافع وهو أحد القرّاء؟ قال: خلق كثير يزيد على الخمسمائة شخص.

فقال نظام العلماء: لماذا إذن عُرف قبر نافع ولم يعرف لفاطمة قبر؟

فقال الشخص: لا أعلم.

وهنا قال له نظام العلماء: ولكنى أعلم، لأن فاطمة ?أوصت أن تدفن ليلاً وأن لا يحضر تشييعها إلّا بضعة نفر.

ثم أخذ نظام العلماء يشرح لذلك الرجل مجريات الأحداث بعد وفاة النبيعليه السلام.

وكما أن قضية الإمام الحسينعليه السلام كانت السبب وراء تشيّع كثيرين، فكذلك هى قضية الزهراء.?

أحد المستبصرين وهو محام معروف ينقل فى سبب تشيّعه لآل بيت النبيعليه السلام: أنه كان فى سفرة إلى بيروت فوقع نظره على كتاب حول «أبناء الرسول فى كربلاء» (لأحد علماء العامة)، فلفت انتباهه، وبعد أن طالعه أذهله ما جرى لأبناء الرسولعليه السلام فى كربلاء! فبدأ التحقيق الذى انتهى به إلى التشيّع.

وهكذا غيّرتْ قضية كربلاء هذا المحامى وحوّلته إلى أحد المحامين عن مذهب أهل البيتعليهم السلام.

كذلك روى مؤلفٌ مشهور أن تحوّله لمذهب أهل البيتعليهم السلام كان بسبب استماعه إلى كاسيت صوتى سجّل عليه نصّ الخطبة الفدكية للسيدة الصديقة الزهراء ?إذ صار سبباً لبحثه عن الحقيقة، وانتهى به إلى الانتماء إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام.

مسؤوليتنا فى شهرى جمادى الاولى والاخرة

إن هذين الشهرين يتعلقان بسيدة النساء فاطمة الزهراء، ?وتتمثل مسؤوليتنا ضمن ما تتمثّل فى إحياء قضيتها، ?وهذا الإحياء له مفردات كثيرة، ولكن هناك عنوانان عامّان يجمعان هذه المفردات (وإن كان بينها نوع من أنواع التداخل).

العنوان الأول: الإحياء الشعائرى

مثل لبس السواد فى الأيام الفاطمية وتسيير مواكب العزاء والحضور فى المجالس التى تقام بالمناسبة.

لقد جمع السيد الإمامى ?وهو أحد علماء إصفهان مسؤولى وأعضاء المواكب والهيئات قبل حوالى أربعة عشر عاماً بمناسبة مرور ألف وأربعمئة عام على شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?ودعاهم إلى إحياء الشعائر الفاطمية، وقال لهم:

«إن علينا أن نجعل للقضية الفاطمية حرارة كحرارة عاشوراء أو نجعلها فى الدرجة التالية لها».

ولقد أصبحت القضية الفاطمية اليوم فى اصفهان تتلو قضية عاشوراء، فى

حيويتها وحرارتها.

ومما ينقل فى أحوال المرحوم الإمامى أنه توفى فى اليوم الأخير من العشرة الثانية الفاطمية فى المكتبة التى أسسها باسم الزهراء، وكان آخر صفحة كتبها تحت عنوان «إنما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها».

وقد نقل لى أن بعض الإخوة المؤمنين فى الكويت يتبنّون اليوم إحياء هذين الشهرين بشكل كامل بإقامة المجالس التى تبدأ مع بداية شهر جمادى الأولى وتستمرّ حتى آخر شهر جمادى الثانية.

العنوان الثانى: الإحياء الثقافى

وهذا الإحياء مهم جداً، ونعنى بالإحياء الثقافى: المساهمة فى الكتابة والتأليف (ونحو ذلك) حول الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، عسى أن تكون هذه المساهمة وسيلة من وسائل الشفاعة لنا يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

إن ما كُتب حول الصديقة الزهراء قليل جداً، وهذه حقيقة مؤلمة تكشف عن مظلومية الزهراء فى هذا الجانب أيضاً، فلقد أحصى أحد المؤلّفين فى كتاب له كلّ ما ألّف عن الصديقة الزهراء خلال ألف وأربعمئة عام فلم يزد المقدار الذى عثر عليه على ألفين واثنين وعشرين كتاباً، فى حين إنا نقرأ أن شاعراً توفى قبل أقل من قرن ألّف عنه حوالى خمسة آلاف كتاب! أليس من المؤسف والمدهش أن لا يكتب حول الصديقة الزهراء إلّا هذا المقدار القليل وهى أفضل الخلق بعد أبيها وبعلهاعليهم السلام.

وتتبيّن فداحة الخطب عندما نعلم أن هذا العدد موزع كالتالى:

۱۰۴۷ كتاباً باللغة الفارسية

۶۱۴ كتاباً باللغة العربية

۲۱۴ كتاباً باللغة الأوردية

۱۵۷ كتاباً بأربعة وعشرين لغة عالمية أخرى بما فيها الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية والإسبانية والكردية والهندية والصينية (أى معدل ۶ كتب للغات ينطق ببعضها مئات الملايين، ويحكم الناطقون ببعضها بلادنا بشكل أو بآخر).

فهل يتناسب هذا مع هدف تعريف شخصية الزهراء للعالم كله؟

لقد فكّر السيد الوالد بإصدار مجلة باللغة الإنجليزية فى كربلاء المقدسة قبل أربعين عاماً تقريباً، ولم يكن المال متوفراً ولا المتبرع موجوداً، ولكن المشروع تحقق بصعوبات جمّة، وكان لايتجاوز نسخ كل عدد منها المئات، يقول السيد العم حفظه الله:

«فكّرت أنه لو كانت هذه المجلة تصدر منذ ميلاد السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السّلام) إلى اليوم أو لنَقُل من الآن إلى ما بعد ۲۰۰۰ عام لما بلغ مجموع نسخها ما يطبع من مجلة غربية فى شهر واحد فقط! فبعض المجلات الغربية المعروفة يطبع منها فى كل شهر ثلاثون مليون نسخة أى بمعدل مليون نسخة لليوم الواحد!»

إن الصين تشكل اليوم حوالى سدس العالم من حيث التعداد السكانى، ويتنبأ لها البعض أن تكون حضارة حاكمة فى المستقبل، فهل فكّرنا فى مخاطبة الشعب الصينى ثقافياً؟

إن الحرب القادمة هى حرب وجود لا حرب حدود، حرب أن نكون أو لا نكون، فهل نقنع بإصدار كتاب فى ألف نسخة لنتصور أننا فتحنا الحصون؟!

أجل إن هذه القطرات مؤثرة، ولكن ينبغى لنا أن نعلم أنها ليست سوى قطرات، وهذه ليست دعوة لليأس بل دعوة للمسارعة والانطلاق، ولنعلم إن مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة، والمثل المعروف يقول: بدلاً من أن تلعن الظلام اشعل شمعة.

إن العالم غارق فى الظلام، إلا أن ظلام العالم كله لا يستطيع أن يهزم نور شمعة واحدة. فلو اهتمّ كل فرد منّا بتحريك وتحريض الآخرين فإن هذه القطرات ستتجمع وتكوّن سيلاً كبيراً إن لم نقل بحراً؛ قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ.

ولا يقتصر العمل الثقافى على تأليف الكتب، بل يشمل توزيعها وإسنادها مالياً، كما يشمل تكثير الكاسيتات (الأشرطة الصوتية) وغيرها من الأعمال الثقافية، ولا ينبغى التهاون فى أى عمل ثقافى مهما بدا صغيراً، فعسى الله تعالى أن يجعل تأثيره كبيراً إذا تمّ بإخلاص.

يقول ابن المحدث الجليل الشيخ عباس القمى: سألت والدى: لماذا بلغ كتابك «مفاتيح الجنان» هذا المدى من الشهرة والانتشار؟ فقال:

«إنه ببركة الصديقة فاطمة الزهراء ?حيث إننى أهديت ثواب كتابى لها».

نسأل الله تعالى أن يجعل البركة فى ما نقوم به من أعمال فى هذا الطريق وأن تكون هذه الأعمال وسيلة من وسائل الشفاعة لنا فى يوم القيامة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الامام الحسين عليه السلام: استثناء فى السنن الالهية

الامام الحسين عليه السلام: استثناء فى السنن الالهية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

ثمّة سمة تطبع السنن الإلهية سواء ما كان يتعلّق منها بالتاريخ أو المجتمع أو الطبيعة، هذه السمة هى الثبات والاطراد، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك بقوله?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.?

ولعلّ التبديل يعنى ثبات الموقع مع تغيّر الصفة، بينما التحويل يعنى العكس وهو تغيّر الموقع وثبات الصفة، والله سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة يؤكّد المفهومين معاً، مستخدماً كلمة (لن) التى تفيد تأبيد النفى، أى أنّ سننه تعالى لا تقبل التغيير لا تبديلاً ولا تحويلاً على امتداد العصور والدهور. لكن مع ذلك هناك بعض الاستثناءات تتخلل هذه السنن لسبب أو لآخر، وإحدى هذه الاستثناءات الكبرى من السنن الإلهية الثابتة قضية سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام، ولعل ذلك نابع من أن التضحية التى قدّمها سيّد الشّهداءعليه السلام كانت استثنائية، فهذه التضحية ليس لها نظير فى التاريخ، ولن يكون لها نظير أبداً، فكان عطاء الله تعالى لسيّد الشّهداءعليه السلام عطاءً استثنائيّاً أيضاً.

عظمة تضحية الإمام الحسينعليه السلام

لقد قام النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بتضحيات عظيمة وابتلاه الله تعالى بكلمات فأتمّهن فاستحقّ على أثرها مقام الإمامة?، وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، ?ولقد ابتلى فى نفسه وفى ولده وفى أهله، وخرج منتصراً فى جميع هذه الابتلاءات، لقد كان ابتلاء النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كبيراً حين ترك زوجته وولده، فى صحراء لا زرع فيها ولا ماء، وحينما سألته زوجته (هاجر): إلى من تكلنا؟ أجابها: أكلكم إلى الله عزّ وجلّ.

كما كان امتحانه عظيماً حين أُمِر وهو شيخ كبير أن يذبح ولده.. إلى غير ذلك من الابتلاءات..، ولكن هذه التضحيات العظيمة لا ترقى إلى تضحيات الإمام الحسينعليه السلام والأهوال التى مرّت عليه فى كربلاء ومصابه فى أهل بيته وإخوته وطفله الرضيع وأصحابه حتى استشهادهم جميعاً كما يظهر ذلك بشكل واضح لمن راجع التاريخ.

فشتان بين ما قدّمه النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) من تضحيات على عظمتها وبين التضحيات التى قدّمها الإمام الحسينعليه السلام.

لقد كان هناك حدّ لتضحيات النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بيد أن سيد الشهداءعليه السلام امتُحن بكلّ أنواع المحن والمصائب ولم يكن هناك حدّ لتضحياته، فكانت تضحياته استثنائية بكلّ معنى الكلمة.

الثواب الاستثنائى على التضحية الاستثنائية

لقد قرّر الله تعالى سنّة الجزاء فى هذا الكون، وأجرى هذه السنة على الجميع، قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ?وقال سبحانه?: أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى.?

إذن فكلّ عمل صالح له عند الله ثواب، وتتحدد درجة الثواب حسب أهميّة العمل وبعض العوامل الأخرى فالعمل الاستثنائى يقابله ثواب استثنائى من الله تعالى، ولمّا كانت التضحية التى قدّمها سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام استثنائية فى جميع الأبعاد، فقد أثابه الله بثواب استثنائى لا يماثله أىّ ثواب.

وهذا الاستثناء على نحوين:

النحو الأول: الاستثناء فى الجانب التشريعى

لقد خصّ الله تعالى الإمام الحسينعليه السلام وحده، بخصائص لم يشرك معه فيها أحداً حتى الرسول الأعظمعليه السلام، بالرغم من انه أفضل من الإمام الحسينعليه السلام دون أدنى شك، وكذلك أمير المؤمنين عليهعليه السلام والصديقة الطاهرة الزهراء ?والإمام الحسنعليه السلام، فإنهم جميعاً وإن كانوا أفضل من الإمام الحسينعليه السلام، إلا ان العمل الاستثنائى الذى قام به الإمام الحسينعليه السلام والتضحية الاستثنائية التى قدّمها جعلت منه استثناءً واستحقّ عليها ثواباً استثنائياً.

ومثال ذلك فى حقل التشريع: الجزع فإنه مكروه حسبما ورد فى بعض الروايات، لكنّه (أى الجزع) استثنى على مصاب سيّدالشّهداءعليه السلام، وكذلك الهلع عليه.

والهلع كما يقول أهل اللغة هو أقصى حالات الجزع، وفى هذا الصدد يقول الإمام زين العابدينعليه السلام: «فكادت نفسى تخرج وتبيّنت ذلك منّى عمّتى زينب بنت على الكبرى، فقالت مالى أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدى وأبى وإخوتى؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع»....

فالجزع كلّه مكروه عدا الجزع على الإمام الحسينعليه السلام، ولو كان قتل النفس مباحاً لربّما أقدم عليه مجموعة من المؤمنين فى يوم عاشوراء، وذلك لهول مصيبة أبى عبد اللهعليه السلام وفداحة خطبه وإن كان للشيخ خضر بن شلال، رأى آخر فى هذا الموضوع من شاء فليراجعه فى مظانّه.

إن هؤلاء الذين يضربون بالسيف على رؤوسهم إنما يفعلون ذلك من شدّة تفاعلهم مع قضايا عاشوراء، ولو كان قتل النفس جائزاً لربّما أقدم مجموعة منهم على ذلك جزعاً على سيّدالشّهداءعليه السلام، وهلعاً عليه.

والخلاصة: إن الجزع بكلّ مظاهره مكروه إلا على سيدالشهداءعليه السلام، وذلك استثناء تشريعى كرّم الله تعالى به الحسينعليه السلام وخصّه به لقاء تضحيته الاستثنائية الى غير ذلك من الاستثناءات التشريعية.

النحو الثانى: الاستثناء التكوينى

أ التربة الحسينية مثالاً

أما النحو الثانى من الاستثناء الذى خصّ الله به سيّد الشّهداءعليه السلام فهو الاستثناءات التكوينية فى السنن الإلهية، نشير إلى موردين منهما، المورد الأول يرتبط بعالم الطبيعة ونذكر له مثالين، هما: التربة والنار، والمورد الثانى يتعلّق بالمجتمع، أما المثال الأول على المورد الأول فهو أكل التراب فإنه محرّم من الناحية الشرعية غالباً ومضرّ من الناحية التكوينية، كذلك لكنّ الأمر يختلف مع تربة سيّد الشّهداءعليه السلام، فهو ينطوى على استثناءين تشريعى وتكوينى، فهو حلال وشفاء لمن استعمله.

•وللسيد البروجردى ?قصة معروفة مع تربة الإمام الحسينعليه السلام، حيث كان يعانى من ألم فى إحدى عينيه، وقد عجز الأطباء عن معالجته، وذات مرّة وأثناء تأدية مراسيم عزاء سيّد الشّهداءعليه السلام دخل جمع من المعزّين إلى بيته وجباههم وأبدانهم ملطّخة بالطين كمظهر من مظاهر الحزن على الإمام الحسينعليه السلام ففكّر السيد البروجردى أن يستشفى بهذا الطين فأخذ قليلاً مما كان عالقاً على أبدانهم أو ثيابهم ووضعه على عينه التى يئس من علاجها، فما لبثت أن استعادت عافيتها وقوّتها، واستمرّت هذه الحالة إلى أخريات أيام حياته، إذ بلغ حوالى التسعين من العمر لكن بصره كان قوياً ولم يكن يحتاج إلى وضع نظارات على عينيه، مع أنه كان كثير المطالعة.

•ونستطرد لنقول: ان السيّد الجدّ ?كانت له قصّة مماثلة حيث كانت عينه تؤلمه فتوسّل بأبى الفضل العبّاسعليه السلام، فشوفى على أثر ذلك، وقد نقل السيد العم حفظه الله أنّه (أى الجدّ) ?كان ينظر إلى ساعة الصحن الشريف دون عناء بينما كان يتعذّر على بعض الشباب فعل ذلك.

•وهنالك قضية أخرى اتفقت للسيد الوالد ?عندما كان ?على ظهر السفينة فى مياه الخليج، فقد هبّت العواصف وأخذت الأمواج تقذف بالسفينة إلى الأعلى وتهبط بها إلى الأسفل، حتى خُشى عليها من الغرق، واستمرّ الحال على ذلك حتى أخذ الوالد ?مقداراً من تربة الإمام الحسينعليه السلام وألقاها فى البحر فما كان من البحر إلا أن هدأت ثورته وسكنت أمواجه.

•لا بأس أن ننقل هنا باختصار قضية التاجر المشهدى الذى كان يحتضر، فجاءه الشيخ حسن على الطهرانى وأعطاه شيئاً من تربة الإمام الحسينعليه السلام، فتناولها، يقول التاجر: ما إن وضعتها فى فمى حتى استرجعتُ عافيتى بشكل كامل.

•ولا بأس أن ننقل هنا استطراداً ما جاء فى كتاب (بحار الأنوار) من أنّ مئة ألف امرأة عاقر جئن إلى قبر سيّد الشّهداءعليه السلام، ليستشفعن فى طلب الذرية، فأعطين جميعاً سؤلهن.

وهنالك الكثير الكثير من الأمثلة لا مجال لذكرها هنا.

ب النار مثالاً آخر

لقد جعل الله تعالى النار محرقة، ولكنها لم تكن كذلك للنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ولسيّد الشّهداءعليه السلام، فنار إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كانت برداً وسلاماً عليه، وكذلك نار سيّد الشهداءعليه السلام هى برد وسلام على محبّيه، حيث يقوم محبّوه فى نقاط مختلفة من العالم، فى إيران، وفى العراق، وفى الهند وتايلند، وفى غيرها بإلقاء أنفسهم فيها دون أن يحترقوا، هذه النار التى تلفح الوجوه من بعيد، تأبى أن تمسّ محبّى أبى عبد الله الحسينعليه السلام بسوء، اللهم إلا من شابت نيّته شائبة.

وفى هذا المجال ينقل أحد المراجع الكبار أنّ الناس من محبّى أبى عبد اللهعليه السلام كانوا يدخلون فى النار، دون أن ينال منهم لهيبها، منهم على سبيل المثال الخطيب الحسينى المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبى الذى ورد النار ثم خرج منها سالماً كما وردها، ولكن فرداً واحداً من تلك الجموع، اكتوى بلهيبها بمجرّد دخوله فيها وقد نقل على أثر ذلك إلى المستشفى متأثراً بحروق مؤلمة، وينقل ذلك المرجع أنّه ذهب لزيارته فسأله ما باله احترق هو بهذه النار، وهذه الجموع قبله قد دخلت ولم تمسّ بأى سوء؟ فأجاب ذلك الشخص (وهو طبيب) قائلاً: إنّى لما نظرت إلى النار قلت فى نفسى: هذا غير معقول، إنّ النار محرقة بطبيعتها، فكيف يدخل فيها هؤلاء؟ لابد أن فى القضية سراً ما! وقد نسى هذا الطبيب أو تناسى أن قوانين الله تعالى تحكم الخلق ولا تحكم الله سبحانه.

ويستطرد هذا الطبيب قائلاً: قبل دخول الأفراد إلى النار رأيت أحد العلماء أخرج شيئاً من جيبه وألقاه فى النار، فقلت فى نفسى «انكشف السرّ، لابدّ أنّها مادة تبطل مفعول النار»، ثم دخل الناس ولم تمسسهم النار بسوء، وجاء دورى فدخلت فإذا بى أكتوى بلظاها. يقول ذلك المرجع فقلت له: لقد كانت تلك تربة الإمام الحسينعليه السلام ألقاها العالم فى النار لتكون برداً وسلاماً على محبيهعليه السلام!

وفى الكويت اليوم جالية لها حسينية، يعدّون فيها ناراً يوم العاشر من المحرم، وبعد أن يقرأوا الآية الكريمة?: يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ?يدخلونها فلا تمسهم بأىّ أذى.

ج. الإمام الحسين عليه السلام محبوباً

أمّا المورد الثانى (الاجتماعى) من الاستثناء الثانى الذى كرّم الله تعالى به الإمام الحسينعليه السلام فهو هذا الحب الكبير تجاه سيّد الشّهداءعليه السلام، وهو حبّ ظهر حتى قبل وقوع مأساة كربلاء بسنوات طويلة ربما تبلغ الألوف فلا نستطيع أن نقول إنّها مسألة عادية.

•وقد روى أنّ أحد الأنبياء قد انتحب حينما ذُكر اسم الحسينعليه السلام عنده، وهو لمّا يزل نوراً فى عالم الغيب.

•ولو ذهبتم إلى القاهرة لرأيتم المسلمين يحتفلون احتفالاً عظيماً بذكرى مولد الإمام الحسينعليه السلام.

والواقع أن الكثير يجهلون الإمام الحسينعليه السلام ولو عرفوه وعرفوا قضاياه وقضايا عاشوراء لكان لهم شأن آخر.

•وقد نقل بعض الإخوة: إنّه عرض فى بلاد الغرب فلم عن السيد المسيحعليه السلام، وكان وقعه على عواطف الناس وأحاسيسهم كبيراً للغاية، على الرغم من أنّ قضية «صلب المسيحعليه السلام» مختلقة من الأساس، لكنّها أثّرت أثرها القوىّ فى النفوس، وقد نُقل أنّ حوالى ۲۵۰ مليون شخصاً شاهدوا الفلم، وقد أثار الفيلم اعتراضات الصهيونية العالمية لأنّه يصوّر اليهود كأعداء للسيد المسيحعليه السلام ومتآمرين ضدّه.

ونقل أحد الإخوة: إنّ الكنائس المسيحية كانت توزّع بطاقات الفلم مجاناً، لأنّها وجدت فيه أفضل دعاية للمسيحية. كل هذا يحدث مع قصّة صلب المسيحعليه السلام التى هى قصة محرّفة ومختلقة، فكيف بقصّة سيّدالشهداءعليه السلام الحقيقية إذا ما وجدت طريقها إلى العالم، أىّ ردود فعل مدوّية ستحدثه!

•ونقل أحد الإخوة أيضاً: إنه فى إحدى البلاد الإسلامية عرضت فى هذا العام تمثيلية تصوّر مأساة سيّد الشّهداءعليه السلام فى يوم عاشوراء، وقد شاهدها أكثر من ۴۰ ألف شخص حسبما نقلت إحدى الصحف فى ذلك البلد، وقد أحدثت التمثيلية ضجّة كبيرة بين الجماهير.

وقد نقل أحد العلماء الذين يعيشون فى بلاد الغرب أنّه التقى بشخص بوذى هناك، فعرض عليه الدخول فى الإسلام، لكنّه أبى، وكلما سرد له الأدلّة على حقانية الإسلام لم يقبل، وأخيراً قال له الشاب البوذى: سمعت عن شخصية دينية عندكم يقال له الحسين، فما هى قصّته؟ يقول العالم: فبدأت أروى له جوانب من فاجعة عاشوراء، وإذا بملامح وجه البوذى تتغيّر، وسيطرت عليه علامات الحزن، ثم تفجّر بكاءً ونحيباً، وكنت كلما زدت له، زاد من بكائه، فخنقتنى العبرة ولم أعد قادراً على مواصلة الكلام، فألحّ علىّ وتوسّل أن استمرّ فى الحديث، فعندئذ واصلت الحديث لكن بصعوبة بالغة، وفى النهاية أخذ الشاب البوذى يكفكف دموعه ثم سألنى ما هى شروط اعتناق الدين الإسلامى، فذكرت له ذلك فأعلن إسلامه واعتناقه لمذهب أهل البيتعليهم السلام، ثم أصبح أفضل من كثير من المؤمنين.

عاشوراء: نصر يتجدّد على مدى التاريخ

•يقول أحد أقطاب العامّة البارزين فى تفسير الآية الكريمة? إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ:?

«والحسينرحمة الله عليه وهو يستشهد فى تلك الثورة العظيمة من جانب والمفجعة من جانب أكانت هذه نصراً أم هزيمة؟ فى الصورة الظاهرة بالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأما فى الحقيقة الخالصة والمقياس الكبير فقد كانت نصراً. فما من شهيد فى الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسينرحمة الله عليه، يستوى فى هذا المتشيّعون وغير المتشيّعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين».

وهذا ما نسمّيه الاستثناء التكوينى فى الإطار الاجتماعى.

ماذا قدّمنا للحسينعليه السلام؟

تحدّثنا عن العطاء الربّانى الاستثنائى للإمام الحسينعليه السلام، فماذا عن مسؤوليتنا نحن تجاه الإمامعليه السلام وقضيّته؟

باختصار نقول: يجب أن نبذل ما فى وسعنا تجاه الامامعليه السلام وتجاه قضيته، كلّ من موقعه وحسب إمكانه.

ينقل السيد العمّ ?أنّه قد اجتمعت طائفة من وجهاء وأعيان كربلاء قبل أكثر من ۵۰ عاماً وقرّروا توسيع الصحن الشريف وذلك بشراء الدور المحيطة وإلحاقها بالصحن، ولما علم أحد المالكين بالخبر، أخذ يقوم بإصلاح داره وتعميرها وصرف الأموال الطائلة فى تزيين البيت، ومن المعلوم أنّ من يقوم بذلك يبتغى عادةً رفع سعر الدار والحصول على ثمن أغلى، ولما وصل الوجهاء إلى تلك الدار ومعهم الخبير بتسعير الدور، عرضوا عليه بعض الأسعار فكانوا كلما عرضوا عليه سعراً، استقلّه، حتى يئسوا من شراء الدار، وهنا أطرق المالك برأسه إلى الأرض ثم رفع رأسه قائلاً: إنّى قد بعت الدار، قالوا: بكم بعتها؟ قال: لم أبعها لكم ولكن بعتها لسيّدى ومولاى أبى عبد اللهعليه السلام، فهو سيعطينى أفضل مما عرضتم علىّ، ثم قدّم إليهم مفاتيح الدار. فتساءل الوجهاء مستغربين: إن كنت عزمت على تقديم الدار مجاناً فلماذا قمت بإجراء الإصلاحات والتعميرات عليها؟ فأجاب:

«أردت أن أقدّم لسيّدالشّهداءعليه السلام هدية كاملة لا نقص فيها».

وقد أوصى الجدّ ?بدفنه فى تلك البقعة (التى كانت بيت هذا التاجر سابقاً والتى تقع على يمين باب القبلة)، وقد تمّ له ما أوصى به، ودُفن هناك.

وعلى كل حال: علينا أن نفكّر ماذا نقدّم لسيّد الشّهداءعليه السلام قبل أن تنقضى أعمارنا، فنندم على ما فرّطنا فى حياتنا، ولات ساعة مندم.

وقد نقل أنه كانت هناك ثلّة من الشباب يجتمعون كلّ ليلة فى بيت أحدهم، وكان والد أحد هؤلاء الشباب متديّناً و(حسينياً) فرفض أن يجتمع هؤلاء فى بيته ما لم يأتوا معهم بخطيب يحيى اجتماعهم بذكر الحسينعليه السلام، فاستجاب الشباب لهذا الطلب وكانوا يدعون خطيباً حسينياً يذكر لهم فى تلك الليلة مصائب أبى عبد الله الحسينعليه السلام، ومرّت السنون، وانتقل الرجل (والد ذلك الشاب) إلى جوار ربّه، فرآه أحدهم فى المنام، فقال له: حدّثنى عمّا جرى عليك بعد موتك، فقال له: لا أستطيع أن أصف لك ذلك، لأنّك لن تستوعب قضايا البرزخ مهما شرحت لك، [فهو كمن يتحدّث إلى الجنين ويصف له الحياة خارج الرحم، أو يشرح للأعمى معنى الألوان] وألحّ الشاب عليه بالسؤال كى يذكر له بعض مشاهد البرزخ، فقال له:

«فلتعلم شيئاً واحداً فقط وهو أنّنا لم نعرف مقام سيّد الشّهداءعليه السلام فى الحياة الدنيا، حتى انتقلنا إلى العالم الآخر، وكذلك حالكم الآن، لن تدركوا عظمة منزلتهعليه السلام ما لم تنتقلوا إلى هذا العالم، وتروا بأنفسكم ما للحسينعليه السلام من مكانة سامية ومنزلة جليلة لا تضاهيها منزلة».

أجل، يتحتّم علينا أن نفكّر ماذا قدّمنا لسيّد الشّهداءعليه السلام قبل فوات الأوان، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا فى هذا الطريق.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام

وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

إنّ الأعمال الصعبة والتضحيات الكبرى نهض بها الآباء والأجداد، فقد قطعت أيديهم وأرجلهم فى سبيل سيد الشهداءعليه السلام وتحمّلوا أنواع الاذى والتعذيب من أجله.

أما الأعمال المنوطة بنا نحن اليوم، فهى فى الغالب هيّنة ولا مؤونة كبيرة فيها؛ ومنها:

۱. إقامة مجالس العزاء فى البيوت

الأمر الأول الذى ينبغى لنا أن نؤديه خاصة فى شهر محرم الحرام، هو أن يقيم كل منا مجلس الحزن والعزاء على أبى عبد الله الحسينعليه السلام فى بيته، إن لم يكن هناك مانع يحول دون ذلك.

وهذا الأمر مهم جداً وأقدّم لبيان أهميته مقدمة قصيرة وهى: أن علماء الاجتماع يقولون: كلما كان عدد أفراد المجتمع أكثر، وتطوره أكثر، وعلاقاته مع المجتمعات الأخرى أوسع، فإن مشكلاته واحتياجاته ستكون أكثر، ويضربون مثلاً لذلك فى العائلة، فالأسرة المتكونة من زوج وزوجة توجد فيها علاقتان فقط هما: علاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الزوجة بزوجها، ولكن ما ان يضاف للعائلة فرد ثالث بولادة مولود فى الأسرة مثلاً ـ حتى يرتفع عدد العلاقات إلى ستّ؛ هى بلغة الرموز: علاقتا (أ) مع كل من (ب) و(ج)، وعلاقتا (ب) مع كل من (أ) و(ج)، وعلاقتا (ج) مع كل من (أ) و(ب). وهكذا تتعقد علاقات المجتمع كلما أضيف إليها فرد جديد، وتزداد احتياجاته كلما زاد تطوره، والسؤال المطروح هنا: كيف تحل هذه المشكلات وتلبّى هذه الحاجات؟ وما هى الجهة التى يقع على عاتقها حلّ مشكلات المجتمع ومتابعة قضاياه؟ يقول علماء الاجتماع أيضاً: إن للمؤسسات الاجتماعية دوراً كبيراً فى هذا المجال، وكلما كانت المؤسسات الاجتماعية، أكثر وأقوى كان المجتمع أكثر قوة وتماسكاً، وكانت علاقات أفراده أسلم وأمتن.

فلو قارنا بين مجتمعين من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، للاحظنا أن مجتمع المؤسسات هو الأقوى فى كل تلك النواحى.

ومن مؤسساتنا الاجتماعية المهمة نحن الشيعة مؤسسات سيد الشهداء وأبى الأحرار الإمام الحسينعليه السلام. ولا تكمن أهمية هذه المؤسسات فى بعدها الدينى فقط، بل هى مهمة فى الأبعاد الأخرى أيضاً، كالبعد السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى وغيرها، فلو أنك أقمت مجلس تعزية فى بيتك وحضره أربعة أشخاص فقط، فإن ذلك بحد ذاته يعدّ مؤسسة اجتماعية تنهض بدور ثقافى، ودينى، واجتماعى، واقتصادى وأدوار أخرى أيضاً.

لكن الكثير منا غافلون مع الأسف عن أهمية هذه المجالس، لأنها أصبحت كالعادة بالنسبة لنا؛ فإن الذى يعيش إلى جنب النبع العذب قد لا يلتفت إلى دور الماء فى حياته، لكن من يعيش فى صحراء قاحلة يعرف أهميّة الماء بالنسبة للحياة.

وقد قال القس المسيحى الذى التقى المرجع الدينى المعروف آية الله المرعشى النجفى ?فى قصة مفصلة:

«أنتم الشيعة لديكم ثلاثة أمور مهمة، لكنكم لا تدركون أهميتها؛ منها: مزارات الأئمة وأولادهم وذراريهم ومنها قضية [سيد الشهداء الإمام] الحسينعليه السلام».

هذا ما عندنا، فماذا عند المسيحيين؟

هم يقولون وسبحان الله عما يقولون: إنّه كان لله ولد اسمه المسيح عيسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام)، صلبه اليهود وانتهى

كل شيء.

فاستمع إلى الإذاعات وانظر إلى الشاشات وطالع الصحف والمجلات، لترى المسيحيين قد ملأوا الدنيا بقولهم إن «المسيح افتدانا».

أما نحن فعندنا أئمة آل البيتعليهم السلام، وعندنا الحسينعليه السلام وقضاياه المشجية التي لا يملك المسيحيون معشار معشارها، ولكننا مقصرون. فلنقم بما يمليه الواجب الشرعي والوجداني علينا تجاه سيد الشهداء الإمام الحسينعليه السلام، ولا نقصر في إقامة مراسم عزائه في بيوتنا؛ فلهذا الأمر أهمية بالغة، فكل برنامج يقام في أحد البيوت يعد مؤسسة تربوية وثقافية واجتماعية واقتصادية...

إن إحدى العائلات الشهيرة في الكويت تقيم المجلس الحسيني في بيوت أفرادها على مدار السنة بشكل دوري، أي أن المجلس يقام كل ليلة من ليالي الأسبوع في بيت أحدهم، باستثناء شهر محرم وصفر حيث تقام المجالس العامة، كل الذين أعرفهم من أفراد هذه العائلة هم أفراد مؤمنون، فمن الطبيعي أن يمتاز الشخص المتربي في أجواء المنبر الحسيني عن المتسكع في الشوارع أو المتربي في أجواء الفضائيات الهابطة.

بناءً على هذا، فإن إقامة المجالس الحسينية هي إحدى الواجبات الكفائية (بالقدر الذي يتوقف أداء الواجب عليها) بل ربما تكون من الواجبات العينية في بعض الأحيان.

أقيموا المجالس الحسينية في بيوتكم، وسوف تلمسون بأنفسكم بركاتها وآثارها، ولن تتخلوا عنها إن شاء الله بعد ذلك. إنني أعرف أشخاصاً شرعوا بهذا الأمر ومازالوا مستمرين عليه دون أن يندم أي منهم، لأنهم رأوا بأعينهم البركات الدنيوية والأخروية تترى عليهم على أثر ذلك.

۲. مشاركة الإمام الحسينعليه السلام بالأموال

لنشارك الإمام الحسينعليه السلام بأموالنا مهما كانت وبالمقدار الذي نستطيع، لننال البركات والخير الوفير والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

۳. ليكن في كل بيت خادم للحسينعليه السلام

إذا كان للمرء أولاد فليجعل أحدهم خادماً لسيد الشهداءعليه السلام، فكما يكون هذا طبيباً والآخر مهندساً، والثالث تاجراً أو غير ذلك، فليكن أحدهم من خدمة الحسينعليه السلام ومنبره وقضاياه. وهذا منوط إلى درجة كبيرة بترغيب الوالدين وحثهما.

كانت إحدى الأمهات في العراق والقصة تعود إلى ما قبل حوالي خمسين سنة تنكّس هاوناً كبيراً (يسميه العراقيون الجاون) وتدعو ولدها الصغير الذي ربّما كان في حوالي الثالثة من عمره ليجلس عليه ويقرأ لها تعزية الحسينعليه السلام. وكان الطفل يستجيب لأمه ويردد ما يعرفه.

كما كانت هذه الأم تشجع ولدها أيام شهر رمضان المبارك على الصعود إلى سطح الدار وارتقاء التنور لكي يرفع أذان المغرب، وكان الابن يمتثل أيضاً. وقد أصبح ذلك الولد الصغير اليوم من أشهر خطباء الشيعة في العالم، وكل ذلك تعود بداياته للجاون والتنور أي لترغيب الأم وحثّها.

فلنعلّم أولادنا على ذكر أبي عبد اللهعليه السلام منذ الصغر، وليختص أحدهم بخدمة الحسينعليه السلام كما يختص سائر الأولاد باختصاصات شتى.

۴. ولا نقصر في خدمة نستطيع تقديمها للحسينعليه السلام

ليقدم كل منا ما بوسعه من خدمة للإمام الحسينعليه السلام، مهما كانت تلك الخدمة، فمن استطاع تقديم الشاي مثلاً في مجلس أبي

عبد اللهعليه السلام فليفعل، فإن ذلك شرف وفخر، ومن استطاع أن يشترك فى المواكب الحسينية فليشترك، ومن أمكنه أن يكون خطيباً لسيد الشهداءعليه السلام فليكن، ومن استطاع أن يكتب كتاباً أو يقوم بطبعه ونشره أو يشترى كمية من الكتب أو الأشرطة أو الأقراص الكمبيوترية وما أشبه، مما يعنى بقضية الإمام الحسينعليه السلام ومظلوميته، ثم يقوم بتوزيعها مجاناً، ومن استطاع أن يبنى حسينية أو يساهم فى بنائها ... إلى غير ذلك من الخدمات فليفعل؛ فكل ذلك فخر وشرف وذخيرة للآخرة. وفى الحديث: «المرء تحت ظل صدقته يوم القيامة». فكما أن البيت الذى يبنيه الإنسان فى الدنيا يقيه من الحر والبرد، فكذلك الحسينية التى يبنيها سوف تكون ظلاً له يوم القيامة.

ينقل أنه عزم جماعة من المؤمنين على بناء حسينية فجاءوا إلى تاجر وفاتحوه بالمشروع فقال لهم: كم تحتاجون من المال؟ وحيث إن المبلغ كان كبيراً جداً تهيبوا أن يذكروه لفظاً فكتبوه على ورقة وقدموها للتاجر، لكن التاجر قال:

«إننى لم أضع فى حياتى نظارة على عينى فى قضية سيد الشهداءعليه السلام»،

ولعله كان يعنى بعبارته أنه لا يدقق فى عطائه فى هذا المجال كما يدقق فى سائر المجالات، وطالبهم بأن يذكروا له المبلغ الذى كتبوه شفاهاً، ثم كتب لهم صكاً مصرفياً بالمبلغ الذى طلبوه أو بأكثر منه.

وبعد أن توفى هذا التاجر رآه بعض المؤمنين فى عالم الرؤيا فسأله عن حاله فى العالم الآخر، فأجاب:

«كما أننى لم أستعمل النظارات فى قضايا أبى عبد الله الحسينعليه السلام هنا أيضاً عاملونى بنفس الكيفية، فلم يدققوا معى فى الحساب».

لو أراد الله أن يدقق معنا فى الحساب فسيكون حال الكثير منا كما قال ذلك الرجل: «وجدنا سوق الأعمال كساداً»؛ قال تعالى: ?وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، ?أما من أعطى بغير حساب فربما يقال له: ادخل الجنة بغير حساب.

وهنا أنقل لكم القضية التالية:

كانت والدة المرحوم الجد الميرزا مهدى الشيرازى ?امرأة مؤمنة متعبدة، وكانت إذا استيقظت لصلاة الليل أيقظت الجد وهو صغير ثم تعطيه بعض الحلوى أو نحوه وتقول له:

«يا مهدى كل هذه واحدة واحدة وانظر إلىّ».

ترى كيف سيكون الطفل الذى ينهض فى قلب الليل وينظر إلى أمه تصلى لربها؟ وما هو الأثر الذى سيتركه هذا الأمر عليه فى المستقبل؟ ولذلك ينقل عن الجدرحمة الله عليه أنه لم يكن يستطيع النوم قبيل أذان الفجر وإن كان قد نام قبل ساعة واحدة فقط، وهذا من آثار التعويد الذى عودته والدته عليه منذ الصغر.

وكان للجد ?أخوان، فكانت والدتهم تطلب منهم أن يقرأوا لها تعزية الحسينعليه السلام كل يوم قبل مغادرتهم البيت على نحو التناوب، ولم يكن أى منهم خطيباً، فكان من يأتى دوره يأخذ بيده كتاباً ويقرأ منه لها.

وحلّ الوباء (الطاعون) بكربلاء وبعد أن زال تبيّن أن حوالى ثلث أهل المدينة قد ماتوا بسببه، حتى مات الغسالون والدفانون ورجل الدين الذى كان يصلى على الأموات، فكان إذا مات شخص بعد ذلك رموه فى مكان وولوا هاربين.

وكان البيت الذى يسكنه الجد يقع فى زقاق يقال له (المائة)، وقد قيل إنه لم يبق بيت فى ذلك الزقاق لم يطرق الموت بابه، بل مات أفراد عائلة من تلك العوائل بأكملهم مع أنه لم يكن يفصلهم عن بيت الجد إلا بيت واحد. وكانت الدار الوحيدة التى لم يمت منها أحد، ويشير إليها الأهالى بالبنان بقولهم: (هذا البيت ما طلعت منه جنازة) هى دار والدة الجد. وقد رأت فى عالم الرؤيا عجوزاً دميمة تشير إلى بيوت كربلاء وتقول بغضب:

«لقد دخلت كل هذه البيوت إلا هذا البيت فهم مشغولون بقراءة التعزية يومياً».

وهذا أثر من الآثار الدنيوية لمجالس عزاء الحسينعليه السلام، ولهذه المجالس آثار أخروية عظيمة أيضاً.

كان هنالك شخص يعرف فى كربلاء المقدسة باسم (مرتضى)، ولعل كثيراً من أهالى كربلاء سمع به أو رآه، لأنه كان فى عاشوراء من كل عام يقوم بتمثيل دور شمر بن ذى الجوشن ويحرق خيام الحسينعليه السلام، جاء هذا الشخص إلى ايران ثم توفى فيما بعد فى مدينة إصفهان، ينقل أنه رُؤى فى عالم المنام وسئل عما صُنِع به فقال: عندما وضعونى فى القبر جاءنى منكر ونكير وسألانى من ربك؟ من نبيك؟ من إمامك؟ وإذا بسيد الشهداءعليه السلام قد أقبل وأشار لمنكر ونكير أن يدعانى ثم أمرنى أن أؤدى ما كنت أقوم به فى يوم عاشوراء فى حياتى، قلت: سيدى إن هذا يتطلب فرساً وخياماً وساحة وسيعة، فأمر الإمامعليه السلام الملائكة ليهيئوا ذلك كله لى، فركبت الجواد وقمت بالهجوم على الخيام وتحريقها، وهنا رأيت بطرف عينى الدموع تجرى من عين أبى عبد الله الحسينعليه السلام، عند ذلك قال الإمام الحسينعليه السلام: هذا يكفى.

ثم منحونى القصر والنعيم الذى أرفل فيه الآن، ببركة سيّد الشّهداء الإمام الحسينعليه السلام.

إننا لو عرفنا أهمية هذه الشعائر حقاً لم نتخلّ عنها أبداً. كان هناك شخص كبير السن فى الكويت وناقل القصة لى ابنه يقيم مجالس سيد الشهداءعليه السلام فى بيته، فرأى على أثر ذلك بركات كثيرة، مما دفعه إلى أن يوصى بوقف داره للإمام الحسينعليه السلام، على أن تكون تحت تصرفه وتصرف زوجته ما داما على قيد الحياة.

وكان جدىّ الأمى الحاج صالح ?من جملة من لمس هذه البركات فى قضية يطول الحديث عنها وملخصها أنه وقع فى مشكلة مالية كبيرة فخاطب الإمام الحسينعليه السلام قائلاً: لئن نجوت من هذه المشكلة فسوف أشرككم فى أموالى، ونجا من المشكلة بطريقة غير متوقعة.

فلنقم مجالس العزاء على أبى عبد الله الحسينعليه السلام فى بيوتنا، ولنشركه فى أموالنا، ولنَدَع أحد أولادنا يتفرغ لخدمة الإمام الحسينعليه السلام، وأخيراً: لنقدم ما فى وسعنا من خدمة فى هذا المجال، فهذه كلها ذخيرة لنا يوم لاينفع مال ولا بنون.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

قبس من النهضة الحسينية

قبس من النهضة الحسينية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

يقول الإمام الصادقعليه السلام فى زيارة جده الإمام الحسينعليه السلام فى يوم الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

هذا النص الشريف يحتوى على مفاهيم ومباحث ذات مضامين عالية، نتناول مبحثين منها باختصار؛ يتعلق الأوّل منهما بكلمة «فيك» ويتعلّق الثانى بكلمة «ليستنقذ» الواردتين فى النص:

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسينعليه السلام من أجل الله تعالى

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسينعليه السلام من أجل الله تعالى

يدور هذا المبحث حول كلمة «فيك» الواردة فى النص، وهى هنا تعنى «لأجلك»، والمخاطَب هو الله تعالى، لأنّ «فى» فى اللغة العربية قد تأتى بمعنى لام التعليل، كما يقوله ابن مالك فى الألفية، والمقصود بذلك الباعث والدافع الذى يحرك الإنسان نحو القيام بعمل ما، وهذا بحث تناوله العلماء فى علم الحكمة الإلهية وعلم الأخلاق وعلم الفقه، وتناوله العلماء الجدد فى علم النفس، فإنّ كل عمل

إرادى يصدر منا نحن البشر يتوقف على دافع ومحرك ومنطلق، وهذا الدافع يرجع بالتحليل إلى أحد أمور ثلاثة، هى:

الدافع الأوّل: أن يكون العمل للدنيا.

الدافع الثانى: أن يكون العمل للآخرة.

الدافع الثالث: أن يكون العمل لله تعالى.

أمثلة على الدافع الأوّل

فتارة يكون الهدف من وراء العمل دنيوياً، وهذا مع الأسف هو حال أكثر أعمالنا، فهى فى الغالب للدنيا، كالتاجر مثلاً يذهب إلى متجره كل يوم، ودافعه الحصول على المال، أى إنّ عمله للدنيا، ولذلك فهو لا يستحق على الله تعالى شيئاً، ولا يمكنه أن يطلب من الله سبحانه أجراً على عمله، فى يوم القيامة، لأنّه عمل للمال، وقد نال ما عمل من أجله، أو لم ينل، فماذا يطلب من الله عز وجلّ؟

مثال آخر: الطالب الذى يدخل المدرسة ويطلب العلم وهدفه أن ينال الشهادة، فهو الآخر لا يستطيع أن يطلب من الله تعالى شيئاً لقاء طلبه العلم، لأنّه لم يطلبه لله، بل للشهادة.

مثال آخر: الكريم الذى يبتغى الشهرة والذكر الحسن من وراء كرمه، لقد كان حاتم الطائى يجود حتى بلقمته للآخرين، ويروى أن زوجته واسمها ماوية لم تكن راضية على هذا المستوى من البذل، فقال لها:

أماوىّ إنّ المال غاد ورائح

ويبقى من المال الأحاديث والذكر

يريد بذلك: أنّ المال يزول ولكن الذكر الذى أحصل عليه بسبب البذل يبقى.

فإذا فرضنا أن ذلك كان هو منطلق حاتم فى كرمه، فإنّه لا يستحق على الله تعالى فى يوم القيامة شيئاً، لأنّه كان يطلب الذكر الحسن والسمعة الطيبة والشهرة وقد نالها.

إن المهم عند الله تعالى هو الدافع، إذن، قبل أن نشرع بأىّ عمل، علينا أن نفكر أوّلاً ما هو دافعنا للقيام بذلك العمل؟

الفرق بين الدافعين الأخيرين، وتوضيحهما بالأمثلة

الدافع الثانى كما ذكرنا آنفاً هو أن يعمل الإنسان للآخرة، أى طمعاً فى الجنة أو خوفاً من النار، وخوف العقوبة أشد تأثيراً غالباً من الرغبة فى الثواب، ولعله لذلك كان الإنذار مقدماً على التبشير فى القرآن الكريم، ولذلك أيضاً نرى كثيراً من الناس لا يعملون المستحبات حتى الأكيدة رغم ما فيها من عظيم الثواب، وذلك بخلاف الواجبات، مثلاً: يستيقظ المتدينون عادة لصلاة الصبح لأنهم يعلمون أن فى تركها العقوبة بخلاف صلاة الليل فإن الأكثرية ربما يتركونها رغم ما فيها من الثواب الجزيل، إذ لا عقوبة فى تركها.

وعلى كل حال فالباعث والمحرك فى هذا القسم هو أخروى ويتمثل بالخوف من النار أو الطمع فى الجنة. وقد يبدو هذا الباعث لأوّل وهلة أرفع البواعث، ولا شكّ أنّه باعث رفيع خلافاً للأوّل، ولكن قبل أن نبيّن رأينا فى الموضوع لنستمع إلى سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فى تقييمه لهذا الباعث؛ يقولعليه السلام «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

لا شكّ أنّه يجب أن نخاف من النار وأن نطمع فى الجنة، ولكن العبادة لأجل الخوف والطمع هى عبادة التجار والعبيد لا عبادة الأحرار كما قال أمير المؤمنينعليه السلام فالعبد يخوّفه المولى بالعصا أو يطمعه فى الأجر فيطيع ويعمل.

ولا بأس أن نذكر الشاهد التالى: إن من الأمور المجربة: أنّ مَن كان فى بدنه ألم فليسجد سجدتين شكراً لله تعالى بعد الانتهاء من الفريضة ثم ليمسح يده بعد ذلك على موضع سجوده ثم يمسح بها موضع الألم، فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى.

يقول أحد الإخوة وهذه التفاتة لطيفة منه: إنى عندما أسجد هاتين السجدتين أشعر بالخجل من الله تعالى، فإنّنى أحس أنّ هذا نوع من المقايضة والمعاملة التجارية، لأنّى أتيت بالسجدتين مقابل رفع الألم؛ ولذلك فإنّى أسجد سجدة ثالثة لتكون لله تعالى وليس لرفع الألم وما أشبه.

شاهد ثان: قد يذهب بعض المؤمنين إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة ?لمشكلة يريد الخلاص منها مستشفعاً بهذه السيدة العظيمة، وهذا شيء جيد ولا بأس به، ولكنه يمثّل مرتبة دنيا، وعلينا دائماً أن نسعى لأن نكون فى حالة ارتفاع وارتقاء لنصل إلى المراتب العليا، فلنذهب بعض الأيام إلى حرم السيدة المعصومة ?ليس لقضاء حوائجنا الدنيوية وإنما لأنّها جديرة باحترامنا.

إذا ابتُلى أحدنا بمشكلة أو مصيبة فليتضرع إلى الله ويدعوه، فهذا أمر حسن والله تعالى يقول?: فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ، ?ولكن ثمة مرتبة أعلى وهى أن ندعو الله تعالى ونبكى ونتضرع إليه ونناجيه بأنواع الدعوات كدعاء كميل مثلاً ليس لأنّ ضغط الحاجة يدفعنا، بل لأنّ الله تعالى أهل للعبادة.

دافع الإمام الحسينعليه السلام للتضحية

هذه الفقرة التى قرأناها فى زيارة الأربعين وهى «بذل» الحسينعليه السلام «مهجته» فى الله تعالى، تعنى أنّ تضحية الإمام الحسينعليه السلام العظيمة لم تكن من أجل الجنة بل كانت من أجل الله تعالى، أجل إنّ الإمام الحسينعليه السلام يحب الجنة وكلنا نحب الجنة، ولكن تضحيات الإمام الحسينعليه السلام كانت «لله» تعالى، وكما قال أمير المؤمنينعليه السلام مخاطباً ربه: «ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

فشتان مثلاً بين ولد يذهب لزيارة والده ويقبّل يده طمعاً فى ما قد يحصل عليه من النقود، وولد يقوم بذلك العمل لأنّه يرى أنّ مقام الأب يقتضى ذلك، وشتان بين أن تعود شخصاً وتزوره لطمع فى أمواله مثلاً، وأن تزوره بسبب ما يستحقه من احترام وتقدير.

لقد بكى النبى شعيب (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) حتى ابيضت عيناه، وعندما سأله الله سبحانه عن سبب بكائه قال: أبكى حباً لك، فشتان بين بكاء شعيبعليه السلام وبكائنا نحن!

يقول الشاعر مخاطباً الإمام الحسينعليه السلام:

تبكيك عينى لا لأجل مثوبة

لكنّما عينى لأجلك باكية

فلنصلّ أحياناً بعض الركعات المستحبة لله تعالى، لكونه أهلاً للعبادة، كما نصلّى للحاجة، فإنّ للصلاة إعظاماً لله ومن دون وجود حاجة تدفعنا إلى ذلك قيمة كبيرة عند الله تعالى.

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

لقد ورد فى النص أيضاً:

«ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

وهذا الاستنقاذ له مجالان:

المجال الأوّل: الاستنقاذ فى الإطار الخاص

وأعنى به إنقاذ أبنائنا وبناتنا من الأخطار التى تداهمهم فى هذا العصر، ومن أفضل الوسائل لهذا الإنقاذ مجالس سيد الشهداءعليه السلام والشعائر الحسينية، فإنْ نحن وضعنا أنفسنا وأولادنا وعوائلنا فى أجواء هذه المجالس والشعائر الحسينية فإنّها ستكون من أفضل الضمانات لإنقاذهم ونجاتهم، أما إذا لم نهتم بهذا الأمر فإنّ الابن قد يشكّل خطراً على أبيه وعلى العائلة والمجتمع، ولنا عبرة فى هذه القصة التى حدثت فى إحدى البلاد العربية، ولعل مضمونها التقريبى:

إنّ رجلًا سحب أمواله من المصرف وعاد إلى البيت، ولما جن عليه الليل وإذا بشخصين ملثمين مسلّحين (أو أكثر) دخلا عليه وأمراه أن يسلّمهما المال وإلّا قتلاه.

تحير الرجل وفكر فى طريقة للتخلص منهما وعدم التفريط بالمال، فقال لهما: إنّ المال فى الغرفة المجاورة اسمحا لى لآتيكما به. وخرج الرجل ثم عاد إليهما من باب آخر وهو يحمل سلاحه النارى ويده على الزناد، فأطلق عليهما النار وأرداهما فى الحال قتيلين، وعندما أماط لثامهما اكتشف أنّ أحدهما ابنه والآخر ابن أخيه.

تصوّروا خطورة الموقف وما آلت إليه مجتمعاتنا! لقد صار الابن يهدد أباه ويحاول نهبه!! يا له من خطر كبير! فإذا لم يهتم الآباء والأمهات بهذا الجانب فسيصبح الجيل الجديد فى خطر.

أما الذين عاشوا مع سيد الشهداءعليه السلام ونشأوا فى مجالسه يحزنون لمصابه ويلطمون صدورهم عليه ويشتركون فى مواكب عزائه، فقد حصلوا على ضمانة لنجاتهم بإذن الله تعالى، وإذا كانت فى حياتهم بعض اللمم، فإنّ سيد الشهداء سيهديهم إلى الله تعالى فى نهاية الأمر إن شاء الله تعالى، وما أكثر الموالين الذين استقاموا فى حياتهم ببركة سيد الشهداءعليه السلام.

المجال الثانى: الإنقاذ فى الإطار العام

لو كنا نعرف قيمة سيد الشهداءعليه السلام حقاً لاستطعنا أن ننقذ العالَم كله بإذن الله تعالى، فإنّ القدرة الموجودة فى نهضة سيد الشهداءعليه السلام بإمكانها أن تنقذ جميع العباد والبلاد؛ لما فيها من جاذبية عجيبة، ولما انفردت به من البطولات.

يقول أحد الغربيين: لقد قرأت تاريخ الحروب المدوّنة كلها فلم أجد فيها من بدايتها إلى نهايتها موقفاً لقائد يشبه موقف الحر الرياحى، راجعوا التاريخ كله، هل تجدون قائداً ينتقل من الطرف الأقوى إلى الطرف الأضعف من الناحية العسكرية مضحياً بمنصبه وهو يعلم أنّ مصيره القتل حتماً؟!!

إنّ قضية كربلاء مشحونة بالبطولات العظيمة وقد اشترك فيها الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب والأحرار والعبيد ... ولذلك فهى مؤثرة فى كل شرائح المجتمع.

إنّ انتشار التشيّع فى العراق رهين لنهضة سيد الشهداءعليه السلام، لقد فكّر أحد علماء العراق فى استقطاب الشعب العراقى إلى خط أهل البيتعليهم السلام، فوجد أنّ أفضل طريقة هى نهضة الإمام الحسينعليه السلام، فكان هذا العالِم يذهب إلى المدن والقرى ويذكر لأهاليها قصص وبطولات كربلاء وما تحفل به من البطولات والمآسى حتى استطاع أن يهدى حوالى مئة ألف إنسان إلى التشيّع.

فى بلد آخر كان عدد الموالين لأهل البيتعليهم السلام لا يزيد على عشرة ملايين نسمة، ولكن ببركة المجالس الحسينية اهتدى إلى خط أهل البيتعليهم السلام الكثير من السكان حتى بلغ عدد الموالين ثلاثين مليون نسمة كما نقل بعض العلماء من سكنة ذلك البلد وهذا الأمر أرّق أعداء آل البيت فاجتمعوا وفكّروا فى الوقوف فى وجه هذه الظاهرة وهذا الموج الحسينى الهادر الذى لو قدّر له أن يسرى لاهتدى كل أهل البلد أو معظمهم بفضل قضية سيد الشهداءعليه السلام وما تحظى به من جاذبية.

مجالس الإمام الحسينعليه السلام من الباقيات الصالحات

إذن ينبغى علينا أن نساهم بمقدار إمكاناتنا فى هذا المجال، فهى من أعظم الباقيات الصالحات، يقال إنه كان هناك رجل من الأعيان

فی إیران یقال له فرهاد میرزا، اجتمع الأعیان مرة وبدأ کل منهم یعدد ما یملک من عقارات وأراض وأرصدة وأموال فی المصارف والبنوک، ولکن فرهاد میرزا لم یقل شیئاً، فقالوا له: وأنت یا فرهاد لم تخبرنا عما تملک؟

«فقال: دعونی من ذلک. ولما ألحّوا علیه قال: إنّ لی رصیدین فی بنکین: الأول: کتاب «القمقام» فی (بنک سید الشهداءعلیه السلام) والثانی: بناء الصحن فی (بنک الإمامین الکاظمین)».?

لقد ذهبت أرصدة أولئک الأعیان کلها وبقی رصیدا فرهاد میرزا، فقد ادّخرهما فی حساب مصرفی مسجل لدی الإمام الحسین والإمامین الکاظمین.?

وبعد أیام قلائل لا یبقی أیّ منا علی قید الحیاة وتذهب کل أموالنا، ولا تبقی منا إلّا الأعمال الصالحة، فلنبادر إلی الإکثار منها، ومنها المشارکة فی مجالس وشعائر أبی عبد الله الحسینعلیه السلام.

لا ینفع فی الآخرة عمل مثل ما تنفع الشعائر الحسینیة

وقد نقل لی أحد الأخوة المؤمنین أنّه رأی السید الوالدرحمة الله علیه فی عالم الرؤیا فقال له:

«قل لأولادی وأحبائی إنّه لا ینفع هنا فی عالَم القبر إلّا الحسینعلیه السلام، ثم ذهب وعاد وکرر علیه القول مرة ثانیة.

ثم ذهب وعاد وقال مرة ثالثة: قل لأولادی وأحبائی لا ینفعکم هنا إلّا الحسینعلیه السلام».

وهناک رؤیة مشابهة للعلّامة الحلیرحمة الله علیه، فقد رؤی فی عالَم المنام

یقول لولده:

«لولا کتاب الألفین (وهو کتاب فی الدفاع عن الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام) وزیارة الحسینعلیه السلام، لکان (کذا)».

أیها الأخوة، ستزول المظاهر التی نراها بعد أیام ویتحول هذا الوجود الحی المتحرک النابض إلی اسم علی شاهد قبر، ولنعلم أنّ «الیوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل».

وإنّ هذه الأعمال، وهذه الدموع، وهذه المجالس، وهذه الشعائر هی التی ستبقی لنا، فلو أنّ أحدنا استطاع أن یساهم ببناء حسینیة أو إقامة مجلس أو نحو ذلک، فلا یقصر فهی من الباقیات الصالحات له.

نسأل الله تعالی أن لا یحرمنا من هذا التوفیق العظیم، توفیق إقامة مجالس وشعائر أبی عبد الله الحسینعلیه السلام.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

الامام السجّاد علیه السلام ... عصره و دوره

الامام السجّاد علیه السلام ... عصره و دوره

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین

مقدّمة

نتناول فی حدیثنا هذا طبیعة العصر الذی عاش فیه الإمام السجّادعلیه السلام أوّلاً، ودورهعلیه السلام فی هدایة الأمّة وتوجیهها ثانیاً.

أما بالنسبة إلی الموضوع الأول فلقد شهد عصر الإمام السجادعلیه السلام مجموعة من الأزمات الحادّة فی مختلف المجالات، ولکننا سنتعرض فی حدیثنا هذا بإذن الله تعالی إلی نوعین منها وهما: الأزمة الفکریة والأزمة الأخلاقیة.

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أما الأزمة الفكرية أو الثقافية فمنشؤها عاملان:

العامل الأول: الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى

وهذه الأزمة تهدّد كلّ عملية انفتاح، إن لم يكن مخططاً لها من قبل. ولو نظرتم إلى أكثر بلادنا الإسلامية اليوم لرأيتم آثار الانفتاح على الثقافات الأخرى كالثقافة الغربية، ومن الواضح أنّ الحضارات الأخرى تمتلك منظومة فكرية مختلفة عن منظومتنا الفكرية، مثلاً: حجاب المرأة لا معنى له فى حضارة الغرب، بل ربّما لا تمثّل العفة أساساً قيمة حضارية عند الكثير منهم.

وعندما تلتقى حضارتان وتنفتح إحداهما على الأخرى، فإن المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأقوى تؤثّر على المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأضعف.

ونحن نعتقد أن المنظومة الفكرية للإسلام هى أقوى المنظومات الفكرية، وبالتالى فإن الفرد الذى يستوعبها لا يخافُ عليه من التأثّر أو الذوبان، وإن عاش فى قلب الثقافات الأخرى، لأن ثقافته هى الأعلى.

بيد أن الثقافة الإسلامية وإن كانت أقوى الثقافات ولعلّ هذه القوة من مصاديق قوله تعالى: (وأنتم الأعلون) لم يُتح المجال لها كى تُبيّن بالشكل الكافى وتنتشر. ولو راجعنا التاريخ الإسلامى لرأينا أن النبيعليه السلام كان فى مكة يعيش الضغوط الكبيرة، وكان فى المدينة يخوض الحروب الدفاعية، والإمام أمير المؤمنينعليه السلام كان يعيش حالة الإقصاء قبل الخلافة الظاهرية، حتى إذا آل إليه الأمر أثاروا فى وجهه الفتن والحروب والمشاكل الداخلية، حتى قال أحد الغربيين:

«يجب أن نصنع لمعاوية تمثالاً من ذهب لأنه وقف فى وجه تقدّم الإسلام على يد علىّ بن أبى طالب!»

وهكذا الحال مع الإمام الحسن والإمام الحسين وكثير من الأئمة الآخرينعليهم السلام.

وهذا معناه أن الأمة لم تحصل على المناعة الفكرية الكافية، ولذلك عاشت خطراً فكرياً وثقافياً هائلاً عندما انفتحت على الثقافات الأخرى، فوفدت إليها الأفكار الجبرية والقدرية وأفكار الفلسفة اليونانية فأثّرت فيها تأثيراً سلبياً.

هل لاحظتم المصاب بمرض فقدان المناعة؟ إنه يُسقطه أضعف ميكروب، وقد يصيبه زكام خفيف فيقتله؛ ولذلك يُحَجر عليه لئلا تنتقل العدوى من الآخرين إليه، فهكذا هى حال الأمة التى تلتقى بثقافات أخرى وهى فاقدة للمناعة. أما إذا كانت محصّنة فلا يكون ثمّة خطر عليها حينئذ.

العامل الثانى: عملية التضليل أو غسيل الدماغ

وهذا ما قامت به السلطات الحاكمة، فمعاوية ومن سبقه ومن تلاه كوّنوا جهازاً لصنع الثقافة المضللة للأمة.

وقد روى فى التأريخ أن أهل الشام ما كانوا يعرفون للنبيعليه السلام قرابة وأهل بيت غير بنى أمية! ولذلك أوصى معاوية ولده يزيد بثلاث وصايا؛ إحداها تتعلق بأهل الشام قال له فيها:

«أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شىء من عدوّك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم».

ولغسيل الدماغ طرق كثيرة منها عزل الفرد، والحيلولة دون وصول المعلومات الصحيحة إليه، وهذا ما قام به معاوية بن أبى سفيان وأمثاله.

ومن هنا كان بعض أهل الشام يعتقدون أنّ الإمام أمير المؤمنين (على بن أبى طالبعليه السلام) كافر، والعياذ بالله! وكان معاوية ينشر بين أهل الشام أنّ عليّاً لا يصلّى!.

مثال على التضليل الفكرى فى واقعنا الراهن

واليوم نرى بعض الأفراد يقومون بعمليات انتحارية وهم يستهدفون قتل المسلمين والناس الأبرياء بما فيهم الأطفال والنساء، ويظنّون أنهم يتقرّبون بذلك إلى الله سبحانه! إنه مثال واضح على استخدام أساليب غسيل المخ عبر عزل الأفراد وتزريقهم بأفكار متطرّفة، ومنعهم من الاحتكاك بالآخرين؛ وإلا كيف يمكن لإنسان أن يقوم بعملية انتحارية يقتل فيها نفسه والناس الأبرياء العزّل ظلماً وعدواناً فيخسر آخرته ودنياه إن لم يكن مضللاً تضليلاً مركّزاً.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فآباء القوم كانوا يتقرّبون أمس إلى الله بقتل سبط الرسولعليه السلام وسبى أهل بيته ونسائه، ويأسف الأحفاد اليوم على أنهم فاتهم ذلك، فيسرعون إلى توجيه نيران حقدهم إلى مضجعه الشريف ومحبّيه وزواره!!

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

المشكلة الثانية التى شهدها عهد الإمام زين العابدينعليه السلام هى المشكلة الأخلاقية. وواضح منشأ هذه المشكلة، فإنه إذا كان يتربع على قمّة الحكم الإسلامى شخص مثل يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم، فماذا ستتوقّع من القاعدة وما بالك بالمجتمع؟ وإذا كان ربّ البيت بالدف ناقراً، فماذا ستكون شيمة أهل ذلك البيت؟

لنلاحظ الانحطاط الخلقى عند هذا الحاكم الذى يجلس فى مكان رسول اللهعليه السلام، والذى يُفترض فيه أن يكون قمّة فى الأخلاق والدين لندرك عمق الفاجعة ونعرف طبيعة الأزمة الأخلاقية فى عهد الإمام زين العابدينعليه السلام؛ ولنفهم معنى قول الإمام الحسينعليه السلام لمعاوية: «دَعه أى يزيد وما رضى لنفسه» من اللعب بالقرود والفهود ومعاقرة الخمور ودَعِ الأمة وشأنها!

وكان يزيد فيما أجمع عليه المؤرّخون ولِعاً بالقرود، فكان له قرد يجعله بين يديه ويكنّيه بأبى قيس، ويسقيه فضل كأسه، ويقول: هذا شيخ من بنى إسرائيل أصابته خطيئة فمُسخ، وكان يحمله على أتان وحشية ويرسله مع الخيل فى حلبة السباق، فحمله يوماً فسبق الخيل فسرّ بذلك وجعل يقول:

تمسّك أبا قيس بفضل زمامها

فليس عليها إن سقطت ضمان

وأرسله مرّة فى حلبة السباق فطرحته الريح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً وأمر بتكفينه ودفنه، كما أمر أهل الشام أن يعزّوه بمصابه الأليم!

وكذلك عملوا، فكانوا يأتون زرافات لتعزيته فيه!!

فإذا كان هذا وضع الحاكم الذى يمثّل الأب والقائد فى المجتمع، فكيف سيكون حال غيره؟

إذا كان الأب فى البيت مثلاً يشاهد الأفلام الخليعة أمام أولاده، فماذا تتوقع من الأولاد؟ إنّ هذا الواقع الفاسد فى القمة خلق انهياراً أخلاقياً مريعاً فى القاعدة.. وكان من نتائج ذلك قتل ابن بنت رسول اللهعليه السلام وحبيبه.

راجعوا كتاب (الأغانى) وانظروا كيف كان يعيش المجتمع آنذاك؟ إن عنوان الكتاب ويقع فى مجلّدات هو خير تعبير عن تلك الفترة، فالأغانى جمع غناء وتعنى اللهو والعبث والمجون!

ويـذكر بعض المـؤرّخين أنه ظهرت فى تلـك الفـترة عصابـات اختطـاف الفتيـات، حـتى فى وضـح النهـار، وكـانوا يتحـدّون المجتمع ويقولون للمرأة اصـرخى ثلاثاً فإن جاء شخص لنجدتك تركناك وإلا فلا. ولم يكن يجرؤ أحد للوقوف فى وجههم وإغاثة المرأة إلا أن تكون وراء المرأة عشيرة قوية مرهوبة الجانب! هكذا كان وضع البصرة فى عهد زياد أو ابن زياد.

وكانت هذه لمحة موجزة عن الأزمة الثقافية والأخلاقية التى شهدها عهد الإمامعليه السلام، وننتقل إلى الموضوع الثانى وهو:

أدوار الإمام السجّادعليه السلام

فى ظلّ الواقع والأزمات التى أشـرنا إلى نموذجين منها، كان الإمام أمام عمليـة تغيير جذريـة؛ ذلك أن الفرد قـد يتّجه فى عملية التغيير إلى البنى الفوقية لتغييرها، إلا أنّها عملية غير ممكنة، ولو فرضنا أنها ممكنة فإنها لا تدوم.

هب أنك جئت إلى مجتمع وأحـدثت فيه انقلاباً وغيّرت كل بناه الفوقية، ألا تحتاج إلى أيد وإلى موظفين ووزارات؟! فإذا كانت كل هذه التركيبة فاسدة فكيف ستتمكن أن تعمل فى مجتمع كهذا؟

لقد ارتقى معاوية الثانى (وهو معاوية بن يزيد) المنبر وتبرّأ من أبيه وجدّه وقال:

«إنهما كانا غاصبَين للخلافة وإن الأحقّ بها اليوم علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالبعليهم السلام!)».

فلنفرض أنّ الإمام السـجّادعليه السـلام أصـبح هو الحاكم، فما الذى يمكن حسب المقاييس الظاهرية فعله وجميع أفراد الجهاز الحاكم فاسـدون والمجتمع منهار؟ انّ مجتمعاً يقتل الإمام الحسـينعليه السـلام لهو مجتمع منهار وفاسـد فكرياً وأخلاقياً ودينياً وعقائـدياً، فكيف تقوده من فوق بل لابد من العمل معه من الأساس.

لقـد قام العباسـيون بثورة أطاحوا فيها حكم الأمويين، فما الـذى تغيّر إلا الأشـخاص؟! لقد حلّ فرد عباسـىّ محلّ فرد أموىّ فى الحكم، فماذا كانت النتيجة؟ لقد فعل العباسيون مثل ما فعل أسلافهم، بل قال الشاعر:

تالله ما فعلت أمية فيهم

معشار ما فعلت بنو العباس

ولقد كتب أبو سـلمة الخلال للإمام الصادقعليه السـلام وعرض عليه الحكم فرفض ولعل ذلك لأنّهعليه السـلام لم يشأ تبديل أشخاص مكان أشخاص بل كان يريد تغيير المجتمع.

ومن هنا لجأ الإمام السـجادعليه السلام إلى البنى التحتية فى المجتمع، ليس مجتمعه الذى كان يعاصره فحسب بل كلّ المجتمعات التى تلته إلى يومنا هذا! إن الإمام السـجادعليه السـلام لم يغيّر ذلك المجتمع فحسب بل غيّر المجتمعات المتعاقبة إلى هذا اليوم، فماذا فعل الإمام السجّادعليه السلام؟

۱ بناء الامة فكرياً

وفى هذا المجال يذكر المؤرخون أنه كانت للإمام السجادعليه السلام حلقة درس فى مسجد النبيعليه السلام يلقى فيها كل يوم معارف أهل البيتعليهم السـلام فى الفقه والتفسير والحـديث، وكان الجمهور الأعظم من القرّاء (أى حملة القرآن والحديث) تلاميذ الإمام زين العابـدينعليه السـلام. ولاـ يخفى مـا كـان للقرّاء من أهمّيـة فى ذلـك المجتمع، فكـان العمـل معهم يعنى العمل مع قطاعات واسـعة من المجتمع.

يقول سعيد بن المسيب:

«لم يكن القرّاء يخرجون من مكة ما دام الامام السـجادعليه السـلام فيها وقال: بقينا مع الإمام السـجّادعليه السـلام لم نخرج حتى خرج، وكنّا ألف رجل».

والرواية التالية تبيّن مظهراً آخر من مظاهر البناء الفكرى للأمّة:

جاء شيخ شامىّ ودنا من نساء الحسينعليه السلام وعياله وهم فى الأسر فقال: الحمد لله الذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له على بن الحسينعليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية?: لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى؟ ?قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال عليعليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت? وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ?فقال الشيخ: قد قرأت، فقال علىّ بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى؟ ?قال: نعم، فقال له علىّعليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ?إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ?قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علىّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذى خصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال الراوى: فبقى الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به وقال: بالله إنكم هم؟ فقال: علىّ بن الحسين: ?تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ وحقّ جدّنا رسول اللهعليه السلام. فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنا نبرأ إليك من عدوّ آل محمدعليه السلام من جنّ وإنس. ثم قال: هل لى توبة؟ فقال له: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقُتل.

۲ البناء الأخلاقى للأمة

وفى هذا المجال أيضاً لم يقتصر دور الإمامعليه السلام على عصره، بل ما زال دوره فاعلاً إلى الآن بما خلّفه من الآثار الروحية والخلقية مثل دعاء مكارم الأخلاق الذى يمثّل مدرسة أخلاقية للأجيال المتعاقبة.

إن هذا الدعاء العظيم ما زال فى حالة بناء أخلاقى للأمة منذ أكثر من ألف عام وسيستمرّ على ذلك إلى انقضاء الدنيا باذن الله تعالى.

وهكذا الحال مع الأدعية التربوية الأخرى مثل دعاء أبى حمزة الثمالى وغيره من الأدعية.

وهذه الآثار ثروة نملكها نحن ولا يملك مثلها الآخرون، وإنى أتصوّر أنها لو عُرضت على العالم فإن مجرّد سماعها سيدفع الكثير من الأفراد نحو الاتجاه إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام ومن تلك الآثار أدعية الصحيفة السجادية الأولى، وأدعية الصحيفة السجادية الجامعة التى طُبعت حديثاً فى أكثر من ثمانمئة صفحة وتضمّ مئتين وسبعين دعاءً من أدعية الإمام السجادعليه السلام، ورسالة الحقوق التى تعدّ هى الأخرى مفخرة لنا نحن الشيعة.

لقد طرح الإمامعليه السلام هذه الوثيقة التى تعدد الحقوق الفردية والاجتماعية، من قبيل: حقّ السلطان على الرعية، وحقّ الرعية على السلطان، وحقّ المولى على العبد، وحقّ العبد على المولى، وحقّ الأولاد والآباء والتلاميذ والأساتذة والمربّين و، ... كلّ ذلك فى عصر لم يكن فيه معنى لكثير من هذه الحقوق؟!

إن العالم اليوم يتحدّث صباح مساء باسم حقوق الإنسان، وحضارات الغرب بنت إعلامها على التظاهر بالدفاع عن حقوق الإنسان، إلا أنهم لم يبلغوا معشار ما ذكره الإمام السجادعليه السلام الذى طرح هذه الرسالة فى عصر كان الحكّام يتعاملون فيه مع الناس على أنهم عبيد لهم يباعون ويشترون!

وعلى كل حال: فإنّ البناء الفكرى والثقافى وكذلك الروحى والأخلاقى للإمام السجّاد ولسائر الأئمة المعصومينعليهم السلام لم يكن محصوراً بزمن معيّن أو بقعة جغرافية محددة. وهذا هو إحدى الأجوبة على من يستشكل على أمير المؤمنينعليه السلام بأنه لِم لم يقم بالعمل الكذائى، أو يستشكل على الإمام السجادعليه السلام بأنه لِم لم يقبل الحكم!

لو كان أمير المؤمنينعليه السلام يشترى الضمائر بالأموال ويفعل كما فعل معاوية لما عاد علىّ علياًعليه السلاملما كنّا نملك اليوم هذا النموذج التاريخى المشرق والبنّاء فى صناعة الأمة ثقافياً وفكرياً وروحياً ونفسياً.

كان أحد العلماء يقول:

«إذا ذهبتَ إلى قريـة ولاحظت أن أهلها متـديّنون متخلّقون بأخلاق الأنبياءعليهم السـلام فاعلم أنه كان يقيم بين ظهرانيهم فى برهة من الزمن رجل دين متديّن حتماً، لأن رجل الدين المتديّن له إشعاع ولو لم ينطق حتى بكلمة واحدة!

ويضيف العالم: وإذا ذهبتَ إلى قرية وشاهدت أن أفرادها عادّيون فهذا معناه أنهم حُرموا من مثل هذا الرجل المتدين المتخلّق بأخلاق الأنبياءعليهم السلام!»

إننا لو شاهدنا عالماً يحمل مسحة من تلك الأنوار القدسية فإنّنا نتأثّر به، فكيف بمن شاهدوا الإمام السجادعليه السلام؟

إن قضـية المربّى مهمة جداً، ويجب أن نبحث عن المربّى فى كلّ ميدان، لأنّ الفرد الذى له مربّ فى الفقه مثلاً ليس كمن لا مربّى له، وهكذا الحال فى الخطابة وغيرها؛ فكيف بالأخلاق؟!

نموذج من أخلاق الإمام السجادعليه السلام

قال رجل من ولد عمار بن ياسـر: كان عند علىّ بن الحسـينعليه السـلام قوم، فاسـتعجل خادماً له، فأخرج شواء من التنور، وأقبل الخادم عجلاً وبيده السـفود وبين يدى علىّعليه السـلام ولد له صـغير، فسـقط السـفود على الصغير، فنشّ ومات، فبهت الخادم، فنظر إليه علىّعليه السلام وقال: أنت لم تتعمد هذا، أنت حرّ لوجه الله تعالى. ثم أمر بمواراة الولد.

إن التشـيع الـذى انتشـر فى شـرق الـدنيا وغربها انتشـر عبر هؤلاء الأفراد الذين قام الإمام السـجادعليه السـلام ببنائهم وأمثالهم ليس فى الظرف الزمانى والمكانى المحددين (فى المدينة وفى عصرهعليه السلام) بل على امتداد العهود والدهور والبقاع، ونحن اليوم ينبغى لنا ونحن نعيش هـذه التحدّيات الكبرى أن نفكّر فى البناء الثقافى والروحى والنفسـى للأمّة كما نفكّر فى سائر الأبعاد، فإنه عمل باق على امتداد العصور بإذن الله تعالى.

۳ دور الإمام فى إبقاء النهضة الحسينية

وكان للإمام السـجادعليه السلام دور فاعل ومهمّ جداً فى إبقاء نهضة سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام، وهذا من أكبر أدوار الإمام السجادعليه السلام.

لقد حاولت الحكومة الأموية أن تتملّص من مسؤولية قتل الإمام الحسـينعليه السـلام بالقول إنه خطأ فردىّ ألصـقته بأحد أعوانها لتنتهى القضية عند هذا الحدّ.

وهنالك مسألـة أخرى عجيبـة ذكرها التاريـخ وهى أن فئـة وُجـدت تعتقد أن الإمام الحسـينعليه السـلام لم يُقتل وإنما رُفع إلى السـماء كالمسيح ابن مريم.?

ربما كان هذا التفسير منشؤه عظم الفادحة، وربما كانت القضية متعمّدة ويراد منها محو قضية الإمامعليه السلام من الأذهان.

إحدى الأمور المهمّة التى قام بها الإمام السجادعليه السلام، أنه أبقى هذه النهضة، ولقد ساهم جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام السجّادعليه السلام فى إبقاء النهضة الحسينية بكلّ صورة.

وحتى خاتم الإمام السـجادعليه السـلام نفسه كان فى صـراط إبقاء قضـية الإمام الحسـينعليه السـلام، فقد كُتب عليه: خزى وشـقى قاتل الحسين بن على.

وهذا الإبقاء للنهضة الحسينية قام به الإمامعليه السلام أيضاً عندما قرأ المصيبة لجابر فقال: ياجابر ههنا والله قُتل رجالنا.

وهنـاك أمثلـة كثيرة على هـذا الموضوع مثل قضـية الجزار الـذى سأله الإمامعليه السـلام إن كان قـد سـقى الجزور ماءً، وروايـة أنه لم يوضع أمام الإمامعليه السلامطعام أو شراب إلا ومزجه بدموع عينيه، فهذه كلّها من مفردات قضية «الإبقاء».

وفى الجانب المعاكس نجد أعداء أهل البيت الذين حاولوا ولازالوا يحاولون محو هذه القضية عبر أساليب شتى ومنها التخويف والإرهاب، وربما كانت هذه الانفجارات الأخيرة فى المناطق المقدسة تصبّ فى هذا الهدف، فهم ينوون تخويف الزوار حتى لا يأتوا للزيارة، ناسين أن شيعة أهل البيتعليهم السلام أثبتوا أنهم لا يتركون خطّهم لمحاولات التخويف والإرهاب.

وقد كان هذا هو ديدن الحكام الظالمين، فإنّهم عندما يصلون إلى الحكم يتعرّضون قبل كلّ شىء لقضية الإمام الحسينعليه السلام. فالبهلوى الذى كان عميلاً استعمارياً من اوائل ما عمله ضدّ الإسلام أنه بدأ بمحاربة الإمام الحسينعليه السلاموشعائره، فمنع التطبير أوّلاً بحجة أنه عمل وحشىّ لا ينسجم مع قيم التمدّن والحضارة، وفى خطوة لاحقة منع مواكب التمثيل (التشبيه)، إلى أن آل به الأمر إلى منع مجالس العزاء حتى فى يوم عاشوراء، بل كان يشجّع على إقامة احتفالات الفرح فيه. بعد ذلك انتقل إلى التعرّض لفروع الدين فمنع الحجاب للنساء والعمامة للرجال، وأمر بلبس القبعات الافرنجية، وبدّل قوانين الأحوال الشخصية ... ولكن البداية كانت قضية الإمام الحسينعليه السلام.

الانطلاق من قضية الإمام الحسينعليه السلام

ونحن بدورنا إذا أردنا أن نعمل للدين فعلينا أن نبدأ بقضية الإمام الحسينعليه السلام. إن البداية هى قضية الإمام الحسينعليه السلام سلباً أو إيجاباً، لأن إحياء قضية الإمام الحسينعليه السلام إحياء للقيم كلها وإماتتها إماتة للقيم كلها.

علينا أن نحاول بكلّ وسيلة أن نحيى قضية الإمام الحسينعليه السلام، فمن يمكنه الذهاب لزيارة الإمام فى مناسبة الأربعين فليذهب، ومن لا يتمكن ليحثّ القادرين على الذهاب بلسانه وماله. وهكذا بالنسبة إلى سائر الأعمال فإن المطلوب منّا جميعاً أن نبذل ما بوسعنا، وأذكر لكم النموذج التالى لنعرف أن كلّ فرد يستطيع أن يقدّم خدمة ما فى هذا الطريق.

فى منطقة تقع شمال إحدى البلاد الغربية حلّ رجل هندى قبل ۴۵ عاماً تقريباً وجاءتْ أيام عاشوراء ففكّر فيما يمكن عمله وهو فى مثل هذه الأجواء البعيدة عن الدين تماماً، فقرّر أن يقيم فى بيته مأتماً للإمام الحسينعليه السلام، ولكن من أين يأتى بالمستمعين؟ لم يجد بدّاً من دعوة الهنود السيك الذين كانوا فى تلك المنطقة إلى مجلسه وصار يقرأ عليهم بنفسه مصيبة الإمام الحسينعليه السلام (مع أنه لم يكن خطيباً).

بعد مرور عامين جاء رجل هندى آخر إلى نفس المنطقة، واقتربت أيام عاشوراء فقرّر أن يقيم مجلساً لأبى عبد الله الحسينعليه السلام وأخذ يقلّب دفتر أرقام الهواتف فى تلك المنطقة لعلّه يجد من يعرفه فيدعوه، فوقعتْ عيناه على اسم فيه شبه بالأسماء الشيعية، فاتّصل به ليدعوه، فقال له: يوجد فى بيتى مأتم فتعال واشترك معنا. يقول الهندى الثانى: ذهبت إلى بيته أى الهندى الأول فرأيته جالساً يقرأ فى كتاب وحوله مجموعة من الكفار السيك يلطمون!

قبل خمس سنوات من الآن أى بعد مرور أربعين سنة تقريباً على ذلك المأتم قال لى ناقل القصة:

«الآن يوجد فى المنطقة نفسها خمس عشرة حسينية يقيم فيها المسلمون العزاء على الإمام الحسينعليه السلام».

إذن يتمكّن المرء أن يعمل فى كلّ الظروف وفى أىّ محيط وسيثمر عمله يوماً ما بإذن الله تعالى، وينبغى أن نعلم أننا مهما قدّمنا للإمام الحسين فهو قليل، فعلينا أن نحاول إحياء قضية سيّد الشّهداءعليه السلام بكلّ صورة لأن فى إحيائها إحياء الدين كلّه والقيم جميعها.

نسأل الله أن يوفّقنا لذلك.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الامام المهدى عليه السلام امام الرحمة

الامام المهدى عليه السلام امام الرحمة

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

تحدّثنا فى محاضرة سابقة عن خاتم الأنبياء محمد المصطفيعليه السلام وقلنا إنه نبى الرحمة، وفى هذه المحاضرة سنتحدث بإذن الله تعالى عن خاتم الأوصياء المهدىّ المنتظرعليه السلام بصفته إمام الرحمة، ونتناول البحث فى فصلين:

الفصل الأول:

الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ونعرض هذا الفصل فى مقامين:

المقام الأول: الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامّة.

المقام الثانى: الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية الخاصّة.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة التى تجرى على يد الإمام المنتظرعليه السلام.

الفصل الأول الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية

الفصل الأول الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية

المقام الأوّل: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة

المقام الأوّل: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة

وهذا ما سنوضحه من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى

إن لله سبحانه وتعالى رحمة عامّة تسع جميع الموجودات بلا استثناء، وهى الرحمة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله?: وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ، ?والشيئية تساوق الوجود كما يقول العلماء ويتفرّع على هذه المساوقة أربع قواعد كالتالى:

القاعدة الأولى: كلّ موجود فهو شىء.

القاعدة الثانية: كلّ شىء فهو موجود.

القاعدة الثالثة: كلّ ما ليس بموجود فليس بشىء.

القاعدة الرابعة: كلّ ما ليس بشىء فليس بموجود.

فلو وضعت إصبعك على أىّ موجود من موجودات عالم الإمكان سواء كان هذا الموجود ذهنياً أو خارجياً وسواء كان جوهراً أم عرضاً، وسواء كان موجوداً حقيقياً أم موجوداً انتزاعياً، وفى أية نشأة من نشآته كان، فهو شىء، ومن ثم لا يوجد عندنا مفهوم فى العالم أوسع من مفهوم الشىء، فعندما يقول الله تعالى?: وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ?فهذا يعنى أنه لا يشذّ عن هذه الرحمة أىّ موجود من الموجودات، فما من موجود إلا وهو مشمول للرحمة الإلهية العامة.

النقطة الثانية

لقد جرت عادة الله على أن تجرى الأشياء بأسبابها، فهذه الرحمة الإلهية العامة لا تجرى عادة إلا عبر أسباب، فلو أردت الدفء مثلاً

فإن الله لا يمنحك الدفء عادة مباشرة بل انه تعالى جعل منابع للدفء فى هذا العالم كالشمس، فيجب عليك أن تأخذه منها، وهكذا لو أردت الارتواء من العطش فإن الله لم تجر عادته على إرواء الإنسان مباشرة، بل يجب عليك اللجوء إلى الماء فهو الذى يزيل العطش بإذن الله ومشيّته.

النقطة الثالثة

إن جميع روافد الرحمة الإلهية العامة تنتهى إلى منبع واحد هو وجود خاتم الأوصياء الإمام المهدى المنتظرعليه السلام وكلّ رافد يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، فالشمس تمثّل جانباً والماء جانباً والهواء الذى نستنشقه يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، ولكن هناك منبع واحد يمثّل الرحمة الإلهية العامّة الشاملة بتمام أبعادها ومظاهرها، ذلكم هو الإمام المهدى المنتظرعليه السلام، وقد روى أنهعليه السلام قال عن نفسه: «إن رحمة ربكم وسعت كل شىء وأنا تلك الرحمة».

وفى زيارة آل ياسين نخاطب الإمام المهديعليه السلام: «السلام عليك أيها الرحمة الواسعة». وفى الدعاء: «وأكمِل ذلك بابنه القائم رحمة للعالمين».

وكلمة «العالمين»: جمع «عالم» فهى تشمل عالم الإنس، والجن، والملائكة، وعالم الأجنة والنبات والحيوان، ... لأن كلّ مجال يضمّ صنفاً من المخلوقات فهو عالَم.

استناداً إلى ما تقدم وإلى بعض الروايات المعتبرة الأخرى، يمثّل الإمام المهديعليه السلام الرحمة التى تشمل كلّ العوالم، فما من شىء إلا وهو مشمول بها، وهوعليه السلام يمثّل المنبع الذى يمدّ جميع الروافد الخاصّة للرحمة الإلهية، ولذلك لا تجد موجوداً فى هذا العالم إنساناً كان أم نباتاً أم جماداً أو ملكاً إلا وهو مشمول لهذه الرحمة التى تسع المؤمن والكافر والمنافق وجميع الكائنات، فكلّ الكائنات إنما يجلسون على مائدة الإمام المهديعليه السلام ويكتسبون الفيض منه بإذن الله تعالى ومشيئته.

المقام الثانى: الإمام المهدى عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة

المقام الثانى: الإمام المهدى عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة

وهذا البحث نعرض له أيضاً ضمن نقاط هى:

النقطة الأولى

إن القرآن الكريم يثبت أن وراء الرحمة الإلهية العامّة رحمة إلهية خاصّة، والرحمة الإلهية العامّة غير مقيّدة بشرط، أما الرحمة الإلهية الخاصّة فهى مقيدة ومشروطة، يقول الله تعالى فى كتابه الكريم?: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ?ولا شك أن هذا نمط آخر من الرحمة لأن الله تعالى كتبها لطائفة خاصة، خلافاً للرحمة الإلهية العامّة التى ليست مقيّدة بشىء فشملت كلّ شىء. ويقول سبحانه?: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ?فهذه الزيادة مشروطة، وهى هداية خاصة، تختلف عن الهداية العامة التى يقول الله تعالى عنها?: رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.?

النقطة الثانية

كما أن للرحمة الإلهية العامة روافد، فكذلك الرحمة الإلهية الخاصة لها روافد، تبعاً للقانون الإلهى العام «إن الله تعالى أجرى عادته

بأن يخلق الأشياء بأسبابها».

ومن روافد الرحمة الإلهية الخاصّة المتّقون الأخيار، ومن روافدها العلماء الأبرار، ومن روافدها الملائكة المقرّبون.

[من المعضلات الفكرية التى كانت تواجه العلماء هو من أين تأتى للإنسان التصورات التى كان يفقدها مع أن «فاقد الشىء لا يعطيه»؟ وقد تكفّلت الأحاديث الشريفة المرويّة عن المعصومينعليهم السلام حلّ هذه المعضلة إذ قالت: إن الملائكة هى التى تقوم بهذا الدور حيث تلقى الأفكار والتصورات الطيبة فى روع الإنسان، وكثيراً ما يتّفق أن يكون الشخص جالساً خالى البال وإذا به يلقى فى روعه أن يقوم بعبادة ما أو عمل صالح لم يكن قد نبّهه إليه أحد].

النقطة الثالثة

إن المنبع الذى تنتهى إليه وتستمدّ منه جميع الروافد هو الوجود المبارك للإمام المهديعليه السلام.

وهكذا يكون الإمام المهديعليه السلام هو المنبع الذى تنتهى إليه روافد الرحمة الإلهية العامة والخاصة، فكل ما عندنا من رحمة خاصة وعامة فإنما هو ببركة وجوده الشريف.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

ويتجلّى ذلك فى مظاهر، منها:

المظهر الأول: حلّ المعضلات العلمية

لقد كان العلماء فى عصر الأئمةعليهم السلام إذا واجهتهم معضلة علمية أو فكرية يلجأون إلى الأئمةعليهم السلام لحل تلك المعضلة، أما نحن الذين نعيش فى عصر الغيبة فينبغى أن نوثّق علاقتنا بالإمام المهديعليه السلام ليعيننا فى حلّ ما يواجهنا من معضلات، ولا فرق من هذه الجهة بين عصر الغيبة وعصر الحضور، لأن الإمامعليه السلام لم يغب عنا بل نحن الذين غبنا عنه، والإمام موجود يحضر عند الناس فهم يعرفونه بشخصه ولكنهم لايعرفون شخصيته، ولذلك تراهم إذا رأوه فى عصر الظهور قالوا: لقد رأيناه من قبل دون أن نعرف أنه الإمامعليه السلام.

فلماذا لا نفكر فى اللجوء إليه لحلّ معضلاتنا الفكرية ولماذا لا نستغيث به كلّما وقفنا على مفترق الطرق حائرين؟!

وهناك قصص كثيرة عن لجوء المؤمنين إلى الإمامعليه السلام وحلّه لمشكلاتهم الفكرية، ومنها:

•ينقل عن السيد الفشاركى ?وهو أحد العلماء المحققين أنه طلب يوماً من أستاذه «المجدد الشيرازى الكبير» ?موعداً خاصّاً، وفى اللقاء طلب السيد الفشاركى من أستاذه أن يسمح له بأن يتكلّم معه فى هذا اللقاء بعيداً عن الضوابط التى تحكم عادة علاقة التلميذ والأستاذ، واستجاب الأستاذ. فقال السيد الفشاركى: سيدنا لماذا أنت ساكت على هؤلاء الكفار المحتلّين الذين دخلوا إيران؟ وماذا تنتظر؟ هل تخاف على حياتك؟ وهل دمك أغلى من دم الإمام الحسينعليه السلام وقد ضحّى بنفسه الشريفة وأهل بيته وأصحابه من أجل دين جدّه؟ فأجابه المجدد الشيرازى:?

«إنى لم أكن خائفاً على نفسى من الموت ولكنى كنت حائراً لا أدرى ما أفعل، حتى ذهبت اليوم إلى سرداب الغيبة واستمددت من ولىّ الأمرعليه السلام، فأذن لى»

ثم أصدر فتواه الشهيرة التى تقول: استعمال التبغ فى هذا اليوم بمثابة محاربة الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

•يوم كان العالم المشهور الميرزا مهدى الإصفهانى ?طالباً يدرس فى النجف الأشرف تجاذبته بعض التيارات الفكرية وبقى فى حيرة من أمره لا يدرى ما هو الطريق؟ وظلّ مدة قلقاً متحيّراً ولم يبق أمامه إلّا الملاذ الأخير بل الملاذ الأول وهو الإمام المهديعليه السلام. ولقد أبدلنا كلمة «الملاذ الأخير» إلى «الملاذ الأول» لأنه الملاذ الأول حقاً ولكننا نغفل عن ذلك عادة، وبعد أن نطرق كل الأبواب ونعجز لا يبقى أمامنا إلا بابه فنلجأ إليه ليحلّ معضلاتنا. إننا عندما نعبّر عن الإمامعليه السلام أنه الملاذ الأخير فنعنى أنه الأمل الأخير لكلّ الذين وصلوا إلى طريق مسدود وأعيتهم الحيل إذ أخطأوا الطريق ولم يلجأوا إليه أولاً.

يقول الميرزا الإصفهانى: فذهبت إلى وادى السلام وجعلت أتوسل وأبكى لكى يهدينى الله إلى الطريق الصحيح، وبينا أنا كذلك وإذا بنور ولى الله الأعظم يشرق علىّ ورأيت عبارة كتبت بنور أخضر وهى:

«طلب المعارف من غير طريقنا أهل البيت مساوق لإنكارنا وأنا الحجة بن الحسن».

وهذه العبارة هى التى أنقذته من الضياع الفكرى ورسمت له الخط الذى يجب أن يسلكه.

وعاد الشيخ الإصفهانى من النجف الأشرف إلى مشهد المقدسة ورفع الراية المهدوية وكثير من الذين يرفعون راية المهدوية فى إيران والعالم اليوم هم من تلاميذ الشيخ الإصفهانى ومدرسته. ولولا هذا الالتجاء والتوسل بالإمام لربما بقى الشيخ على ضياعه حتى نهاية عمره.

•كان السيد بحر العلوم ?فى طريقه من النجف الأشرف إلى سامراء المقدسة يمشى وحده وكانت تراود ذهنه شبهة، إذ حضر الإمامعليه السلام وحلّها له.

وهكذا كان العلامة الحلّى فى طريقه إلى كربلاء المقدسة فى ليلة من ليالى الجمع إذ أتاه الإمام الحجةعليه السلام وحلّ له مشكلة فكرية كان يعانى منها.

المظهر الثانى: حلّ المشكلات العملية على يديه عليه السلام

وهوعليه السلام فى هذا يسير على خطى جدّه رسول الله وآبائه الطاهرينعليهم السلام، فمما يروى عن النبيعليه السلام وأهل بيتهعليهم السلام فى مجال حلّ المشكلات العملية للناس:

•إن شاباً فى إحدى المعارك سالت عينه على خدّه، وكان جديد عهد بالزواج، فأتى النبيعليه السلام وشكا له حالته، فأخذ النبيعليه السلام عينه التى سالت على خدّه وأعادها فى مكانها فعادت كما كانت.

•عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: كنا جلوساً عند رسول اللهعليه السلام إذ ورد علينا أعرابى أشعث الحال عليه أثواب رثّة والفقر بين عينيه، فلما دخل وسلم قال شعراً:

أتيتك والعذراء تبكى برنة

وأخت وبنتان وأم كبيرة

وقد مسّنى فقر وذلّ وفاقة

وما المنتهى إلا إليك مفرّنا

وقد ذهلت أم الصبى عن الطفل

وقد كدت من فقرى أخالط فى عقلى

وليس لنا شىء يمرّ ولا يحلى

وأين مفرّ الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع النبيعليه السلام ذلك بكى بكاءً شديداً ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى سبق إليكم جزاء والجزاء من الله

غرف فى الجنة تضاهى غرف إبراهيم الخليلعليه السلام فمن كان منكم يواسى هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان فى ناحية المسجد على بن أبى طالب يصلّى ركعات التطوع كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابى بيده، فدنا منه، فرفع إليه الخاتم من يده وهو فى صلاته، فأخذه الأعرابى وانصرف.

ثم إن النبى أتاه جبرئيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ?: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ?وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. ?فعند ذلك قام النبيعليه السلام قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيّكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله وليّ كل من آمن؟ قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك على بن أبى طالبعليه السلام فإنه تصدّق على الأعرابى بخاتمه وهو يصلّى. قال النبى: وجبتعليه السلام الغرف لابن عمى على بن أبى طالب. وقرأ عليهم الآية.

•إن امرأة جاءت إلى الإمام الصادقعليه السلام وطلبت منه أن يسأل الله تعالى أن يشفى ولدها، فقد كان على وشك الموت، فعلّمها الإمامعليه السلام دعاءً تقرأه فى مكان مرتفع، وهو الدعاء الذى فيه: «اللهم إنك وهبتنيه» ... وعاد الولد سالماً إلى أمه.

وإذا لم يكن النبيعليه السلام موجوداً بيننا، وكذا الأئمة من آلهعليهم السلام، فإن حفيده الإمام الحجة المنتظر موجود وهو حى يرزق فى هذه الحياة، فلماذا لا نفكر فى اللجوء إليه لحلّ مشكلاتنا العملية؟

ولكن: كيف نلجأ إليه وهو غائب عن أنظارنا؟

والجواب: إنهعليه السلام قال كما فى حكاية إحدى التشرّفات: لو بحثتم عنى كما كنتم تبحثون عن ضالّتكم لوجدتمونى.

حقاً هل نحن نبحث عن الإمامعليه السلام كبحثنا عن ضالّتنا؟ وهل نفكّر فيه كما نفكّر فى شؤوننا الشخصية؟ لو اتّفق لإنسان أنه كان مع الموت وجهاً لوجه كما لو كان فى سفينة تحطّمت به وهى فى عرض البحر؟ أليس فى مثل هذه الحالة ينقطع الإنسان عادة إلى الله تعالى ويتوسّل به حقيقة؟ هكذا أيضاً ينبغى أن يكون تفكيرنا فى الإمام المهديعليه السلام ودعاؤنا لفرجه الشريف.

أما حالات قيام الإمامعليه السلام بحلّ المشكلات العملية للناس فكثيرة جداً ومنها قضية نقلها المدرس الأفغانى ?فى هذا المجال ومجملها أن شاباً ينتمى إلى إحدى الفرق الأخرى أضاع الطريق إلى مكة فتوسّل بالإمامعليه السلام فحضر الإمامعليه السلام ودلّه على الطريق ثم غاب عنه، وكان ذلك سبباً لتشيّعه.

المظهر الثالث: التوجيه والعناية

إن الإنسان بحاجة إلى موجّه فى أى مجال أراد أن يتقدّم فيه، فطالب الفقه إن لم يكن له موجّه كفوء واكتفى بالمطالعة فإنه لا يتوقع أن يصبح فقيهاً ناجحاً، وهكذا الأصولى بل هكذا الأمر فى كل مجالات الحياة، فإذا كان الأمر كذلك فهل هناك موجّه وراع خير من الإمام المهديعليه السلام؟! لاشك أنه خير من يرعانا ويوجّهنا لانتخاب الطريق الصحيح، ولكن الأمر بحاجة إلى مقدّمات ومقوّمات.

•من الذين حظوا برعاية الإمام المهديعليه السلام هو الشيخ الصدوق، ?الذى وُلد بدعاء الإمام المهديعليه السلام فإن والد الشيخ الصدوق (المدفون فى مدينة قم المقدسة) طلب من الإمامعليه السلام عبر الحسين بن روحرحمة الله عليه أن يدعو له لكى يرزقه الله ولداً، فكتب إليه الإمامعليه السلام: قد دعونا لك وسترزق ولدين ذكرين خيّرين، وكان أحدهما الشيخ الصدوق.?

وقد رأى الشيخ الصدوق الإمام المهديعليه السلام فى عالم الرؤيا فأمره بتأليف كتاب فى الغيبة. يقول الشيخ نفسه: «فبينا أنا ذات ليلة أفكر..، إذ غلبنى النوم فرأيت كأنى بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا فى الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأقبّله وأقول: أمانتى أدّيتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة، فأرى مولانا القائم صاحب الزمانعليه السلام واقفاً بباب الكعبة فأدنو منه على شغل قلب وتقسّم فكر، فعلمعليه السلام ما فى نفسى بتفرّسه فى وجهى، فسلّمت عليه، فردّ على السلام ثم قال لى:

«لم لا تصنّف كتاباً فى الغيبة حتى تكفى ما قد همّك؟ فقلت له: يا ابن رسول الله قد صنّفت فى الغيبة أشياء. فقالعليه السلام: ليس على

ذلك السبيل آمرك أن تصنّف ولكن صنّف الآن كتاباً فى الغيبة واذكر فيه غيبات الأنبياءعليهم السلام»

ثم مضيعليه السلام، فانتبهت فزعاً إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت فى تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر وليّ الله وحجّته مستعيناً بالله ومتوكّلاً عليه ومستغفراً من التقصير، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وأسمى كتابه: كمال الدين وتمام النعمة.

•السيد محمد تقى الإصفهانى رأى فى عالم الرؤيا الإمام المهديعليه السلام يقول له:

«اكتب عنى كتاباً باللغة العربية وسمّه «مكيال المكارم فى فوائد الدعاء للقائم».

•نقل أحد العلماء الكبار عن السيد الوالدرحمة الله عليه أنه تشرّف بلقاء الإمام الحجةعليه السلام فى (مسجد السهلة) فقال له «اكتب» وعندما عاد الوالد تفرّغ للتأليف وترك كلّ البحوث التى كان يلقيها على طلّابه، رغم الضغوط الشديدة عليه للعودة إلى التدريس.

هذه أمثلة على التوجيه والرعاية الأبوية من لدن الإمامعليه السلام تجاه شيعته. فحريّ بنا أن نعمل ما من شأنه أن يجعلنا مشمولين بها وبالرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يديه وأن ندعو الله تعالى قائلين ...: (وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره)، نسأل الله سبحانه أن لا يحرمنا ذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

دور الامام المهدى عليه السلام فى حياتنا

دور الامام المهدى عليه السلام فى حياتنا

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقدّمة

إحدى البحوث المهمة التى وقعت محلاً للتساؤل منذ العهود الماضية إلى يومنا هذا، هى مسألة دور الإمام المهدى المنتظرعليه السلام فى عصر الغيبة، وهذه المسألة بالإضافة إلى طابعها العقائدى تحمل طابعاً عملياً وترتبط بسلوكنا اليومى منذ أن نفتح أعيننا فى الصباح وإلى أن نغمضها عند النوم. نتناول فيما يلى بعض أبعاد هذا الموضوع ضمن فصلين:

الفصل الأول: دور الإمام المهديعليه السلام فى عهد الغيبة، وهذا بحث نظرى.

الفصل الثانى: كيف نستفيد من وجود الإمام المنتظر المهديعليه السلام فى زمان غيبته؟ وهذا بحث عملى.

الفصل الأول: دور الإمام المهدى عليه السلام

الفصل الأول: دور الإمام المهدى عليه السلام

إن دور الإمام المهديعليه السلام فى عهد الغيبة هو أنه يمثل ضمن ما يمثّل الحلقة الأخيرة المهيمنة والفاعلة والمؤثرة فى عالم الإمكان.

لبيان هذا الدور نقدّم ثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى

إن القرآن الكريم يثبت أدواراً فى إطار عالم الطبيعة للأشياء، كما يثبت أدواراً ضمن إطار هذا العالم للأشخاص.

هنالك أشياء فى هذا العام لها دور، وهناك أشخاص فى هذا العالم لهم دور؛ نمثل لذلك بمثالين:

المثال الأول: من هو الشافى؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو الشافى?؛ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ?و.

ولكننا نلاحظ أن القرآن الكريم يثبت من جهة أخرى دور الشفاء لأشياء فى هذا العالم، يقول الله تعالى عن العسل?: فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ? هذا مع أن العسل ما هو إلا جماد يخرج من بطن حيوان، ولكن الله تعالى شاء أن يجعل فيه شفاءً للناس.

المثال الثانى: من هو المتوفى؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو المتوفى؛ يقول تعالى?: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.?

ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن القرآن الكريم يثبت التوفى لغير الله تعالى حيث يقول?: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ،? فهو تعالى ينسبه لملك الموت أيضاً.

المقدمة الثانية

إن وجود الدور للأشياء والأشخاص فى هذا العالم لا ينافى ما هو المعروف من القول بالتوحيد الأفعالى (وأن الله وحده هو الفاعل الحقيقى فى هذا الكون).

وذلك لأن فاعلية غير الله تعالى فاعلية مكتسبة وغيرية، بينما فاعلية الله تعالى فاعلية ذاتية، ولا منافاة بين فاعليتين إحداهما ذاتية والأخرى غيرية.

المقدمة الثالثة

لا تنافى فى عالم الطبيعة بين الفواعل الطولية.

فكما أنه لا تنافى بين فاعلية الله تعالى وفاعلية الفواعل الطبيعية (الغيرية) فكذلك لا منافاة بين فاعلية طبيعية وفاعلية أخرى إذا كانتا طوليتين أى تقعان فى طول بعضهما، أجل إذا كانت الفاعليتان عرضيتين ومستقلتين فهنا توجد منافاة لأن ذلك يعنى اجتماع علتين مستقلتين عرضيتين على معلول واحد، وهذا محال.

أما إذا فرضنا أن هاتين الفاعليتين أو الفاعليات كانت طولية أى أن بعضها يقع فى طول بعضها الآخر، فلا منافاة بينها.

ويمكن توضيح ذلك بمثال معروف عند أهل العلم: تقول: كتب قلمى وكتبت أناملى وكتبت يدى، قال تعالى?: فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، ?وتقول: كتبت، فهل ترى منافاة بين هذه الجمل؟ كلا بالطبع؛ وذلك لأن الروح الحقيقية التى كتبت هى روحك أنت، أما الفواعل الدنيا فإنما هى مؤثرة فى طول فاعلية الروح التى تمثل الفاعلية الحقيقية والأخيرة فى سلسلة الفواعل الطولية التى تندرج تحتها، ومن ثم فالفاعلية الأخيرة هى المؤثرة الحقيقية والمهيمنة على ما سواها من الفواعل الطبيعية والظاهرية.

دور الإمام المهدى عليه السلام

وإذا اتضحت هذه المقدمات الثلاث، نقول: إن الإمام المهديعليه السلام هو آخر فاعل فى سلسلة الفواعل الطولية المؤثرة فى عالم الإمكان، أو بتعبير آخر: إنهعليه السلام يمثل الحلقة الأخيرة فى سلسلة الفاعليات الطولية فى إطار عالم الإمكان. توضيحه: أن هناك فاعلية فى عالم الإمكان جعلها الله فى طول فاعليته تعالى وأمرنا أن نلجأ إليها.

من الممكن أن تأتى بعده علل وفاعليات أخرى فى طوله تكون مؤثرة بإذن الله تعالى، ولكن الفاعلية العليا بعد الله تعالى فى عالم الإمكان هى إرادة المهدى المنتظرعليه السلام.

ماذا نقرأ فی الزیارة التی رواها المحمدون الثلاثة وهم محمد بن یعقوب الکلینی (فی الکافی) ومحمد بن الحسن الطوسی (فی التهذیب) والشیخ الصدوق (فی من لا یحضره الفقیه)؟

نقرأ فی هذه الزیارة: «إرادة الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم».

وهذا هو جزء من دور الإمام المهدیعلیه السلام فی زمن حضوره وغیبته.

الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟

الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟

بعد أن عرفنا دور الإمام المهدیعلیه السلام فی الفصل الأول یتبین الآن أهمیة هذا الفصل؛ أی الاستفادة من وجود الإمام المهدیعلیه السلام لأنه هو الرجل الذی أعطاه الله تعالی مقالید الکون.

ولکی یمکننا الاستفادة من وجود الإمام المهدیعلیه السلام أکثر فأکثر، لابد من توفر أربع مقدمات نذکرها تباعاً.

المقدمة الأولی: الالتفات إلی النقص والفاقة والحاجة عندنا

ونوضح هذه المقدمة وهی مهمة جداً بمثال: لو تصورنا أن شخصاً ما یعانی من داء عضال فی بدنه ولکنه غیر ملتفت إلی ذلک، فهل سیبحث عن العلاج؟ وهل سیتجه إلی الطبیب؟ کلا وذلک لأن الداء وإن کان له (وجود واقعی) فی بدنه، ولکنه لیس له (وجود شعوری) فی ذهنه لکی یدفعه نحو التحرک للتخلص منه بأی سبیل!

یقول علماء الأخلاق: إن من أعدی أعداء الفرد الشعور بالاکتفاء، لأن الذی یشعر أنه مکتف من الناحیة العلمیة أو الأخلاقیة لا یری مبرّراً للتحرک نحو التکامل الخلقی أو العلمی.

وهکذا الشخص الذی یعتقد أنه لا یعانی شیئاً، ولا توجد عنده مشکلة ولا فاقة، لا یمکنه الاستفادة الکاملة من الوجود المبارک للإمام المهدیعلیه السلام، لأنه لا یتحرک حینئذ بل یبقی ساکناً فی مکانه، لعدم شعوره بالحاجة إلی الإمامعلیه السلام لحل مشکلاته، لأنه یعتقد أنه لا مشکلة عنده فی الأساس!

أما نحن فیرادونا الشعور بالحاجة فی بعض الأحیان کما لو تهنا فی صحراء أو انکسرت بنا السفینة فی البحر أو ابتلینا أو أحد أعزائنا بمشکلة أو بمرض مستعصی العلاج لا سمح الله أما أولیاء الله سبحانه وتعالی فإنهم یشعرون دائماً بأنهم فی حالة اضطرار وأنهم فی حالة حاجة وفاقة.

ولذلک ترانا ننام طوال اللیل لأنه لا یوجد شیء یؤرقنا، أما هم ف?قَلِیلًا مِّنَ اللَّیْلِ مَا یَهْجَعُونَ.?

أرأیت من عنده مشکلة أو یهدده خطر، کیف لا یستطیع أن یخلد إلی النوم، فکذلک حال أولیاء الله تعالی، لأنهم یشعرون بالخطر.

إننا نفهم أن الاضطرار فی قول الله تعالی? أَمَّن یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَیَکْشِفُ السُّوءَ ?عبارة عن أن یکون الشخص مریضاً أو عنده مریض مثلاً أما أولیاء الله تعالی فیشعرون دائماً أنهم فی حالة اضطرار، وهذا الشعور کامن فی أعماقهم ولذلک یصفهم القرآن الکریم بقوله تعالی? تَتَجَافَی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ?لأن حالة الاضطرار الباطنیة لا تدعهم یستقرون.

روی أحد العلماء أن شخصین تصاحبا، وعندما حلّ اللیل نام الأول ولم ینم الثانی، وبعد مدة استیقظ الأول فرأی صاحبه لم ینم بعد، فعاد للنوم مرة أخری وعندما استیقظ أیضاً رأی صاحبه لم ینم بعد، وعندما سأله: لماذا لا تنام؟ قال فی جوابه:

«کیف أنام ومن حولی کلهم یقظون یسبّحون الله تعالی»

ثم کشف له الغطاء فرأی جمیع الأشیاء تسبح بحمد الله!

وعلى أساس ما تقدم، ينبغى لنا أن نحاول أن نُشعر أنفسنا بنقصها وحاجتها وفاقتها واضطرارها، وهذه هى المقدمة الأولى للاستفادة الكاملة من وجود الإمام المهديعليه السلام.

المقدمة الثانية: التوجه إلى مصدر القوة والغنى والقدرة وهو الإمام المهديعليه السلام

فليس الإمامعليه السلام بالفرد العادى بل هو الذى يمكن لنظرة واحدة منه أن تغيّر حالنا، فكما قلنا إن الله تعالى جعله وآباءه الطاهرينعليهم السلام مظاهر مشيئته.

المقدمة الثالثة: محاولة إيجاد القابلية

فإن القلب الملوث ليس له قابلية، وهكذا العين الملوّثة والأذن الملوّثة واليد الملوّثة و ... وأولى المراحل فى هذا الطريق وهى صعبة جداً ولكنها ممكنة أن نتجنب ارتكاب الذنوب؛ ذنوب القلب والعين والأذن واللسان واليد و ... فكما أن جهاز الراديو إذا حصل فيه أى عطب أو خلل أو قطع فى أى سلك من أسلاكه يفقد القابلية على تلقى الأمواج الموجودة فى الفضاء، فكذلك القلب إذا حصل فيه خلل فقدَ القابلية على تلقى الفيض الإلهى، فلابد أولاً من إصلاحه لإيجاد القابلية فيه.

وعندما يراجع المرء تاريخ العلماء الماضين السائرين على نهج أهل البيتعليهم السلام يجد دقة عجيبة فى أحوالهم وورعاً واحتياطاً كبيرين.

فمما ينقل عن المرجع الكبير الحاج آقا حسين القمى ?أنه كان يحتاط حتى فى تهديد طفله إذا صدر منه ما يستحق التهديد، فلم يكن يقول للطفل سأضربك أو سأؤدبك مثلاً إذا صدر منك العمل الفلانى، بل كان يستخدم عبارات من قبيل «من المحتمل أن أضربك» أو «هب أننى سأضربك» ولعله كان يخاف أن تكون هنالك شبهة الكذب إن لم يصدر منه ما أوعده عليه، مع أنه يُقال إن الوفاء بالوعيد ليس واجباً، فكان يحتاط للأمر ويتجنب حتى الشبهة فيقول لطفله: «احتمل أننى سأضربك أو سأؤدبك» وما أشبه. وهكذا كانوا يحتاطون لئلا تصدر منهم غيبة ولا نميمة ولا نظرة محرمة.

المقدمة الرابعة: الإلحاح والتوسل

ينبغى لنا أن نتوسل ونلحّ حتى تشملنا العناية الإلهية، ونستفيد من وجود الإمام المهديعليه السلام بشكل أتمّ.

ينبغى لنا أن نلجأ إلى الإمامعليه السلام فى حل كل قضايانا الدنيوية والأخروية والفردية والاجتماعية فهو الملاذ لنا فى كل الشؤون والقضايا، وكما أن الله تعالى جعل الشمس مصدر الدفء والنور للإنسان فى حياته المادية، ومن ابتعد عنها حرم من الدفء والنور، فكذلك هو الإمامعليه السلام جعله الله لنا مصدراً للدفء والنور فى حياتنا المعنوية، وأوكل سبحانه إليه كل أمورنا وقضايانا، فمن لم يتوجه إليه فسوف يكون نصيبه الخسارة والحرمان.

فلنستحضر هذه المقدمات الأربع ولنحاول ونلحّ حتى نستفيد من وجود الإمام المهديعليه السلام أكثر فأكثر.

نموذجان للاستفادة من وجود الحجةعليه السلام

۱. قضية السيد محمد باقر الدامغانى

ابتلى السيد محمد باقر الدامغانى وهو من العلماء فى مدينة مشهد المقدسة بداء السل، واستمر يعانى منه أعواماً، ولم تؤدّ مراجعته للأطباء إلى نتيجة، بل استمرت حالته تزداد سوءاً، وبدأ يضعف ويذوى حتى فقد الأمل بالشفاء.

وفى يوم من الأيام قذف دماً كثيراً من صدره، فجاء عند أستاذه الميرزا الإصفهانى وشكا له حالته وضعفه.

يقول: فجثا الميرزا على ركبتيه وقال له معاتباً:

«ألست سيداً (هاشمياً)، فلماذا لا تلجأ إلى أجدادك الطاهرين؟ ألست من شيعة الإمام المنتظر، فلماذا لا تستنجد ببقية الله فى الأرض حتى ينجيك مما أنت فيه؟ ألا تعلم أن أئمة أهل البيت هم أسماء الله الحسنى؟ ألم تقرأ فى دعاء كميل: يا من اسمه دواء وذكره شفاء؟ قم واذهب إلى بقية الله (الإمام المهديعليه السلام) واطلب منه حل مشكلتك».

يقول: فأخذتنى العبرة وقمت متجهاً إلى حرم الإمام على بن موسى الرضاعليه السلام.

وبعد أن دخلت الصحن العتيق رأيت فجأة أنى أعيش فى وضع آخر، فليس الوضع هو الوضع المعتاد، وبدا لى أنى أعيش فى عالم المكاشفة، إذ لم يكن الناس الذين يعتاد تواجدهم فى الصحن الشريف موجودين وكانت هناك جماعة قليلة العدد يمشون ويتقدمهم رجل ألقى فى روعى أنه هو الإمام المهديعليه السلام. وخفت أنهم قد يغادرون قبل أن التقى الإمام وأنال بغيتى، ففكرت أن أنادى الإمامعليه السلام.

وبينما أنا كذلك فى هذا الخاطر وإذا بذلك الرجل يلتفت إلىّ وينظر إلىّ نظرة واحدة بطرف عينه فقط ومن دون أن يكلمنى، وبدأ العرق يتصبب من بدنى، وإذا بالصحن يعود بعد ذلك إلى حالته الطبيعية فلم أر الرجل ولا الجماعة التى كانت خلفه، ورأيت جموع الناس المعتادة، فرجعت إلى نفسى فإذا بى صحيح البدن معافى.

وعاش الدامغانى بعد ذلك أعواماً فى صحة كاملة.

۲. وهناك قضية أخرى حدثت للحاج آقا حسين القمى ?الذى ذكرنا جانباً من ورعه ودقته واحتياطه آنفاً.

وكان من شدة احتياطه أيضاً أنه إذا سئل عن الوقت يقول فى الجواب: افرض أنها كذا (التاسعة مثلاً) خشية أن لا يكون قوله مطابقاً للواقع!

نُقل فى أحواله أنه كان يعتقد أن أقوى دعامة له فى حياته هو وجود الإمام المهديعليه السلام وعنايته وكان راسخ الاعتقاد أن هذه الدعامة هى التى تسنده وتنقذه وتنجيه.

وهذا هو الاعتقاد الذى يجب أن يكون ثابتاً عندنا كما كان عند السيد القمى، ?لا أن يكون موجوداً حيناً ومفقوداً فى أحيان أخرى كما هو حال أغلب الناس.

أما قضية هذا العالم ورعاية الحجةعليه السلام له فهى كالتالى:

كان (الحاج آقا حسين القمى) قد جاء إلى طهران فى قضية جهاده مع العلماء ضد البهلوى الأول، فحوصر فيها فلم يستطع الرجوع وانقطع به الطريق، ولم يكن لديه مال، فبعث له البهلوى بشيك أبيض يكتب هو فيه ما يعجبه، ولكنه ?رفض استلام الشيك من الرسول لأنها أموال الدولة وهو لا يريد أن يتصرف لنفسه من أموالها، رغم احتياجه الشديد والمبرم للمال. فقيل له: فكيف ستعيش؟

فقال: «أنا أعتقد أن الإمام الحجةعليه السلام لا ينسى رعيته».

(انظروا إلى التعبير، فهو لم يقل إن الإمامعليه السلام لا ينسى جنوده أو وكلاءه، مع أنه كان مرجعاً للتقليد، ولكنه قال: إن الإمامعليه السلام لا ينسى رعيته)!

فضحك بعض ضعاف الإيمان ممن كانوا حوله عند سماعهم هذه العبارة، ولكن تلك الإرادة التى تقف وراء كل شىء وتهيئ الأسباب الظاهرية، هيأت له الأسباب ولم تتخلّ عنه! إذ إن رئيس شرطة مدينة شهر رى تأثر بالسيد القمى وانشدّ إليه، فقام بمفاتحة بعض التجار فى طهران رغم ما يحمل ذلك من خطر عليه ليكون وسيطاً لإيصال المال منهم إليه، ونجح فى المهمة ووقاه الله من خطر عظيم، لأن السلطة لو اكتشفت أمره لربما كانت تصدر الأمر بإعدامه، ولكنه استطاع أن يدخل على السيد القمى وكان يخفى المال فى جورابه، وقال السيد القمى عندما قدم له الرجل المال:

«كنت أعلم أن الإمامعليه السلام لا ينسى رعاياه».

وأخيراً

ينبغى أن نذكر الإمامعليه السلام ولا ننساه، كى يشملنا لطفه ورأفته بشكل أكبر، كما قال الله تعالى?: فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ.?

كم مرة فى اليوم نذكر الإمام المهديعليه السلام؟ هل نذكره فى قنوت صلواتنا؟ هل نقرأ كل يوم: (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن)؟ ...وهل نبدأ باسمه عندما نبدأ ببحوثنا العلمية ونقول يا حجة الله أدركنى؟

هنالك بعض الطلبة يبدأون بحوثهم العلمية بقولهم: ياحجة بن الحسن أدركنى، وهذه حالة مهمة جداً ينبغى أن ننميها فى أنفسنا.

وهناك كتاب لطيف فى مجلدين أدعو الإخوة المؤمنين لمطالعته وهو «مكيال المكارم فى فوائد الدعاء للقائم».

فحرى بنا أن لا نغفل عن الإمامعليه السلام، وأن ندعو له.

نسأل الله سبحانه أن يشملنا بألطافه وعناياته وأن لا يحرمنا لطفه وفضله ورحمته.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الاهتمام بالقضية المهدوية

الاهتمام بالقضية المهدوية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

يدور حديثنا عن القضية المهدوية فى محورين:

المحور الأول: عوامل الإهتمام بالقضية المهدوية.

المحور الثانى: كيفية الإهتمام بالقضية المهدوية.

أما المحور الأول

أما المحور الأول

فإن هناك مجموعة من العوامل تفرض الاهتمام بالقضية المهدوية، نذكر منها فى المقام ثلاثة:

العامل الأول: الاهتمام بالقضية المهدوية ضرورة إيمانية

إن قضية الإمام المهديعليه السلام تمثّل الحلقة الأخيرة من سلسلة حلقات الإيمان، والحلقة الأخيرة فى أية سلسلة؛ تارة تكون فى (واجب غير ارتباطى) وفى هذه الحالة تكون قيمة الحلقة الأخيرة مساوية لقيم سائر الحلقات ولا يكون ثمة فرق بين الحلقة الأولى والوسطى والأخيرة، وتارة تكون فى واجب ارتباطى؛ وهنا تتوقف الحلقات كلها على الحلقة الأخيرة، وقضية الإيمان بالإمام المهديعليه السلام هى من النوع الأخير، أى إنها كالجزء الأخير فى الواجب الارتباطى.

ولكى يتبيّن الفرق بين الواجب الارتباطى والواجب غير الارتباطى نضرب لكل منهما مثلاً، فمثال الواجب غير الارتباطى هو الدَّين، فانك لو كنت مديناً لشخص بعشرة دنانير مثلاً، فوجوب أداء الدين ينحلّ فى واقع الأمر إلى عشرة وجوبات ويمكن تصورها أكثر وكل وجوب من هذه الوجوبات له طاعة مستقلة بأدائه أو عصيان مستقلّ بالامتناع عن الأداء فإذا أديّت تسعة دنانير تكون قد امتثلت تسعة وجوبات ويبقى عليك الدينار الأخير ولنقل الواجب الأخير، ولايؤثر امتناعك عن أدائه فى الامتثالات المتقدمة.

أما فی الواجب الارتباطی فإن الامتثال یبقی غیر محرز ما لم تؤد الجزء الأخیر، فتکون الأجزاء کلها متوقّفة علیه، ومن أمثلة ذلک الصلاة، فلو افترضنا أن الصلاة مرکّبة من عشرین جزءاً فإنه تتوقف صحة جمیع الأجزاء علی الجزء الأخیر من الصلاة وهو التسلیم، فإن کان صحیحاً صحّت سائر أجزاء الصلاة وإلّا فلا؛ وذلک لأن الصلاة واجب ارتباطی، فإن صحة جمیع الأجزاء المتقدمة لکل واجب ارتباطی تتوقف علی صحة الجزء الأخیر من المرکّب.

وهکذا هی قضیة الإیمان بالإمام المهدیعلیه السلام بالنسبة لقضیة الإیمان کلها.

ولا عجب فی ذلک فإن الإنسان إذا آمن مثلاً بجمیع الأنبیاء والمرسلینعلیهم السلام ولم یؤمن بخاتمهمعلیه السلام فإن إیمانه لا ینفعه، وهذه المعادلة کما تصحّ فی النبی الخاتمعلیه السلام تصحّ فی الوصی الخاتمعلیه السلام، فمن آمن بسائر الأنبیاء ولم یؤمن بالنبی الأکرمعلیه السلام لا یجدیه إیمانه شیئاً، کما أن من آمن بالأنبیاء والأئمةعلیهم السلام واستثنی خاتمهم الإمام المهدیعلیه السلام فکأنه لم یؤمن أبداً.

إذن فالإیمان بخاتم الأوصیاء یساوی الإیمان بجمیع الأنبیاء والأئمة والأوصیاء علیهم الصلاة السلام، ورفض الإیمان بهعلیه السلام یساوی رفض الإیمان بهم جمیعاً.

وهکذا یتّضح العامل الأول للاهتمام بقضیة الإمام المهدیعلیه السلام، کونه یمثّل الحلقة الأخیرة فی سلسلة حلقات الإیمان علی نحو الجزء الأخیر فی الواجب الارتباطی.

العامل الثانی: الإیمان بالإمام المهدی علیه السلام مصداق من مصادیق شکر المنعم

إن الاهتمام بالقضیة المهدویة یمثّل شکلاً من أشکال شکر المنعم، وقد ذکر فی علم العقائد أن شکر المنعم إحدی المستقلّات العقلیة، والمنعم اثنان: الأول: ما منه الوجود، وهو الله تعالی، والثانی: ما به الوجود، وهو النبی الأعظم وأهل بیته الطاهرون علیهم السلام وخاتمهم الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف.

[وقد ذکرنا فیما مضی أن القرآن الکریم یؤکد أن هنالک فاعلین: ما منه الوجود وما به الوجود؛ قال الله تعالی?: فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ.]?

ألسنا نخاطب الأئمةعلیهم السلام فی زیارة الجامعة بالقول ...: «وأولیاء النعم؟» فأهل البیتعلیهم السلام أولیاء نعمتنا.

أو لیس وردت فی کتاب (الکافی) روایة شریفة تقول: «ولولانا ما عُبد الله»؟

ألا یوجد فی کتاب (الاحتجاج) فی التوقیع الشریف عن صاحب الزمانعلیه السلام: «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا»؟

إننا نجلس فی کل لحظة من لحظات حیاتنا علی مائدة الإمام المهدیعلیه السلام، فبهم أهل البیتعلیهم السلام أنبتت الأشجار، وبهم أینعت الثمار، وبهم جرت الأنهار، فقد أفاض الله تعالی بنعمه الظاهرة والباطنة علینا عبرهم.

فالاهتمام بقضیة الإمام المهدی المنتظرعلیه السلام مظهر من مظاهر «شکر المنعم».

وقد نقل أن مجموعة من العلماء اجتمعوا لبحثِ ما یُفترَض أن یتخذوه من موقف إزاء المخاطر التی کان یتعرض لها الإسلام والمسلمون، وذلک قبل حوالی أربعین عاماً فی العراق، فقال أحدهم إن واجبنا هو الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر والوقوف بوجه القوانین الباطلة، ولکن أحد الحاضرین اعترض علیه بقوله إن ذلک قد یعرّضنا للخطر، وإن من الممکن أن تقوم الحکومة باعتقالنا وإیذائنا.

فردّ العالم الأول بما مضمونه: إن الحکومات تتکفّل أمور جنودها فترة طویلة وذلک لیدافعوا عنها فی ساعات الخطر، ولیس من الصحیح أن یفرّ فرد من أفراد الجیش آنئذ، فإن فراره هذا یعدّ خیانة، ونحن قد جلسنا دهراً علی مائدة الإمام المهدیعلیه السلام؛ مائدة جوده النابعة من وجوده الکریم المبارک، فکیف لا ندافع عنه وعن دین جدّه رسول اللهعلیه السلام؟ ألا یعتبر التقصیر فی ذلک خیانة،

والحال أننا قد أَعددنا لمثل هذا اليوم؟!

إذن العامل الثانى الذى يدفعنا للاهتمام بقضية الإمام المهديعليه السلام كون هذا الاهتمام يمثل مظهراً من مظاهر شكر المنعم.

العامل الثالث: الاهتمام بالقضية المهدوية يوجب البركة والتوفيق

إن الاهتمام بالقضية المهدوية يوجب التوفيق والبركة فى الحياة، وينبغى أن نعلم بأن التوفيق قضية مهمة فى حياة الإنسان، فهناك من الأفراد من يوفّق فى حياته، وهنالك من الأفراد من يُحرم من التوفيق، فالله تبارك اسمه يضع البركة فى بعض الأعمال والوجودات دون بعضها الآخر، فياترى كيف يتسّنى للفرد أن ينال التوفيق والبركة؟

إننا نعتقد وبشكل عام، أن للعوامل الغيبية أثراً كبيراً فى الحصول على التوفيق والبركة، وإننا نجد شواهد لذلك فى حياة كثير من علمائنا الأعلام، فإنهم لم يكونوا ليبلغوا ما بلغوا لولا وجود عامل غيبى فى حياتهم، فمثلاً السيد أبوالحسن الأصفهانى ?توسل فى قصة مفصلة بالإمام أمير المؤمنينعليه السلام فرآه فى عالم الرؤيا يسلّمه مفاتيح النجف الأشرف.

والشيخ عبد الكريم الحائرى ?مؤسس الحوزة العلمية فى قم المقدسة، توسل بالإمام الحسينعليه السلام، وربما كان هذا هو السبب فى بلوغه ما بلغ فى المجالات العلمية والعملية.

والشيخ الصدوق ?الذى قدم خدمات كبيرة للدين يذكر فى أحواله أنه ولد بدعاء الإمام الحجةعليه السلام له.

أما العلامة المجلسى ?الذى له باع طويل فى ترويج الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين فقد ذكر أحد العلماء قضية تتعلق بولادته حيث يقول:

«كنت قادماً من كربلاء المقدسة إلى اصفهان فرأيت فى عالم الرؤيا والد العلامة المجلسى وبيده طفل فقدّمه إلى النبيعليه السلام وطلب منه أن يدعو له بأن يكون مروّجاً للدين، فأخذه النبيعليه السلام ودعا له، ثم أعطى الطفل إلى الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فدعا له أيضاً، وهكذا سائر الأئمة حتى الإمام الحجةعليه السلام، ثم إن الإمام الحجةعليه السلام أعطى الطفل لى وقال: أنت ادع له أيضاً، فأخذته ودعوت له، وعندما وصلت إلى اصفهان ذهبت إلى بيت والد العلامة المجلسى فجاءنى وبيده طفل وقال لى لقد ولد هذا الطفل لنا فى هذا اليوم فخذه وادع له بأن يكون مروّجاً للدين، فتذكرت تلك الرؤيا وأخبرت بها الشيخ ففرح بها».

المحور الثانى: كيفية الاهتمام بالقضية المهدوية

المحور الثانى: كيفية الاهتمام بالقضية المهدوية

ونتطرق فى هذا المجال إلى نقطتين:

۱ الاهتمام بالثقافة المهدوية

وفى هذه النقطة مفردات فمن جملة مفردات هذه النقطة الاهتمام بالمطالعة حول شخصية الإمامعليه السلام، انطلاقاً من النص الشرعى القائل: «من مات لا يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية» إذ المعرفة لها قيمة كبيرة عند الله تعالى، حتى لقد فسّر قوله عز اسمه?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ?بمعنى أن الله تعالى خلق الخلق لكى يعرف.

كما أن على المرء أن يدفع أفراد أسرته لكى يكثّفوا من مطالعتهم حول الإمام المهديعليه السلام، بالإضافة إلى نقل القصص التى تتعلّق بالإمامعليه السلام.

ومن مفردات هذه النقطة تأسيس مكتبات تخصصية حول الإمام المهديعليه السلام.

يقال أنه سُئل السيد محمد كاظم القزوينى ?مرّة: ما فائدة الموسوعة التى تؤلّفها عن الإمام الصادقعليه السلام؟ فقال:
«يكفينى أن توضع فى المكتبة ليُعرف أن هناك موسوعة عن الإمام الصادقعليه السلام فى ستين مجلداً (مثلاً)».
إن الشاب عندما يدخل المكتبة ويرى ألفاً وخمسمائة كتاب مثلاً عن الإمام المهديعليه السلام فإن هذا وحده كاف للتأثير فيه.
فلنجعل فى كل مكتبة بل فى كل بيت غرفة أو زاوية للكتب والأشرطة التى تتعلق بالإمام المهديعليه السلام.

۲ إحياء الشعائر المهدوية

وفى هذه النقطة مفردات، فمن مفردات هذه النقطة الاهتمام بقراءة الأدعية المرتبطة بالإمامعليه السلام مثل دعاء الندبة، وليبدأ الإنسان فى ذلك ببيته، وليرغّب الآخرين فى مثل ذلك، فإن هذه القطرات ستتجمع وتتحول إلى ظاهرة اجتماعية منتشرة بإذن الله تعالى.
ومن جملة مفردات هذه النقطة، إحياء كل ما يرتبط بالإمام المهديعليه السلام، كتسمية الأبناء بإسم الإمام، لأن فى إحياء اسم الإمام الحجة إحياءً لأسماء جميع الأئمةعليهم السلام، وكذلك تسمية البنات بإسم والدة الإمام (نرجس) أو عمّته (حكيمة)، وكإحياء مدينة سامراء المشرفة كما فعل ذلك المجدد الشيرازى الكبير ?حيث قرر الهجرة إلى سامراء والإقامة فيها وإحياء هذه المدينة المقدسة بعد طول خمود.
وقد ذكر أحد علماء الدين أنه قد انهالت على مؤسسته التى أعلنت جمع التبرعات لإحياء مدينة سامراء ومراقد الأئمةعليهم السلام فيها بعد سقوط حكم البعث الظالم، انهالت عليه فوق ما كان يتوقع، فإن الموالين لأهل البيتعليهم السلاممستعدّون لتقديم أرواحهم لهم فضلاً عن أموالهم.
ومن المشاريع الطيّبة ما قام به بعض الشباب المؤمنين الذين يحملون الروح المهدوية، حيث حرّض أصحاب المحلّات على أن يبيعوا البضائع بنصف القيمة باسم الإمام الحجة المنتظرعليه السلام، وتكفل لهم بدفع التفاوت، فتقاطر الناس للشراء من هذا السوق وهم يذكرون الامام المهديعليه السلامويصلون على النبى وآلهعليهم السلام يقول هذا الشاب إن هذا السوق الخيرى أقيم إحدى أيام الجمعات، ولكنه شاهد فى الجمعة الثانية أحد أصحاب المحلات وقد استمرّ فى بيع البضائع بنصف القيمة باسم الإمام المهديعليه السلام.

خاتمة: فى بركات الاهتمام بالقضية المهدوية

إن القضية المهدوية بالإضافة إلى موضوعيتها الذاتية، توجب التوفيق والبركة فى حياة الإنسان المتبنّى لها كما سبقت الإشارة إلى ذلك.
وفى هذا المجال ينقل أن المحقق القمى والسيد بحرالعلوم ?كانا صديقين حميمين، وكانا يتتلمذان عند الوحيد البهبهانى، ?وكان السيد بحرالعلوم يطلب من المحقق القمى أن يقرر له درس الوحيد البهبهانى فى كل مرة لأنه لم يكن يستوعبه بشكل كامل، ثم إنهما افترقا، إذ هاجر المحقق القمى إلى إيران وبقى بحرالعلوم فى العراق، وبعد فترة سمع المحقق القمى عن السيد بحرالعلوم ما أثار تعجبه، حيث بلغه أن صديقه القديم قد ارتقى مقاماً شامخاً من العلم، وحينما عاد إلى العراق والتقى بالسيد بحرالعلوم عرض عليه إحدى المسائل، فخاض فيها الأخير خوضاً أبهر المحقق القمى، حتى قال له: أنت بحرالعلوم حقاً، وطلب المحقق القمى من بحرالعلوم أن يكشف له عن سرّ بلوغه هذه الدرجة من العلم، فلم يشأ السيد بحرالعلوم فى بادئ الأمر أن يذكر له السرّ، ولكن إلحاح المحقق القمى اضطرّه إلى القول:
«كيف لا أكون كذلك وقد ضمّنى الإمام المهديعليه السلام إلى صدره الشريف».
والشيخ الأنصارى ?الذى له هذا الموقع المتميز فى الحوزات العلمية ينقل فى أحواله أنه دخل مع تلميذه الآشتيانى ?حرم الإمام أمير

المؤمنينعليه السلام فصادفهما رجل يعرف بعض العلوم الغريبة فقال الرجل للشيخ الأنصارى:

«إنك قد رأيت الإمام المهديعليه السلام مرتين»،

ولكن الشيخ الأنصارى انصرف بسرعة كى لا يتبين المزيد من أسرار هذا الارتباط الغيبى.

إن مثل هذا النوع من الارتباط والاهتمام بقضايا الأئمة المعصومينعليهم السلام، لا سيما الإمام المهديعليه السلام، وهو إمام زماننا يوجب التوفيق والبركة للإنسان وذريته وعمله فى الدنيا والآخرة.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وسائط الفيض الالهى

وسائط الفيض الالهى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.?

مقدّمة

نتناول فى هذا البحث موضوع وسائط الفيض الإلهى، وهذا البحث يمكن تناوله من زاويا متعددة، إلا أن ما نعنى به فعلاً هو ما يتعلّق بنظام السنن.

ذلك أنّ لله تعالى سنناً فى هذا الكون وهذه السنن ثابتة لا تتبدّل ولا تتحوّل؛ قال الله تعالى?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا، ?والتبديل فى الشىء يعنى أن ينقلب وصفه إلى ما يضادّه أو يناقضه، أما التحويل فهو انتقال وصف معيّن من موقعه المعيّن له إلى موقع آخر؛ فيكون معنى الآية الكريمة على ما ذكره بعضهم أنّ السنن الإلهية فى هذا الكون لا تقبل تبدّل الحالات ولا تبدّل المواقع، والمثال الأوّل أنّ النار لا يمكن أن يُسلب منها فى يوم من الأيام وصف الحرارة، والمثال الثانى أنّه لا يمكن أن تنتقل فى يوم من الأيام صفة الإحراق الموجودة فى النار إلى الماء مثلاً؛ وذلك لأنّ السنن الإلهية لا تقبل التبديل ولا التحويل، وذلك كله فى إطار المعادلات الطبيعية، أما المعجزة فلها بحث آخر.

من السنن نظام الوسائط

إذا اتّضحت المقدّمة نقول: إنّ من السنن الإلهية القائمة فى هذا الكون أنّ الله سبحانه وتعالى لاينزل فيضه عادة إلاّ عبر وسائط.

ونوضّح المسألة بمثال من الوسائط الطبيعية وهو: أنّ الإنسان إذا مرض يراجع الطبيب ويتناول العقاقير ليحصل على الشفاء، مع أنّ الشافى حقيقة هو الله تعالى.

روى العلامة المجلسىرحمة الله عليه فى البحار: «قال موسى بن عمران: يا ربّ ممّن الداء؟ قال منّى. قال: فممّن الدواء؟ قال: منّى. قال: فما يصنع الناس بالمعالج (يعنى الطبيب)؟ قال: يطيّب بذلك أنفسهم فسمّى الطبيب لذلك».

لقد خلق الله الأعشاب ليلجأ إليها الإنسان إذا مرض، صحيح أنّ الشفاء من الله تعالى ولكنّه يمرّ عبر واسطة طبيعية وهى العقاقير؛ مع أنّ الشافى الحقيقى هو الله تعالى كما قال تعالى?: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ.?

وقد كان الأطباء القدامى يكتبون على الوصفة الطبية عبارة (هو الشافى) أى أنّ الله تعالى هو الذى يمنح الشفاء أما الطبيب فليس سوى واسطة فى إيصال هذا الفيض الإلهى.

الوسائط الغيبية

وفى عرض هذه الوسائط الطبيعية توجد وسائط غيبية، فكما أنّ الله تعالى يمنح الإنسان الشفاء عبر الأدوية والعقاقير المتّخذة من الأعشاب أو المواد الكيمياوية، وكما جعل فى العسل شفاءً فقال عزّ من قائل?: فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ، ?فكذلك أودع الله تعالى الشفاء فى أسباب غيبية، فمثلاً جعل الشفاء فى تربة الحسينعليه السلام.

لو قمنا بتحليل تربة كربلاء فى المختبر فلربما لا نرى فيه فرقاً من الناحية المادية بينها وبين سائر التراب، ولكن أليس الله تعالى بقادر على أن يجعل الشفاء فى تربة الحسينعليه السلام إكراماً له كما جعله فى العسل أو الأدوية والعقاقير؟!

الاعتقاد بالوسائط الغيبية لا يختصّ بنا نحن الشيعة

الملاحظة الأخرى هى أنّ هذه العقيدة (وهى أنّ هناك أسباباً غير طبيعية جعلها الله تعالى وسائط لفيضه كما جعل الوسائط الطبيعية وسائل لذلك) لا تختصّ بالشيعة وحدهم، بل تعمّ طوائف المسلمين.

إنّ التوسّل إلى الله تعالى عبر أوليائه كالتوسل بالنبيعليه السلام عقيدة يؤمن بها كلّ المسلمين إلّا زمرة شاذّة تعتقد أنّ المسلمين ومنذ أكثر من ألف عام وإلى يومنا هذا، كلّهم على ضلال وانحراف وأنّها هى وحدها التى عرفت معنى التوحيد! فكل المسلمين والصحابة والتابعين وتابعى التابعين برأى هذه الفئة مشركون لأنّهم يأتون إلى قبر رسول اللهعليه السلام ويتوسلون به ويطلبون حوائجهم من الله تعالى بواسطته.

أجل هذه كانت سيرة المسلمين كافة إلّا هذه الزمرة، وهذا ما تجدونه فى المصادر المعتمدة لدى غير الشيعة من المسلمين.

انظروا مثلاً صحيح البخارى، وهو من أصح الكتب عندهم، أو أصحها على الإطلاق، فقد ورد فى هذا الكتاب أنّ المسلمين الأوائل كانوا إذا أصابهم الجدب وقلّ المطر خرجوا إلى الصحراء يتضرّعون إلى الله ويصلّون صلاة الاستسقاء وكان عمر يستسقى بالعباس عم النبيعليه السلام، يقول البخارى فى صحيحه: «إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللّهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبيناعليه السلام فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقَون».

وهنا لابدّ من التنبيه على أمر وهو أنّ الأولى أن يتم التوسل بعد وفاة رسول اللهعليه السلام بنفس الرسول، وهو الإمام عليعليه السلام كما عبّرت بذلك عنه آية المباهلة?: فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ?بدلاً من التوسل بعمّ النبيعليه السلام.

وعلى كل حال فالمسلمون كانوا يتوسّلون إلى الله بالنبيعليه السلام، كما كان عمر يتوسل بعد وفاتهعليه السلام بعمه العباس.

هذا ما ورد فى صحيح البخارى وليس الكافى أو نحوه ليقال إنّه من مصادر الشيعة.

وقد روى أحمد فى مسنده وابن ماجة فى سننه:

«أن رجلا ضرير البصر أتى النبيعليه السلام فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: إن شئت دعوتُ لك وإن شئت أخّرت ذاك فهو خير. فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه فيصلّى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهم إنى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبىّ الرحمة يا محمد إنى توجّهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى. اللّهم شفّعه فىَّ ... ففعل الرجل فبرئ».

انظر هذا النص تراه يشبه النص الموجود فى دعاء التوسل الوارد فى كتاب مفاتيح الجنان، وهو: «اللهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبى الرحمة» ... ولكنّهم مع ذلك يقولون عن دعاء التوسّل الوارد عندنا بأنّه شرك وكفر!

والطريف فى الأمر أنّ ابن تيمية وهو رمز هذه الفئة التى تعيب على المسلمين توسّلهم واستشفاعهم بالنبى وآلهعليهم السلام، يعترف فى كتابه بأنّ هذا الحديث صحيح.

وهناك أحاديث كثيرة أخرى فى كتب الفريقين تفيد أنّ النبيعليه السلام والأئمة المعصومينعليهم السلام هم وسائط للفيض الإلهى.

الواقع خير دليل

وهنالك قضايا كثيرة تسند هذه الحقيقة، وهذه القضايا ليست مجرد قضايا تاريخية عابرة بل إنها تتجدد فى كلّ عصر ومنها عصرنا، ولا شكّ أنّ للكثير منّا تجربته الشخصية فى هذا المجال، بيد أنّ أكثر الناس مبتلون بالنسيان، فما أكثر المشاكل التى تواجه الإنسان فى الحياة، وما أكثر الحالات التى يظلّ عاجزاً عن حلّها إلّا عن طريق التوسل بالله تعالى والاستشفاع بأوليائه، وما أكثر المشاكل التى حُلَّت ببركتهم!

القصص فى هذا المجال كثيرة إلا أننى أذكر لكم واحدة منها على سبيل المثال؛ وهى قصة شاب كويتى مازال هو وأشخاص قصته على قيد الحياة وكلهم معروفون فى الكويت.

ابتُلى هذا الشاب بآلام فى بطنه بدأت تشتدّ وتشتدّ حتى أصبحت لا تُطاق، فراجع طبيباً مشهوراً وأُجريت له عملية جراحية اكتشف الطبيب من خلالها أنّه مصاب بالسرطان! وأنّ حالته ميؤوس منها، وقال الطبيب: هناك احتمال ضعيف جداً (بنسبة ۵٪) لشفائه فى الخارج، ولكن الاحتمال الأكبر هو الموت.

وتقرّر أن يُنقل إلى الخارج. واتّفق أنّ أحد الخطباء الحسينيين الكبار قام بعيادة المريض قبل نقله إلى الدولة التى كان مقرّراً إجراء العملية فيها، وناوله حبّة قند (سكّر مكعبات) قُرئ عليها حديث الكساء، وشيئاً من تربة الحسينعليه السلام وقال لأهله: صلّوا صلاة فاطمة الزهراء فإنّه يُشفى بإذن الله تعالى.

نُقل المريض مع بعض أهله إلى ذلك البلد الأجنبى، وفى ليلة إجراء العملية وفيما كان الشعور بالغربة والبعد عن الأهل والأطفال يسيطر على المريض، انقطع انقطاعاً حقيقياً إلى الله تعالى وصلّى صلاة الزهراء، ?ولم تكن صلاته مجرد ألفاظ بل كانت عباراته تخرج من القلب ودموعه تجرى، واستمرّ يدعو الله تعالى حتى أخذته إغفاءة، فرأى الصدّيقة الزهراء ?تدخل غرفته وهى محجّبة ومعها شابّان، فدنوا نحوه، ومسح أحد الشابّين بيده على موضع الداء، فنهض الشخص من إغفاءته وتلمّس موضع المسح وإذا بالألم قد زال ولم يبق أىّ أثر للمرض!

حضر الأطباء لإجراء العملية فقال لهم: لا أشعر بالألم وأحسّ أنّى شُفيت. استغربوا قوله وعندما أصرّ أُجريت له الفحوصات، فذُهلوا لما رأوا وقالوا:

«لا شكّ أنّ معجزة حصلت وأنّ القضية ليست طبيعية أبداً بل لابدّ من تدخّل غيبى فى الأمر!».

وهكذا شُفى هذا الشاب ببركة أهل البيتعليهم السلام، وما أكثر الحالات المشابهة، ولا شكّ أنّ كلًّا منّا لو راجع ذاكرته لوجد المزيد.

صلاة فاطمة ?وقضاء الحوائج

وبمناسبة ذكر صلاة فاطمة الزهراء ?فى القضية المذكورة آنفاً، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هذه الصلاة مذكورة فى أوائل كتاب مفاتيح الجنان، وأنّ كلّ واحد من الإخوة المؤمنين يمكنه أن يصلّى هذه الصلاة، ليس من أجل حاجاته الدنيوية أو الشخصية فحسب، فثمة حاجات نوعية أيضاً، فهناك مثلاً الآلاف بل الملايين من المساكين والفقراء الذين يتهددهم الجوع فى العالَم! أليست هذه مشكلة حقيقية؟ أم يكون منطقنا: إذا مِتّ ظمآناً فلا نزل القطر؟! كلا، فليس هذا منطق الإنسان المؤمن.

روى عن الإمام الحسنعليه السلام أنه قال: «رأيت أمّى فاطمة ?قامت فى محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود

الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه، لِم لا تدعون لنفسكِ كما تدعون لغيرك؟ فقالت: يا بنى، الجار ثم الدار».

فهذا هو منطق أهل البيتعليهم السلام، فهل نكون كذلك أم نقول: الدار ثم الدار؟!

كتب لى شخص قبل عدة أيام يقول: إنى رجل متزوج وعندى ثلاثة أولاد، ولكنا نعيش فى ضائقة اقتصادية خانقة، لدرجة أنّ زوجتى لم تعد تحتمل الوضع، فطلبتْ منّى الطلاق، فماذا ترى؟!

فكم مثل هذا الشخص موجودون اليوم بين ظهرانينا ولا نعلم بهم؟

وِرد آخر للزهراء?

وبمناسبة ذكر صلاة الزهراء ?فى القصة، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هناك ورداً آخر مجرّباً وذلك بأن تتوضّأ وتجلس فى مكان مستقبل القبلة ولا تكلّم أحداً وتقول خمسمئة وثلاثين مرة «اللّهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها بعدد ما أحاط به علمك».

الأيام الفاطمية

ملاحظة أخيرة تتعلّق بالأيام الفاطمية أودّ التذكير بها وهى أنّ المؤمنين فى قم المقدسة يتّخذون مناسبتين للفاطمية، الفاطمية الأولى فى جمادى الأولى، والفاطمية الثانية فى جمادى الثانية. الجدير بالمؤمنين أعزّهم الله تعالى أن يحيوا الفاطمية الثانية كما يحيون الفاطمية الأولى وجزاهم الله خير الجزاء.

نسأله سبحانه أن يوفّقنا للاقتداء بأهل البيتعليهم السلام فى الدنيا، وأن يرزقنا شفاعتهم فى الآخرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

التبرى من اعداء الله تعالى

التبرى من اعداء الله تعالى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الموقف من أعداء الله تعالى

الموقف من أعداء الله تعالى

يمكن تقسيم المواقف المتخذة من أعداء الله تعالى إلى ثلاثة مواقف:

الموقف الأول

هو الموقف الذى يحاول تمييع الحدود بين الحق والباطل، أصحاب هذا الموقف يرفضون فكرة أنه لا يوجد إلّا صراط مستقيم واحد، بل يعتقدون أن هناك صرطاً مستقيمة كلّها توصل سالكيها إلى الله سبحانه بنحو من أنحاء الإيصال، ومن ثم لا يوجد فرق عندهم بين النبى موسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) وبين من عبد العجل، لأن لكل منهما صراطه المستقيم، ويقولون إن موسيعليه السلام عندما أخذ بلحية أخيه يجرّه إليه إنما عاتبه على نهيه قومه عن عبادة العجل! لأن الله بزعمهم يحبّ أن يعبد فى أيّة صورة كان

المعبود.

وهـذه العقيـدة ليست فلسـفة تعود للماضـى، ولا نظريـة جديدة تسـتوطن أقاصـى بلاد الشـرق والغرب، بل هى موجودة فى قلب البلاد الإسلامية أيضاً.

فى هذه النظرية لا معنى للتبرى، لأنه يتساوى فيها نبى الله موسيعليه السلام وفرعون الطاغية؛ يقول شيخهم الأكبر فى كتابه حول فرعون: «فقبضه الله طاهراً مطهّراً لم يشبْهُ دنس» ويقول: «إن قوم نوح إنما أغرقوا فى بحار رحمة الله». ويقول شاعرهم:

لقد صار قلبى قابلاً كلّ صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

إلى أن يقول:

أدين بدين الحب أنى توجهتْ

ركائبه فالحب دينى وإيمانى

فالدين فى هذا المنطق هو الحبّ بشـكل مطلق؛ حب القاتل والمقتول، حب الجلّاد والضحية، حب قابيل وهابيل، حب فرعون وموسى، حب نمرود وإبراهيم، حب أبى سـفيان وخاتم الأنبياءعليه السـلام، ومن ثم لا معنى للتبرى، لأنه لا يوجـد شـخص ينبغى أن يُتبرّأ منه ما دام الكلّ فى طريق الله سبحانه وتعالى.

وقد روى أن رجلاً قدم على أمير المؤمنينعليه السـلام فقال له: يا أمير المؤمنين إنى أحبّك وأحبّ فلاناً فقالعليه السـلام: «أمّا الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر».

الموقف الثانى

هو الموقف الذى يتبنّى التولى لأولياء الله تعالى ولكنه لا يتبنّى التبرى من أعدائه.

هذا الموقف يرى فضائل ومناقب من يتوّلاه فيتوّلاه، ولكنه لا يرى مثالب عدوّه لأن له عيناً واحدة فقط.

وهـذا الموقف يختلف عن الموقف الأول، لأن صاحب الموقف الأول يبرّئ الجميع، أما صاحب الموقف الثانى فيقول إنى أتولى فلاناً ولا شأن لى بغيره.

الموقف الثالث

هو الموقف الذى يرتكز على قاعدة التولّى والتبرّى معاً، وكلامنا فى هذا البحث هو حول هذا الموقف، ونسـعى أولاً لتقصّيه فى القرآن الكريم.

التبرى من أعداء الله تعالى فى القرآن الكريم

يتناول القرآن الكريم قضية التبرّى بصيغتين؛ الأولى: ما يحتوى على عنوان التبرى بنفسه، والثانية: ما يتناول بعض مظاهر التبرى.

أمـا الصـيغة الأـولى فلعـلّ أبرز موقف يمثّلها هو موقف نبىّ الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السـلام) فى قوله تعالى?: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.?

توضـيح ذلك: إن من المحرمات التى ذكرها الفقهاء فى كتبهم: الاسـتغفار للمشرك حتى لو كان أباً أو قريباً؛ قال الله تعالى?: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ؛ ?وهذه الشدة فى الموقف تعنى أنه حتى هذا المقدار من الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى غير مسموح به شرعاً.

لا شك أن التعامل الإنسانى لا إشكال فيه؛ يقول تعالى?: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.?

ولقد سقى الإمام الحسينعليه السلام أعداءه الماء، كما سقى النبى الأكرمعليه السلام أعداءه، فالقضية الإنسانية لا تعرف التأطير العقائدى (على التفصيل المقرّر فى الفقه)، أمّا إنشاء الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى فغير مسموح حتى على مستوى الاستغفار لهم.

(عن أبى إسحاق الهمذانى عن رجل قال: صلّى رجل إلى جنبى فاستغفر لأبويه وكانا ماتا فى الجاهلية. فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا فى الجاهلية؟ فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه. فلم أدر ما أردّ عليه، فذكرت ذلك للنبيعليه السلام فأنزل الله?: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. ?ولم يكن آزر أباه الحقيقى بل كان عمه، وفى اللغة العربية يطلق على العم لفظة الأب وعلى الخالة لفظة الأم.

وعلى أىّ حال، يظهر من الآية الكريمة أن آزر وعد إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) أن يؤمن، ولذلك استغفر له إبراهيمعليه السلام استغفاراً فعلياً أو تعليقياً، ولكنه عندما تبيّن له أنه عدو لله، تبرّأ منه؛ لأن الدين لا يقيم قاعدته على أساس العلاقات العائلية بل يقيمها على أساس العلاقات العقائدية، فالعقيدة هى الملاك وليس الروابط.

وفى الآية نكتة جديرة بالالتفات تكمن فى كلمة «تبرأ منه» فهى تعنى التبرى من الفاعل وليس التبرى من الفعل فقط، فهناك منطق يقول: نتبرأ من الفعل لا من الفاعل، ولكن منطق القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة هو التبرؤ من الفاعل، كما أن هناك آيات فيها تبرّؤ من الفعل مثل قوله تعالى?: وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ?وقوله سبحانه?: وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ.?

ومن الموارد التى وردت فيها البراءة بعنوانها سورة كاملة تحمل اسم البراءة وتبدأ به دون البسملة (شعار الرحمة).

أما الصيغة الأخرى من التبرى فى القرآن الكريم فهى الآيات التى تتناول مظاهر التبرى، ومن هذه المظاهر الاستعاذة؛ قال الله تعالى: ?فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.?

ومنها الآيات التى وردت فيها كلمة اللعن.

كثيراً ما يقال: لماذا تلعنون الظالمين؟

والجواب: إن الله تعالى هو الذى شرع لنا اللعن، والآيات القرآنية التى فيها اللعن أكثر من ثلاثين آية، ونحن نلعن من لعنه الله تعالى.

نظرة إلى مقولة التوفيق العقائدى

مع كل ما تقدّم، نسمع اليوم من يذهب إلى فكرة التوفيق العقائدى (أو العقدى). نحن لا نتحدث عن التوفيق العملى الذى قد تفرضه بعض الظروف، بل فى التوافق العقائدى والقول إن على كل طرف أن يتنازل عن بعض ثوابته من أجل الوحدة مع الآخر، إن هذا النوع من التوافق غير صحيح وغير ممكن.

قال أحد الأشخاص لصاحبه: يجب أن نلغى المذاهب فلا سنّة ولا شيعة، فقال صاحبه: إذا أذّن المؤذن كيف نصلّى؟ هل نسبل اليدين أم نتكتف؟ هل نسجد على التراب أم السجّاد؟ ... ويقول أحد العلماء ما مضمونه: جمعنى مع رجل من المذاهب الأخرى لقاء فحلّ موعد الصلاة فقال: أيّنا يؤمّ الآخر؟ فقلت: فى مذهبنا هنالك شروط لإمام الجماعة، وأنا لا أصلّى خلف من يفتقد هذه الشروط ولو كان شيعياً، أما أنتم فى مذهبكم فتجوّزون الصلاة خلف كل برّ وفاجر، فلأكن أنا الإمام.

لماذا التبرى؟

لماذا التبرى؟

هناك شبهة يثيرها البعض فيقولون: ولماذا التبرى من أشخاص وأقوام ماتوا ولم يعودوا بين ظهرانينا؟ ويقولون: أولئك قوم عصمنا الله تعالى من دمائهم فلنعصم أنفسنا من أعراضهم، فنحن لم نشترك فى قتلهم، فلنجنّب أنفسنا الخوض فى كرامتهم.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات بحاجة إلى بحث مستقلّ، لكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى نقطتين على نحو الإجمال والاختصار؛ وهما:

النقطة الأولى

إن التبرى يعنى صنع الحاجز النفسى والاجتماعى مع من تتبرّأ منه، وقضية الحاجز النفسى والاجتماعى قضية مهمة، فمن الناحية الفقهية يحرم على الإنسان أن يجلس على مائدة يُشرب فيها الخمر، إننا الآن نتنفر من الخمرة ويكون تصوّر شربها مقزّزاً لنا، لكن إذا جلس الإنسان على مائدة يُشرب فيها الخمر فإن هذا الحاجز النفسى يقلّ تدريجياً.

وهؤلاء الأفراد الذين نتبرّأ منهم لا يمثلون أفراداً فقط بل يمثّلون مناهج أيضاً، فالحجاج يمثّل منهجاً وهذا المنهج قابل للتكرار فى كل مكان وزمان، ألم يتكرر نموذج الحجاج فى العراق؟

إذن ينبغى وضع حاجز نفسى واجتماعى تجاه النماذج السيئة لئلا تتكرر، فلو اتخذ أحد أبنائنا شخصاً منحرفاً صديقاً له، ألا نسعى لخلق حاجز فى نفسه للابتعاد عنه؟

ولعل هذا يفسّر كثرة النماذج المشابهة للحجّاج فى الخطوط الأخرى؛ ولِم لا يفرز أصحاب المنهج المخالف أشخاصاً كالحجاج ماداموا معجبين به غير متبرّين منه؟!

إن التبرى هو الذى يصنع الحاجز النفسى للابتعاد عن النموذج المتبرّى منه.

النقطة الثانية

وهى نقطة مهمة جداً وإن كان يغفل أو يتغافل عنها الداعون للوحدة العقائدية والفكرية والفقهية؛ وهى: إن موقفنا إزاء هذه النماذج المنحرفة دائر بين أمرين، فإما أن ندين أفراداً أو ندين الإسلام، فنحن مضطرون لأحد هذين الأمرين، إن من العوامل المهمة التى تحول دون إسلام كثير من الغربيين هى هذه النماذج السيّئة، وهى نماذج ثابتة تاريخياً ولا يمكن إنكارها أو التستر عليها! هل يستعدّ فرد عاقل اليوم لأن يخضع لحكم البعثيين مع هذا النموذج الذى قدّموه؟! هكذا حال هذه النماذج التاريخية، فهؤلاء الأفراد يشكّلون دعاية سلبية للإسلام، فإذا كان الإسلام هو الدين الذى يفرز أمثال الحجاج وهارون فإنه ليس ديناً جديراً بالقبول.

إن أمرنا دائر بين أن ندين هؤلاء الأفراد ونطهّر ساحة الإسلام منهم فنقول: إن هؤلاء لا يمثّلون الدين وإننا نعلن براءتنا منهم، وإما أن نسكت عن هؤلاء وجرائمهم، وهذا معناه إدانة الإسلام.

فأيهما أفضل: إدانة الإسلام أم القول إن هؤلاء يمثّلون شذوذاً عنه وعن تعاليمه؟

إننا لو فكّرنا فى قضية التبرّى من الناحية العقلية لرأينا أن التبرى من هذه النماذج ضرورة إسلامية يحكم بها العقل قبل الشرع.

أليس التبرّى من تجربة طالبان فى أفغانستان ضرورة؟! ولو قلنا للعالم: إن الطالبان يمثّلون الإسلام حقيقة فهل يفكر عاقل فى اعتناقه حينئذ؟!

وإذا كنا نتبرّأ اليوم من طالبان وأمثالهم، فمن الاولى أن نتبرأ من أولئك الذين جلس الطالبان على موائدهم أعنى من تقدمهم وخطّ لهم هذا الخطّ، ومن أسس أساس الظلم والجور فأولئك أولى بالإدانة والتبرّى، ولذلك نحن نتبرأ منهم.

الصديقة الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى

يبدو أن التخطيط الإلهى كان يقتضى أن تكون الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى، إنها الرمز الذى لا يمكن إنكاره،

والمخالفون متحيّرون ماذا يفعلون وماذا يقولون تجاه هذا الرمز.

فمثلاً ـ نرى البخارى الذى يأنف عن ذكر حتى رواية واحدة عن الإمام الصادقعليه السلام [مع أن المذاهب الأربعة كلّها عيال على المدرسة الفقهية للإمام الصادقعليه السلام]، ويروى عن الخوارج وعن عمران بن حطّان الذى يقول فى ابن ملجم:

يا ضربة من تقىّ ما أراد بها

إنى لأذكره حيناً فأحسبه

إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

أوفى البرية عند الله ميزانا

ولا يروى عن الإمام الصادقعليه السلام! أجل حتى البخارى هذا لم يستطع الهروب من هذه القضية، ونقل ما يكشف أن خطّ فاطمة الزهراء ?هو خطّ التبرّى، فهو يروى فى كتابه الذى يعدّه قومه أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى: أن رسول اللهعليه السلام قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى» ثم يذكر فى مكان آخر من كتابه عن فلان: «فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت».

راجعوا كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» لتعرفوا منهج هذا الرجل فى تدوين الحديث، ولكنه ذكر هذه الرواية، وهذا جزء من الهداية الإلهية التشريعية للبشر، لكى تكون معالم الحق واضحة جليّة لا تخفى على أحد.

وقد روى أنّ أحد علماء العامة أراد اللقاء بالعلامة الحلّى ليبحث معه فى أمر الإمامة، فأوفد العلاّمة ولده فخر المحققين لاستقباله خارج البلدة، وبينما هما فى الطريق التفت فخر المحققين وسأل ذلك العالم:

«هل حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» صحيح عندكم؟ فقال: نعم، قال فخر المحققين: فهل كان لفاطمة بعد وفاة أبيهاعليه السلام إمام أو لا؟ فحار العالم ماذا يجيب، فإن قال: لا، فهل يعقل أن تكون الزهراء قد ماتت والعياذ بالله ميتة جاهلية، وهى التى يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟! وإن قال: نعم، فمن كان إمام زمانها؟ لا شك أنه لم يكن أبا بكر لأنها كانت مقاطعة له واجدة عليه رافضة لحكمه مُدينة له، وما رضيت حتى أن يشترك فى تشييعها، وإن قال إن إمامها كان على بن أبى طالب، فقد خصم، وهكذا حار العالم وعاد من حيث أتى دون أن يلتقى بالعلامة الحلى».

فعند الزهراء ?ينتهى كل احتجاج، وهى الرمز الذى لا يقبل التأويل وتنقطع عنده كلّ حجة.

ومما ينقل فى هذا الصدد أيضاً أنه أتت عائشة وحفصة إلى عثمان تطلبان ميراثهما من ضياع أموال رسول اللهعليه السلام التى فى يديه، فقال: ولا كرامة، لكن أجيز شهادتكما على أنفسكما، فإنّكما شهدتما عند أبويكما أنّكما سمعتما من رسول اللهعليه السلام يقول: إنّ النبىّ لا يورث، ما ترك فهو صدقة، ثم لقّنتما أعرابيّا جلفاً ... فشهد معكما، لا من أصحاب رسول اللهعليه السلام ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غير أعرابىّ، أما والله ما أشكّ فى أنّه قد كذب على رسول اللهعليه السلام، وكذبتما عليه معه، فانصرفتا من عنده تبكيان وتشتمانه، فقال ارجعا، ثم قال: أشهدتما بذلك عند أبى بكر؟ قالتا: نعم. قال: فإن شهدتما بحقّ فلا حقّ لكما، وإن كنتما شهدتما بباطل فعليكما وعلى من أجاز شهادتكما على أهل هذا البيت لَعْنَةُ الله والمَلائكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعين.

وقال صاحب «كشف الغمّة»: «لما ولى عثمان قالت له عائشة: أعطنى ما كان يعطينى أبى وعمر. فقال: لا أجد له موضعاً فى الكتاب ولا فى السنة ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل. قالت: فأعطنى ميراثى من رسول الله. فقال: أليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضرى أن رسول اللهعليه السلام قال: لا نورث، فأبطلتِ حقّ فاطمة، وجئتِ تطلبينه، لا أفعل. فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول: إنه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال: إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة فى الكتاب? اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ?إلى قوله? وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. ?فقالت له: يا نعثل يا عدو الله إنما سمّاك رسول اللهعليه السلام باسم نعثل اليهودى الذى باليمن، فلاعنته ولاعنها وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً وخرجت إلى مكة».

واجبنا تجاه قضية الزهراء

أما بعض واجبنا تجاه الزهراء ?فهو تركيز قضيتها فى النفس والبيت والمجتمع والعالم.

فمن طرق التركيز فى البيت والعائلة مثلاً تخصيص جائزة لكلّ من يحفظ الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء، ?كما يمكن للمشرفين على الدورات الصيفية القيام بذلك أيضاً.

ومن طرق التركيز فى المجتمع والعالم تأليف الكتب والموسوعات عن الصديقة الزهراء ?وقضيتها ومظلوميتها.

ومن كان يستطيع إقامة مجالس العزاء فى بيته فليفعل، ولنواصل ولا نتوقف، لأن كثيرين وُفّقوا فى البداية ولكن التوفيق لم يحالفهم حتى النهاية، فلنطلب من الله تعالى أن لا يسلبنا هذا التوفيق.

لک سدارتک وأعطنی عمامتی

كان نظام الحكم فى العراق قبل حوالى أربعين عاماً يحاول استقطاب رجال الدين ثم تذويبهم ومن هنا أعلنت الدولة عن توظيف رجال الدين كمعلمين براتب جيد، بعد إجراء امتحان لهم.

وقد نقل عن أحد رجال الدين آنذاك أنه قال: كانت أوضاعى المادية ضاغطة ففكرت أن أوفّق بين الأمرين فأذهب صباحاً للوظيفة الرسمية، ثم أعود عصراً إلى مهمّتى كرجل دين، دون أن أخبر أحداً بذلك.

قال: وبينما كنت ذاهباً لأداء الامتحان لقينى شخص من عامّة الناس فى الطريق وطلب منى أن أفسّر له رؤيا رآها البارحة، وقال: لقد رأيت الإمام أمير المؤمنينعليه السلام يخاطبك بالقول: «لک سدارتک وأعطنی عمامتی» وكان المعلّمون آنذاك يلبسون سدارة فما تفسير ذلک؟

يقول: فقلت له: هذه رسالة لى من أمير المؤمنينعليه السلام وقد وصلت الرسالة، ثم رجعتُ إلى بيتى ولم أنخرط فى سلك الدولة، وتركتُ الحلول التوفيقية، وواصلت سيرى فى طلب العلوم الدينية والخطابة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الموفَّقين لخدمة دينه وأوليائه وأن لا يسلبنا هذا التوفيق، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تاثير الذكر

تاثير الذكر

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ?الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ.?

مقدّمة

لكل حقيقة من الحقائق أربعة وجودات عادة؛ الأول: الوجود العينى وهو عبارة عن تحقق الشىء فى الخارج. الثانى: الوجود الذهنى وهو عبارة عن انطباع صورة الشىء الموجود خارجاً فى الذهن. الثالث: الوجود اللفظى، والرابع: الوجود الكتبى.

ما يهمنا فعلا فى هذه الوجودات الأربعة بحثان:

البحث الأول: أن هذه الوجودات الأربعة متفاعلة؛ تؤثر حالات بعضها فی حالات بعض.

البحث الثانی: أن هذه الوجودات الأربعة مترابطة.

البحث الأول: التفاعل بين أنحاء الوجود

لو فرضنا أن للوجود الخارجی لشیء ما صفة معینة، فهذه الصفة لاتمثل صفة خارجیة لموجود خارجی فحسب بل تؤثر فی الوجود الذهنی واللفظی والکتبی له أیضاً ولو فی الجملة أوصی الإخوة المؤمنین بقراءة أحکام الأولاد فی کتاب النکاح، فهذا الباب مشحون بالقیم الدینیة التی یحتاج إلیها کل واحد منا نحن المسلمین، وفیه یذکر الفقهاء أن الأب ینبغی ان لا یسمی ابنه أو بنته باسم عدو من أعداء الله تعالی؛ لأن لذلک تأثیرات سلبیة فی روحیة الطفل.

فی کتاب الکافی للکلینی: ?یَعْقُوب السَّرَّاج قالَ: «دَخَلْتُ عَلی أَبی عَبْدِ اللَّهعلیه السلام وهُوَ وَاقِفٌ عَلی رَأس أَبی الْحَسَن مُوسَی وهُوَ فی الْمَهْدِ فَجَعَلَ یُسَارُّهُ طَوِیلًا. فَجَلَسْتُ حَتَّی فَرَغَ، فَقُمْتُ إلیه فَقَالَ لی: ادْنُ مِنْ مَوْلاکَ فَسَلِّمْ. فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَیْهِ، فَرَدَّ عَلَیَّ السَّلامَ بلِسَان فَصِیح ثُمَّ قَالَ لی: اذْهَبْ فَغَیِّرِ اسْمَ ابْنَتکَ الَّتی سَمَّیْتَهَا أَمْس فَإِنَّهُ اسْمٌ یُبْغِضُهُ اللَّهُ. وکَانَ وُلِدَتْ لِی ابْنَةٌ سَمَّیْتُهَا بِالْحُمَیْرَاء. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهعلیه السلام: انْتِهِ إلی أَمْره تُرْشَدْ. فَغَیَّرْتُ اسْمَهَا».

بل ذکر بعض الفقهاء أنه ینبغی تغییر حتی الأسماء المحایدة إلی الأسماء النوریة أی محمد وفاطمة وعلی والحسن والحسینعلیهم السلام وامثالها کما کان رسول اللهعلیه السلام یصنع ذلک مع بعض الصحابة.

البحث الثانی: الترابط بين أنحاء الوجود

ومعناه أن وجود بعضها یستتبع وجود بعضها الآخر ولو فی الجملة. مثلا: الوجود اللفظی (وهو وجود فی عالم اللفظ والعبارة) یستتبع الوجود الذهنی، فالکلمات والعبارات التی تطلقها لیست أمواجاً تتحرک فی الفضاء فقط بل تؤثر فی ذهنک أیضاً، وقد تستتبع وجوداً عملیاً لأن الصورة التی تنطبع فی الذهن قد تنتهی إلی الوجود العملی.

تأثير ذكر الله على حياة الإنسان

بعد هذه المقدمة نعود إلی الآیة الکریمة?: الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیَامًا وَقُعُودًا وَعَلَی جُنُوبِهِمْ.?

فما قیمة قولنا: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر)، وما دور ذلک؟

یتصور بعض الناس أن هذه الألفاظ لا قیمة لها، مع أن لها قیمة کبری، لأنها تعنی حضور الله سبحانه وتعالی فی لفظک، وهذا الحضور اللفظی یؤثر فی ذهنک بالتبع إن لم یکن فی المرة الأولی ففی المرات اللاحقة، وبمرور الأیام وبالمداومة علی الذکر تخلق هذه الألفاظ حالة ذهنیة معیّنة عند الذاکر حیث تنطبع المفاهیم التی تحملها الألفاظ فی الذهن، وهذه الحالة الذهنیة ستؤثر فی العمل أیضاً؛ أی یتحقق فی البدایة الوجود اللفظی، ثم تتحقق الصورة الذهنیة والوجود الذهنی، ویأتی التطبیق العملی أخیراً وفق تلک الصورة الذهنیة (أی الوجود الذهنی) والصورة اللفظیة (أی الوجود اللفظی).

قصة فيها عبرة

نقل أحد العلماء القدامی فی إیران أنه کان مسافراً إلی زیارة الإمام الحسینعلیه السلام فی العراق فوقع هو والقافلة فی کمین لبعض قطاع الطرق فی مدینة کرمانشاه الإیرانیة، فاستولوا علی کل أموال القافلة ولم یجدِ معهم النصح والکلام. یقول العالم:

«ولکن ما لفت انتباهی أنه عندما حان موعد الصلاة انعزل أحدهم جانباً ویبدو أنه کان رئیسهم وتوضأ ثم صلی الفریضة. وعندما أتمّ

صلاته توجّهتُ إليه وسألته: هل أنت رئيس هذه العصابة؟ قال: نعم. قلت: وماذا تنفعك هذه الصلاة وأنت لا تراعى لله حرمة حيث تسرق أموال الناس؟!

فقال: صحيح أننى مذنب وعاص، ولكن يجب على الفرد أن لا يقطع جميع الخيوط التى تربطه بالله تعالى.

يقول العالم: بعد بضع سنين، كنت جالساً فى إحدى العتبات المقدسة، عندما أقبل علىّ شخص ظاهر الصلاح فسلّم علىّ وقال: هل تعرفنى؟

وعندما أجبته بالنفى قال: أنا صاحبك الذى قطعت عليك الطريق فى سنة كذا وسألتنى آنذاك عن الفائدة التى أجنيها من صلاتى.. أرأيت كيف أفادتنى تلك الصلاة وقادتنى إلى ما ترى، حيث إنى تبت إلى الله توبة نصوحاً، وتخلصت من التبعات وأرجعت كل الأموال إلى أصحابها، ومن لم أعرفه تصدقت بأمواله نيابة عنه».

•وقد روى أن فتى من الأنصار كان يصلّى مع رسول اللهعليه السلام إلا أنه كان يرتكب الفواحش فوُصف ذلك لرسول اللهعليه السلام فقال: «إنّ صلاته تنهاه يوماً ما». فلم يلبث أن تاب.

وهذا ما يفسر جانباً من جوانب كثرة الأدعية وتنوعها، فانكم إذا راجعتم كتب الأدعية لاحظتم أنه يوجد دعاء أو ذكر لكثير من الحالات، فهناك ذكر لمن يريد السفر؛ يقول?: سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ?وذكر عند إرادة البدء بالطعام?: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ?وذكر عند الانتهاء من الطعام?: الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، ?وذكر قبل النوم: (تسبيحة الزهراء) ?كما وردت (تسبيحة الزهراء) عقيب كل صلاة، وهناك ذكر مشحون بالمعارف الإلهية عند كل فعل من أفعال الوضوء، فتقول عند غسل الوجه: «اللهم بيّض وجهى يوم تسودّ فيه الوجوه» وهكذا...

إن الذكر يؤثر فى حياة الإنسان ويقوّم سلوكه إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد؛ ولقد تغيّرت حالة الجيل الجديد مع الأسف وابتعد كثير من الشباب عن الذكر، خلافاً لمن سبقنا من الأبرار فقد كانوا يلهجون بذكر الله فى كل وقت، فكانت المرأة مثلاً تسبّح الله وتذكره وهى مشتغلة بأعمال المطبخ وهكذا الرجل وهو فى طريقه إلى البيت، أو وهو مشتغل بعمله.

إن من يعرف قيمة الذكر لا يدَعْ وقته يذهب سدىً دون أن يستثمره بالذكر. ولقد جاء فى صحيفة سليمان بن داوود: لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داوود، إن ما أعطى ابن داوود يذهب وإن التسبيحة تبقى. أى إن تسبيحه واحدة مثل قول «سبحان الله» أعظم عند الله وأبقى أثراً من كل ذلك الملك العريض الذى أُعطى سليمانعليه السلام.

فإذا كان هذا قيمة الذكر أفليس من الخسارة أن يقضى المرء أوقاته عبثاً دون أن يذكر الله؟!

عَنْ أَبى بَصير قَالَ: قَالَ الصَّادقُعليه السلام: مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبىِّ وآله مئَةَ مَرَّة فِى كُلِّ يَوْم ابْتَدَرَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك أَيُّهُمْ يُبْلغُهَا إلى رَسُولِ اللّهعليه السلام قَبْلَ صَاحبه.

وعن الْقُطْبُ الرَّاوَنْدىُّ فى لُبِّ اللُّبَاب عَنْ النَّبىِّعليه السلام قَال: مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وعَلَى آلى صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ، ومَنْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه، ومَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه لَمْ يَبْقَ فى السَّمَاوَات والأرض مَلَكٌ إلا ويُصلُّونَ عَلَيه...

حقاً ما أعظم قيمة الذكر! فقول «اللهم صل على محمد وآل محمد» قد لا يستغرق خمس ثوان من الإنسان ولكنه يساوى صلاة الله ودعوة الملائكة بالرحمة لقائله!

ألا يأسى الإنسان على الأوقات التى لم يذكر الله سبحانه وتعالى فيها؟! أوَلا يجدر بنا خلق الحالة التى كان عليها آباؤنا الأخيار من دوام الذكر فى كل حال؟

الذكر العملى والقلبى

كان الحديث فيما مضى عن الذكر اللفظى، ونتحدث الآن عن الذكر العملى والقلبى وهو أن نستحضر الله تعالى ونذكره فى أذهاننا

وقلوبنا قبل أن ننطق بأيـة كلمـة وقبل أن نتخـذ أى موقف، فمثلاً عنـدما يـدخل الزوج البيت وهو مرهق ومتعب وتسـتفزه الزوجـة وتثير أعصابه سواء كانت محقـة أو غير محقـة، عليه أن يذكر الله تعالى قبل القيام بأى ردّ فعل، وهكذا على الزوجة أن تذكر الله قبل اتخاذها أى موقف تجاه زوجها.

فهذه الحالة من الرقابة الدائمة على النفس والحذر من أن يصدر عنها ما يسخط الرب، هى الذكر العملى والقلبى.

وقـد روى أن الإمام السـجادعليه السـلام الْتَاثَتْ عَلَيْهِ نَاقَتُهُ فَرَفَعَ الْقَضِـيبَ وأَشَارَ إِلَيْهَا وقَال: لولا خَوْفُ الْقصَاصِ لَفَعَلْتُ. وفى رِوايةٍ: آهِ مِنَ الْقصَاصِ. ورَدَّ يَدَهُ عَنْها.

نماذج من الذكر العملى

●النموذج الأول: حكاه السيد الجد ?وأنقلها لكم عبر واسطة واحدة يقول:

«كان احد التجّار جالساً مع جماعة من زملائه إذ حضـر شـخص وقال: لقد توفى التاجر الفلانى. قيل له: كيف، ولم يكن به شىء؟ قال: نام ولم يستيقظ!

وما كان من صاحبنا (التاجر الحاضـر فى الجلسة) بعد أن سـمع النبأ إلا أن أطرق برأسه قليلاً ثم توجّه إلى الحاضـرين من زملائه وقال: أيها التجار اشهدوا أنى مدين لهذا التاجر بمبلغ كذا.

وعنـدما سـأله زملاؤه: وما أعجلك على إعلان هـذا الأمر؟ قال: لم يكن يعلم بهـذا الـدَّين إلا الله وهو وأنا، وخفت إن فات الوقت ولم أعلن عنه أن يغرّنى الشيطان بأكل المال، فأردت أن أقطع عليه الطريق».

●النموذج الثانى: يُنقل فى أحوال أحد المراجع أن تاجراً قال له:

«سيدنا أنا مدين بديون كثيرة ولكن الشيطان لا يدعنى أن أؤديها وإنى فى صراع مع الشيطان ولا أستطيع التغلب عليه».

وكلما نصحه العالم لم تُجد النصيحة معه وقال:

«أنا لا أتمكن ونفسـى لا تطاوعنى، ولكن هناك حل واحد وهو أن تقول لهؤلاء الخدم الموجودين فى بيتك لكى يقيدونى ويُخرجوا المفتاح من جيبى ثم يتوجهوا إلى قاصتى وهى فى محل كذا، ويخرجوا المال كى يصرف فى موارده.

وأضاف: مهما قلت لكم أثناء تقييدى فلا تعتنوا بكلامى.

وقام الخـدم بالمهمة وكلما صـرخ التاجر بهم لم يعتنوا بكلامه وأسـرعوا إلى قاصـته وأخرجوا المال الذى كان قد حدده لهم ثم عادوا وفكّوا التاجر ليذهب إلى سبيله.

وكان هذا التاجر كلما التقى المرجع بعد ذلك قال له: جزاك الله عنى خير الجزاء، فلقد أرحتنى من همّ ثقيل».

إذن المقصود من الـذكر العملى أن يتـذكر الإنسان الله تعالى فى كل خطوة يريد أن يخطوها، كمن يمشـى فى أرض ذات شوك فانه يلاحظ بدقّة كلّ خطوة من خطواته، فإذا فعل الإنسان ذلك فسوف يكون من المفلحين بإذن الله تعالى.

نسأله سبحانه أن يجعلنا من الذين يذكرون الله بلسانهم وقلوبهم وأعمالهم وأن نكون من الذاكرين الله كثيراً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها

صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ?فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ?صدق الله العلى العظيم.

حديثنا عن صلاة الليل يدور حول محورين:

المحور الأول: الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل.

المحور الثانى: معطيات صلاة الليل.

فلسفة صلاة الليل

أما بالنسبة للمحور الأول؛ فربما يبدو لنا والله أعلم بحقائق الأمور أن الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل ترتبط بنوع من الارتباط بالفلسفة الرئيسية لخلقة الإنسان.

فياترى لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟ ثمة آية قرآنية كريمة تجيب على هذا السؤال بوضوح، وهى قوله تعالى?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.?

إن هذه الجملة القرآنية؛ ووفقاً للاصطلاح الأدبى يقال لها: جملة حصر، وجملة الحصر فى اللغة تنحلّ إلى عقدين: عقد إيجابى، وعقد سلبى، فالعقد الإيجابى لهذه الجملة أن الله خلق الجن والإنس للعبادة، أما العقد السلبى فهو أن خلق الجن والإنس لم يكن لأى هدف آخر غير العبادة.

وبناء على ذلك؛ فإن أى تصرّف يصدر عنا نحن البشر خارج إطار العبادة، فهو خارج عن إطار الهدف من خلقتنا، تماماً كذاك الطالب الذى يدخل قاعة الامتحان ليمتحن، فما يصدر عنه من التصرفات لايمكن عدّها جزءاً من فلسفة وجوده فى القاعة، إلّا أن تكون متعلّقة بشكل من الأشكال بالهدف من دخوله القاعة، وهو الامتحان.

فتناولنا الطعام نحن البشر لا يصحّ عدّه هدفاً لوجودنا فى الحياة، إلا إذا ربطناه بحقيقة الهدف من خلقتنا، وهى العبادة، وإن لم نجعله كذلك فهو لا يعدو كونه تضييعاً للحكمة من وجودنا، تماماً كمن يهاجر إلى بلاد الغربة للدراسة فيضيع وقته فى الاكل والشرب والنوم واللعب، وحينما يعود إلى وطنه يعتريه الندم على ما فرّط فى تلك البلاد ... وهكذا بالنسبة الى سائر الأمور

إذن؛ فالهدف من الخلقة هو العبادة، وليس الهدف أى شى آخر.

وهنالك من يقول إن العبادة ممارسة تختصّ بالشيوخ والعجائز، ولكن: اذا كان الأمر كذلك فلماذا وقف رسول اللهعليه السلام على أطراف أصابعه يعبد ربه حتى تورّمت قدماه؟

ولماذا اقتدت الصديقة فاطمة الزهراء ?بأبيها فى ذلك؟

ولماذا حجّ الإمام الحسن المجتبيعليه السلام ماشياً خمساً وعشرين مرة؟

وما هو السر وراء قول الإمام الحسينعليه السلام لأخيه أبى الفضل العباسعليه السلام فى ليلة عاشوراء: اذهب إلى هؤلاء القوم الجيش الأموى واستمهلهم؛ لعلنا نصلّى لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنى أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار، وقد بات أصحاب الإمام الحسينعليه السلام فى ليلة عاشوراء ولهم دويّ كدويّ النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد؟

أما الإمام موسى الكاظمعليه السلام فقد كان يقول فى سجن هارون العباسى: «اللهم إنك تعلم أنى كنت أسألك أن تفرّغنى لعبادتك اللهم وقد فعلتَ، فلك الحمد» وكانت لهعليه السلام سجدة من بعد طلوع الشمس حتى الظهر، الى غير ذلك مما نقلته النصوص التاريخية عن عبادة الأنبياء والأئمة والصالحينعليهم السلام.

نعم! هناك عبادة بالمعنى الأعم، فكل شىء ينتهى إلى الله تعالى، فهو عبادة، ولكن ما سردناه من عبادة الأئمةعليهم السلام وجدّهم

رسول اللهعليه السلام يدلّ على أن هناك أيضاً عبادة بالمعنى الأخص، وقد كان لها موقع مهمّ فى حياتهمعليهم السلام.
فلا يصحّ؛ والحال هذه أن يفكّر أحدٌ منا أن العبادة بالمعنى الأعمّ تغنى عن العبادة بالمعنى الأخصّ، فإن ذلك يتناقض وسيرة أهل البيتعليهم السلام، كما تقدم.

صلاة الليل عبادة متميّزة

لا شك أن صلاة الليل تمثّل مظهراً متميزاً من مظاهر العبادة بالمعنى الأخص وهذا فيما يبدو هو الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل؛ ولذلك نجد الإمام أمير المؤمنينعليه السلام عندما يُسأل عن العبودية يقول: العبودية خمسة أشياء؛ وعدّ منها قيام الليل.

معطيات صلاة الليل

قبل أن نبيّن بعض معطيات صلاة الليل نشير إلى قضية الارتباط والعلاقة بين الأشياء، إذ قد ذكرت فى الروايات الشريفة، ارتباطات بين الاشياء ربما تبدو غير مفهومة للكثيرين فكيف نوجّه هذه الارتباطات؟
يمكن ذكر توجيهين فى هذا الصدد:
التوجيه الأول: أن هذه الروايات تعبّر عن وجود علاقات حقيقية تكوينية عقلية بين الأشياء، ولكنها علاقات خفيّة لم يكشف الغطاء عنها حتى الآن، ولعل العلم سيتوصّل إليها بعد حين، لاسيما وأننا نعرف بأن آفاق العلم فى توسّع مستمر، وقد ورد فى الأثر أن عهد الإمام الحجةعليه السلام سيشهد تكاملاً علمياً هو الأسمى على مرّ التاريخ.
التوجيه الثانى: أننا كبشر مقيّدون بنظام الارتباطات، فإذا أردنا تدفئة الغرفة مثلاً، لزمنا إشعال الموقد، تبعاً لنظام العلية والمعلولية، غير أن خالق هذا النظام ليس مقيّداً أو محكوماً به؛ فهو فوق هذا النظام، وإرادته هى الحاكمة عليه، ويشهد لما ذكرناه ما يصدر من بعض الأشخاص من الخوارق كما عرف عن الشيخ النخودكى فى مدينة مشهد فى قضايا كثيرة ومضمون أحدها: أن أحدهم قصده ليسأله علاجاً لزوجته المريضة فى طهران، فأعطاه شيئاً من الطعام وأمره بتناوله، مما أثار تعجبه لكونه زوج المريضة وليس هو المريض، فأمره الشيخ بتناوله، وحينما عاد إلى زوجته وجدها قد شفيت.
من هذه القضية وأمثالها قد نفهم عدم لزوم وجود ارتباط تكوينى بين الأشياء، اذ من الممكن أن يخلق الله تعالى النتائج بعد حصول بعض المقدمات وإن لم يكن بينها علاقة تكوينية أصلاً، وهذا بحث طويل نتركه الى محلّه.
وعلى كل حال فليس من الصحيح إنكار الارتباطات المذكورة فى الروايات الشريفة بين بعض الأمور وبعضها الآخر لمجرد الجهل بحقيقة الارتباط القائم فيما بينها.
أما معطيات صلاة الليل؛ فهى:
أولاً: إن صلاة الليل تثبت النور فى قلب العبد، وقد ورد عن النبى الأكرمعليه السلام أنه قال: «إن العبد إذا تخلّى بسيّده فى جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور فى قلبه».
ثانياً: إن صلاة الليل تورث الشرف. ففى الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام: «شرف المؤمن صلاته بالليل».
ثالثاً: إن صلاة الليل تستوجب رضوان الله سبحانه وتعالى، وهو أكبر ما يمكن أن يناله المؤمن، وقد قرن الإمام الرضاعليه السلام بين صلاة الليل ورضا الله تعالى، فقال: «قيام الليل رضا الرب».
رابعاً: إن صلاة الليل تورث صحة البدن، ففى الحديث عن أمير المؤمنينعليه السلام، أنه قال: «قيام الليل مصحّة للبدن».
خامساً: حسن الوجه، فقد ورد عن النبيعليه السلام أنه قال: «من كثرت صلاته فى الليل، حسُن وجهه بالنهار».
وقالعليه السلام: «ألا ترون أن المصلّين بالليل هم أحسن الناس وجوهاً؟ لأنهم خَلَوا بالليل لله فكساهم الله من نوره».

سادساً: إن من يصلى صلاة الليل يُكتب من الذاكرين، فقد قال رسول اللهعليه السلام: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضآ وصلّيا، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

سابعاً: غفران الذنوب، حيث جاء فى الحديث النبوى الشريف: «يقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدى قد تخلّى بى فى جوف الليل المظلم والباطلون لاهون والغافلون نيام، اشهدوا أنى غفرت له».

ثامناً: مباهاة الله، وبهذا الصدد قال رسول اللهعليه السلام: «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس فى عينيه ليرضى ربّه جلّ وعزّ بصلاة ليله، باهى الله تعالى به ملائكته فقال: أما ترون عبدى هذا قد قام من لذيذ مضجعه إلى صلاة لم أفرضها عليه، اشهدوا أنى قد غفرت له».

تاسعاً: أنها تورث بياض الوجه، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام: «صلاة الليل تبيّض الوجه».

عاشراً: إن صلاة الليل تطيّب الريح، فقد قال أبو عبد الله الصادقعليه السلام: «صلاة الليل تطيب الريح»، والظاهر أن المقصود الرائحة المادية، أما العلاقة فيما بين الأمرين فقد يكشفها التطوّر العلمى بعد حين.

الحادى عشر: أنها تجلب الرزق، فقد روى عن الإمام الرضاعليه السلام قوله: «إن الرجل ليكذب الكذب فيحرم بها رزقه، قيل: وكيف يحرم رزقه؟ قال: يحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم الرزق».

وعنهعليه السلام أيضاً أنه قال فى ضمن حديث ...: «ووُسّع عليه فى معيشته».

كما روى عن النبى الأكرمعليه السلام أنه قال إنها «بركة فى الرزق».

الثانى عشر: حسن الخلق، وهذا ما ذكره الإمام الصادقعليه السلام، فقال: «صلاة الليل تحسن الوجه وتحسن الخلق»....

ولعل من أسباب ذلك أن صلاة الليل تدفع المصلى إلى الخروج من العالم الضيق الذى نعيش فيه لينطلق ويعيش معادلات أخرى واسعة، فيكون كذاك الشاب الذى نقل عنه أنه خطب إبنة الملك، فاشترطت عليه أن يصلّى صلاة الليل أربعين ليلة، وبعد تمام الأربعين بعثت إليه تسأله عن السرّ وراء عدم تقدّمه لخطبتها، فأجاب أنه عشق ابنة الملك حينما كان قلبه فارغاً، ولكنه الآن بعد صلاة الليل قد امتلأ قلبه بحبّ آخر.

فحينما يحلّق الإنسان فى تلك العوالم، فإن نمط تفكيره وأسلوب كلامه وطريقة عيشه وتعامله مع الآخرين تتغير دون شك.

إن من يفكّر فى رضوان الله تعالى وفى الآخرة وفى الجنة والنار سوف لا يظلم أحداً ولا يتكبر على أحد، بل قد يتحوّل إلى ولىّ من أولياء الله الذين هم أكثر الناس تواضعاً، وسوف يترفع على المعادلات المادية الحقيرة.

الثالث عشر: قضاء الدين، فعن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال عن صلاة الليل بأنها تقضى الدين.

الرابع عشر: إزالة الهم، فعن الصادقعليه السلام: «وتذهب بالهم».

فإذا تعالى المرء عن تفاهات الدنيا وعاش ضمن معادلات الآخرة، زالت همومه الدنيوية.

الخامس عشر: جلاء البصر، كما ذكر ذلك الإمام الصادقعليه السلام حيث قال: «تجلو البصر».

السادس عشر: إن صلاة الليل تجعل البيت بيتاً نورانياً، فقد روى عن الصادقعليه السلام: «أن البيوت التى يصلَّى فيها بالليل بتلاوة القرآن ولعل الباء (فى قولهعليه السلام بتلاوة القرآن) هى باء المعية تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض».

السابع عشر: أنها سبب حبّ الملائكة، كما قال رسول اللهعليه السلام: «صلاة الليل مرضاة الرب وحب الملائكة».

الثامن عشر: أنها سبب «نور المعرفة».

التاسع عشر: أنها سبب «راحة الأبدان».

العشرون: انها عبادة يكرهها الشيطان ففى الحديث الشريف «.. وكراهية الشيطان».

الحادى والعشرون: أنها «سلاح على الأعداء».

الثانی والعشرون: أنها سبب «إجابة الدعاء».

الثالث والعشرون: أنها سبب «قبول الأعمال».

الرابع والعشرون: انها سبب إطالة العمر، إذ قال الإمام الرضاعليه السلام فی حدیث ذی تفاصیل: «ومدّ له فی عمره».

الخامس والعشرون: أنها تعطی الهیبة لمن یؤدّیها، قال أمیر المؤمنینعلیه السلام: «وضع الله تعالی خمسة أشیاء فی خمسة مواضع... والهیبة فی قیام اللیل».

وهناک حوالی خمس وعشرین فائدة أخری لصلاة اللیل مذکورة فی الکتب المفصلة.

(کلمة أخیرة)

تارة یضع الانسان خارطة مادیة متقنة للوصول الی أهدافه، إلا أن الذی ینبغی أن نعلمه أن هناک أشیاء أخری وراء الخرائط المادیة، وهی ما یمکن تسمیته بالتوفیق الالهی، ولعل صلاة اللیل من أقوی العوامل التی تمهّد للوصول إلی ذلک التوفیق.

لقد شهد التاریخ نماذج من الشخصیات ارتقوا مقاماً سامیاً بسبب التوفیق الالهی، منهم المقدس الأردبیلی، ?کما شهد نماذج مقابلة کأحد أصدقائه الذی کان ینشغل حتی الصباح بالکتابة والمطالعة دون أن یهتمّ بما کان یقوم به المقدّس الأردبیلی من الصلاة والعبادة، إلّا أنه لم یبلغ ما بلغه المقدس الأردبیلی من المقام والفهم والمنزلة الرفیعة.

وکذلک الأمر بالنسبة لصاحب (حاشیة المنطق) الملاـ عبد الله الذی ذکروا عنه کرامات وقد احتلّ کتابه هذا الموقع المتمیز فی الحوزات العلمیة بینما هناک شخص آخر کتب کتاباً فی المنطق وکانت الحسابات المادیة قد استولت علی فکره، وقد نقل أنه کان یغمض عینیه لدی الأذان ویذکر الله تعالی ویقول:

«ان الله تعالی یقول?: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِکْرِی ?وقد ذکرت الله»

ثم کان یعود إلی التألیف دون أن یؤدی الصلاة المفروضة، ولکن لم یبق أثر لکتابه، بینما حاشیة الملا عبد الله جُعلت فیها البرکة ونال صاحبها التوفیق.

وقد نقل أحد رجال الدین أنه قرّر ختم القرآن الکریم وإهداء ثواب ذلک للإمام الرضاعلیه السلام، فی شهر رمضان المبارک، ولکنه ما ان قرأ خمسة عشر جزءاً فی النصف الأول من الشهر حتی توالت علیه المشاغل، فأعاقته عن إتمام القراءة، وحینما أنجز مشاغله وجد نفسه فی أخریات شهر رمضان المبارک، فعزم علی الذهاب إلی مرقد الإمام الرضاعلیه السلام لیقدّم اعتذاره عن إتمام الختمة.

ولکنه فی طریقه إلی الحرم الطاهر مرّ علی أحد العلماء، فقصّ علیه قصة مجیء العلامة الأمینی إلی مدینة مشهد لیبقی عند مرقد الإمام الرضاعلیه السلام ولیصلّی کل لیلة من لیالی شهر رمضان ألف رکعة، وبتمام شهر رمضان کان قد أتمّ ثلاثین ألف رکعة أهداها للإمام الرضاعلیه السلام، فخرج رجل الدین وقد اعتراه الخجل لموقفه فأکمل ما فاته من ختم القرآن الکریم فی اللیالی الأربع الأخیرة من شهر رمضان.

وعلی کل حال: فلعلّ هذا التوجه والانقطاع کانا من اسباب توفیق العلامة الامینی ?لکتابة موسوعة «الغدیر».

والخلاصة: أنه ینبغی لنا أن نعلم بأن وراء المعادلات المادیة معادلات معنویة، وأن صلاة اللیل إحدی العوامل المهمة فی صناعة المعادلات المعنویة.

وقد کان بعض العلماء یحرّض الإخوة المؤمنین أن یصلّوا علی الأقلّ الرکعات الثلاث الأخیرة أو الرکعة الاخیرة منها (الوتر) من صلاة اللیل، ومن المعلوم أن ذلک لا یکلّف سوی دقائق معدودة.

نسأل الله سبحانه وتعالی أن لایحرمنا من التوفیق لقیام اللیل ونیل البرکات التی تحصل من أداء هذه العبادة العظیمة.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

المراتب المعنویة

المراتب المعنوية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

ينقسم بحثنا الذى سنتعرض له بعون الله تعالى إلى قسمين، يدور الأوّل منهما حول المعنوية والتوجّه المعنوى، بينما نتناول فى القسم الثانى من البحث قضية تحويل القوة المعنوية إلى قوة مادية.

المراتب المعنوية

أمّا البحث الأوّل، فالمعنوية حقيقة مشككة حسب اصطلاح العلماء أى ذات مراتب، وينبغى علينا السعى لبلوغ هذه المراتب بقدر الإمكان.

المرتبة الأولى من المراتب المعنوية هى فعل الواجبات وترك المحرمات، وهى مرتبة مهمة جداً، وإن كان بلوغها أمراً صعباً.

لقد توجّه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بالسؤال إلى رسول اللهعليه السلام عن أفضل الأعمال فى شهر رمضان، فأجابعليه السلام: «الورع عن محارم الله».

وتنبع صعوبة الورع من أنّ كثيراً من المحرمات متشابكة مع حياة الإنسان، كالغيبة مثلاً، فإنّ احتمال سماعها يواجه المرء أينما ذهب.

فعدم الاغتياب وعدم الاستماع إلى الغيبة طيلة عمر بأكمله ليس بالأمر الهيّن بل يتطلّب عزيمة قوية، وهكذا الحال مع كثير من المحرّمات.

وعلى كلّ فترك المحرمات ومثله الإتيان بالواجبات أمر عظيم، وهو يمثّل المرتبة الأولى من المراتب المعنوية.

أمّا المرتبة الثانية فهى فعل المستحبات والفضائل، وترك المكروهات والرذائل إضافة إلى فعل الواجبات وترك المحرمات.

يُنقل أنّ المحدّث القمى ?مؤلف كتاب «مفاتيح الجنان» قد عمل بكل ما ورد فى كتابه.

كما يُنقل أن السيد عبد الهادى الشيرازيرحمة الله عليه سئل عن الميرزا مهدى الشيرازيرحمة الله عليه فقال: «عشت معه خمساً وعشرين سنة أو نحو ذلك فلم أرَ منه مكروهاً قط».

وعندما سُئل الميرزا مهدى عن السيد عبد الهادى أجاب بمثل ذلك.

وهذا يدلّ على الروح المعنوية العالية التى كان هذان المرجعان الكبيران يتمتعان بها.

إن أحدنا قد يرتكب فى اليوم الواحد عشرين ذنباً أو أكثر، فالغيبة ذنب، والاستماع إليها ذنب، والتهمة ذنب، والنظر إلى الأجنبية ذنب، وسوء الخُلق ببعض مراتبه ذنب، والتعامل مع الزوجة بغير المعروف ذنب، قال الله تعالى?: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.?

فلو أن أحداً استطاع أن يتجنب المحرمات ويأتى بالواجبات، وأن يتجنب مع ذلك ما أمكنه من المكروهات ويأتى بما وسعه من المستحبات، فقد بلغ مرتبة رفيعة وفاز فوزاً عظيماً.

لقد سخّر الله تعالى الجن والإنس والطير لسليمان (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) واستجاب دعاءه إذ قال?: رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِى ?فقال بعض رعيّته: «هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم».

ولا عجب فى ذلك فإن ملك سليمانعليه السلام زال ولم يبق منه شىء، أما قول: «سبحان الله» فباق على مرّ الدهور والأيام.

وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فإن تسبيحة واحدة أعظم من ملك سليمان حقاً. فلنستفد من أعمارنا الغالية إذاً، ولا نبيعها بالتافه، ولنستثمر كل فرصة من أجل كسب المزيد.

عندما كان السيد الوالدرحمة الله عليه يدخل المطبخ ويرى أشخاصاً مشغولين بالطبخ أو إعداد الطعام يبادرهم بالقول:

«لماذا تتركون أوقاتكم تذهب هدراً؟ استفيدوا من أوقاتكم واذكروا الله تعالى وصلوا على محمد وآل محمد، وأنتم مشغولون بعملكم؟»

وهذه هى المرتبة الثانية من المراتب المعنوية.

أما المرتبة الثالثة فصعبة جداً وبعيدة المنال، ولكن لا بأس بالتعرّف عليها لنعرف جانباً من مراتب أولياء الله تعالى.

تتمثّل المرتبة الثالثة من المراتب المعنوية فى ترك المباحات؛ فكيف يُتصور ذلك؟ وهل يمكن للمرء أن يترك المباح كالنوم والأكل والشرب والمشى مثلاً؟

نعم، هكذا كان أولياء الله تعالى الكبار، فإنهم كانوا يفعلون كل شىء من أجل الله سبحانه، وكما قال النبى الأكرمعليه السلام لأبى ذررحمة الله عليه: «يا أبا ذر ليكن لك فى كل شىء نية حتى فى النوم والأكل».

فلو نويت أن تفعل مباحاً من المباحات لئلاّ تقع فى الحرام، فإن عملك هذا يعدّ عبادة وتؤجر عليه، وإذا أردت أن تنام ليلاً وكانت نيّتك أنك تنام لكى تتقوى على العبادة، فإن نومك هذا سيحسب لك عبادة تثاب عليها.

يقول الله تعالى مخاطباً أنبياءهعليهم السلام?: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، ?وكأنه تعالى جعل أكل الطيبات مقدّمة للقيام بالأعمال الصالحة.

ونقرأ فى دعاء كميل: «حتى تكون أعمالى وأورادى كلها ورداً واحداً وحالى فى خدمتك سرمداً».

اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل

إن لدينا اليوم الطاقة والعمر، ولكنهما سينفدان يوماً ما، ولا نستطيع حينئذ أن نضيف حتى حسنة واحدة؛ «فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل»، فلنستثمر أعمارنا إذاً بكسب المزيد ولنحاول بلوغ المراتب المعنوية العالية بفعل المستحبات والمندوبات والتوجه إلى الله تعالى.

وهذه الحالة المعنوية كانت فيما مضى أقوى وأوسع نطاقاً، لكنها ضعفت اليوم، ولم نعُد نسمع تلك التضرّعات والأدعية المنطلقة فى جوف الليل بذلك المقدار!

لم يكن آباؤنا الأبرار يتركون صلاة الليل حتى فى الليالى الباردة، وقد كان بعض أهالى كربلاء المقدسة مثلاً يخرجون قبل أذان الفجر لأداء صلاة الليل فى جوار سيد الشهداءعليه السلام وعند باب صحنه المبارك قبل أن تُفتح الأبواب، لا تثنيهم حرارة ولا برودة ولا فراش وثير.

آثار الحالة المعنوية

وكان لتلك الحالات الروحية والمعنوية آثار كبيرة، فللمعنويات آثار دنيوية وأخروية وروحية ونفسية وبدنية ومادية، ومن تلك الآثار أنّ الله تعالى قد يجعل مقاليد الكون بيد المتحلى بها، ففى الرواية: «يابن آدم أنا أقول للشىء كن فيكون أطعنى فيما أمرتك أجعلك تقول للشىء كن فيكون».

ينقل آية الله الكوكبى وهو من كبار علماء الحوزة العلمية بقم المقدسة بعض الحالات المعنوية التى امتاز بها والده، ?وكذلك بعض الآثارلاحظها نتيجة لذلك؛ يقول:

«لم يكن والدى يأكل من أىّ طعام فيه شبهة، ولو دُعى لضيافة ولم تحصل له الطمأنينة بحلية الطعام المقدم يأخذ معه قليلاً من الخبز يلفّه فى قطعة قماش نظيفة يكتفى به أو مع قليل من الإدام، ولا يتذوق من ذلك الطعام المشبوه».

أما عن آثار ذلك فيقول السيد الكوكبى أيضاً:

«كنت أيام طفولتى أفكر فى أمر والدى ولِم لا يتناول من كل طعام يُقدم له حتى كنت معه فى سفر، وعندما حان وقت الأذان طلب والدى من سائق السيارة أن يتوقف لأداء الصلاة المفروضة لكن السائق لم يعتنِ وواصل سيره، ثم بلغنا موضع ماء آخر، وكرر والدى الطلب ولم يلتفت السائق أيضاً، حتى بلغنا موضعاً لم يكن بعده ماء إذا تجاوزناه، وهنا أصرّ والدى على السائق، ولم ينفع الكلام معه أيضاً، واستمر فى سيره ولكن لاحظنا فجأة أن السيارة توقفت عن المسير، فنزل والدى ونزلنا وصلّينا ولم تتحرك السيارة إلا بعد أن أتم والدى صلاته وعاد وركبها».

وهكذا كان أولياء الله تعالى الكبار حيث إنه سبحانه كان يُسخِّر لهم الكون.

ونقل السيد الكوكبى قضية أخرى عن والده تبيّن آثار الحالة المعنوية التى كان عليها؛ ?يقول:

«بعد بضع سنوات من وفاة والدى قمنا بنقل جثمانه إلى العراق ليُدفن عند العتبات الطاهرات، وعندما كُشف عن الجنازة على الحدود كان المرحوم وكأنه نائم وليس ميتاً إذ لم يظهر عليه أىّ تغيير، فقد كان جسده غضاً طرياً، وتعجب مأمور الجمارك وقال لنا: إن جوازه يقول إنه متوفى منذ أربع سنين ولكن يبدو أنه قد مات منذ قليل».

فهذا جانب من الحالات المعنوية وآثارها فى الحياة الدنيا.

تحويل الحالة المعنوية إلى قوة مادية

أما الموضوع الثانى أى تحويل القوة المعنوية الموجودة فى مجتمعنا إلى قوة مادية؛ فلنقدم له بمثال يذكره علماء الاقتصاد فإنهم يقولون: إن البناء الذى نراه اليوم قائماً على قواعده كان فى يوم من الأيام قوة معنوية فى عضلات العمّال الذين قاموا بتحويلها إلى هذا البناء المشيد.

فهذا البناء هو نفسه تلك الطاقة، لكنها أصبحت اليوم متجسدة، ولو أن العمال لم يعملوا لبقيت الطاقة فى حالة القوة ولم تصل إلى مرحلة الفعلية.

وكذلك الحال مع المجتمع، ففى مجتمعنا الإسلامى طاقات معنوية هائلة مع اختلاف فى المراتب طبعاً.

هل سمعت قصة عمرو بن الجموح الصحابى الأعرج الذى كان عازماً على الجهاد رغم أنه مرفوع عنه كما هو واضح فى الكتب الفقهية ومع ذلك روى أنه:

«لما كان يوم أحد وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبيعليه السلام المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا أنت رجل أعرج ولا حرج عليك وقد ذهب بنوك مع النبيعليه السلام. قال: «بخ يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته: كأنى أنظر إليه مولّياً قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا ـ تردنى إلى أهلى، فخرج ولحقه بعض قومه يكلّمونه فى القعود فأبى، وجاء إلى رسول اللهعليه السلام فقال: يا رسول الله إن قومى يريدون أن يحبسونى هذا الوجه والخروج معك، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة، فقال له: أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك فأبى، فقال النبيعليه السلام لقومه وبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلّوا عنه فقُتل يومئذ شهيداً».

فأية طاقة معنوية هذه التى تدفع بصاحبها إلى الشهادة؟! إن هذه الطاقة موجودة فينا ولكن بدرجات متفاوتة، ولو استطعنا أن نحوّل هذه القوة المعنوية إلى قوة مادية لاستطعنا أن نحقق الكثير.

نقل السيد العم حفظه الله تعالى أن رجلاً لا يملك شيئاً من متاع الدنيا يُعتدّ به، وفّق لبناء ثمانين مسجداً؛ كيف؟

كان هذا الرجل أينما يذهب يلاحظ هل تحتاج المنطقة إلى مسجد أو لا، فإذا تبيّن له الاحتياج يبدأ بذكر ذلك لكل مَن يقابله سواء كان يعرفه أم لا،وسواء كان فى السيارة أو الطائرة، أو العرس أو المأتم، أو ضيافة يُدعى إليها، أو مجلس عام أو خاص، لا فرق...

كان يقول لجليسه إن المنطقة الفلانية ليس فيها مسجد، فهلّا شاركت فى بنائه؟ فكان يتّفق أن يكون من بين مَن يذكر لهم ذلك مَن لديه القدرة المادية والدافع الدينى فكان يصغى إليه ويستجيب له، وربما أصغى له واحد من بين العشرات وربما المئات الذين يفاتحهم بالأمر، ولبى طلبه، فتبرع ببناء المسجد فى المنطقة التى أخبر بافتقارها له، أو شارك فى ذلك.

ولقد نجح هذا الشخص فى بناء ثمانين مسجداً بهذه الطريقة، وكثير من المساجد التى تقع فى طريق طهران مشهد، وطهران خوزستان بُنيت بجهود هذا الرجل!

أفلا يكون هذا الرجل حجة علينا يوم القيامة؟

بماذا نعتذر إلى الله تعالى؟ هل نقول إننا لم نملك المال الكافى لكى نبنى مسجداً؟ ألا يقال فى جوابنا إن هذا الرجل بنى ثمانين مسجداً مع أنه كان رجلاً عادياً ولم يكن شخصية اجتماعية بارزة ولم يكن يملك أية قوة، سوى همّه وهمّته فى هذا الطريق؟ أفتبقى لنا حجة بعد ذلك؟

إذن كل منا يستطيع بإذن الله تعالى أن يقدم خدمةً حتى الشاب ذى الخمسة عشر ربيعاً لكن الأمر بحاجة إلى همة وعزيمة وتوكل على الله سبحانه، والناس مستعدون، لأن مَن هم على استعداد لتقديم دمائهم فى سبيل الله تعالى أيبخلون ويقصّرون فى دعمك لبناء مسجد مثلاً؟!

إن استطعت أن تبنى مسجدا فافعل، وإن استطعت أن تنشر كتاباً فبادر أيضاً فهو عمل عظيم وهو من الباقيات الصالحات، وكم له من الأثر.

ينقل أحد الإخوة المؤمنين أن رجلاً سورياً كانت له امرأة فلسطينية تكره الشيعة وترفض أن يحدثها زوجها عنهم وتأبى أن تقرأ كتبهم أو الكتب التى تتحدث عنهم، حتى كانت إحدى الليالى حين أتى الزوج بكتيّب ليصفّ حروفه على الكومبيوتر ولكنه لم يستطع لعارض ألمّ به، فطلب من زوجته أن تصفّه بدلاً عنه إن استطاعت ثم أخلد إلى النوم.

وكان الكتيّب يدور حول عاشوراء وما جرى فيها، وقد شرعت المرأة بإنجاز العمل باعتباره شغلاً يتقاضون عليه أجراً.

وفى الصباح فوجئ الزوج عندما رأى عينى زوجته محمرتين، وعندما سألها عن ذلك تبين له أن زوجته كانت منذ أول الليل حتى الصباح تطالع قضايا عاشوراء وهى تطبعها وتبكى.

حقاً إن قضايا عاشوراء مشجية جداً، إنها مشجية لنا نحن الذين سمعناها منذ الصغر فكيف بالنسبة للآخرين؟! قالت الزوجة:

«لم أكن أعلم بكلّ هذا الظلم الذى لَحِق بأهل البيتعليهم السلام، وإننى قد تشيعت على أثر قراءتى لهذا الكتيّب».

هكذا يفعل كتيب صغير إذا وجد الأرضية المناسبة.

فلنشمّر عن سواعد الجد ولنسعَ فى تأليف الكتب وطبعها ونشرها، ولنسعَ فى سائر الأعمال الخيرية فإنها ذخيرة لآخرتنا ووسيلتنا التى نرجو بها شفاعة نبينا وأئمتنا وسيدتنا الصديقة الكبرى سلام الله عليهم أجمعين.

ولنصمم على تحويل القوة المعنوية العظمى التى تتوفر فى أمّتنا إلى قوة مادية فى طريق خدمة الإسلام والتشيع وأهل البيتعليهم السلام.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الآخرة خير و ابقى

الآخرة خير و ابقى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.?

مقدمة

ثراء النص القرآنى

هناك ظاهرة فى كتاب الله التدوينى (القرآن الكريم) جديرة بالبحث والتأمّل، كما هى كذلك فى كتابه التكوينى جلّ وعلا، ألا وهى ظاهرة اختزال معان كثيرة فى كلمات قليلة.

هل اتفق لك أن بلغت ينبوع ماء صغير فى صحراء واسعة، تراه صغيراً فى ظاهره، ولكن عندما تبحث وتنقّب قد تجد تحته بحراً عظيماً من الماء؟!

هكذا هى كلمات الله فى القرآن الكريم، تنطوى على بحور من المعارف والحقائق.

وهذه الآية الكريمة التى تصدرت البحث لا تزيد على بضع كلمات ولكنها تبيّن طبيعة هذه الدنيا كلها وطبيعة النشأة الآخرة، وتُجرى مقارنة دقيقة بينهما.

۱. الآخرة أبقى من الدنيا

من الفروق الرئيسية التى ذكرتها الآية الكريمة بين الدنيا والآخرة أن الآخرة أبقى من الدنيا، وهنا لابد من بيان أن الحقائق على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الحقائق المحدودة: ككل الأمور المادية، فالدار محدودة بجدرانها، والبلدان محدودة بجيرانها، وهكذا.

النوع الثانى: الحقائق اللامتناهية بقول مطلق، ومثالها معلومات الله تعالى.

لقد خمّن العلماء أن معلوماتنا نحن البشر لو جُمعت من بداية حياتنا إلى نهايتها فإنها تبلغ تسعين مليون مجلداً لكل فرد منا، أما الله تعالى فليس لعلمه حد؛ لأنه تعالى غير محدود، وعلمه عين ذاته، فعلمه غير محدود أيضاً.

النوع الثالث: الحقائق اللامتناهية على نحو اللاتناهى اللايقفى، ومثالها الدار الآخرة.

الفرق بين النوعين الأخيرين أن النوع الثالث محدود بالفعل ولكنه غير محدود بالقوة كالأعداد؛ فإنها وإن كانت بالفعل محدودة بالمعدودات الموجودة، ولكنها لا تقف عند حد معيّن فى التصوّر أما النوع الثانى فهو لامتناه بالفعل.

والآخرة من النوع الثالث، فهى باقية ما شاء الله سبحانه.

لقد روى عن النبيعليه السلام أنه قال: «وإنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء».

إن عدد السنين التى سنبقى فيها فى الآخرة غير متناه كما أن العدد نفسه غير متناه أيضاً، فإذا استطعت أن تقف بالعدد عند حد، فقف عند ذلك على سنى الآخرة، إذن نحن باقون فى الآخرة بإبقاء الله سبحانه لنا، أما الله سبحانه فهو باق بذاته.

مهما ذهب بك الخيال ومهما استطعت أن تضع أصفاراً فى يمين عدد ما، فإن الأمر لا يتوقف عند حد، بل يمكن أن تضيف أيضاً، وكذلك حال البقاء فى الآخرة. أما الدنيا فمحدودة ولابد من يوم نرحل منها جميعاً، بل ما أسرع أن يرحل أحدنا منها!

كان السيد الوالد ?إذا شاهد إعلاناً بوفاة أحد، يقول: «سيأتى يوم يرى الآخرون صورنا فى إعلان كهذا».

وهكذا ينتهى كل شىء، لتبدأ مسيرة الآخرة.

۲. الآخرة خير من الدنيا

الميزة الأخرى للآخرة أنها خير من الدنيا. ولكى تتضح الفكرة نأتى بمثال:

إن من الشهوات القوية عند الإنسان فى هذه الحياة شهوة الملك والحكم، حتى لقد عُدّت إحدى العوامل المهمة فى حركة التاريخ البشرى؛ فهى التى كانت وراء كثير من الحروب التى ربما غيّرت وجه التاريخ. هاهنا نسأل: ما هو أقصى ما يمكن لشخص أن يحققه فى هذا المجال؟ إنه بلا شك لا يتعدى حكم الكرة الأرضية، وهل هى بالقياس إلى هذا الكون المترامى إلا كذرة أو دونها؟!

هذا عن مساحة الحكم، فما هى أقصى المدة الزمنية التى يمكن لإنسان أن يحكم فيها إن استطاع؟ لا شك أن ذلك أيضاً لا يتجاوز بضعة عقود، لا تشكل شيئاً من عمر الدنيا فكيف بالآخرة! ناهيك عما سيتخلل هذا الحكم من منغصات ومكدرات ومحن وهزائم وقلق دائم خوف الزوال والانتقال إلى الغير! ولذلك ورد فى المأثور أن الرئاسة أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها عذاب يوم القيامة.

هذا حال ملك الدنيا، فتعال الآن لنسمع عن ملك الآخرة، يقول الله تعالى?: وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا.?

ولكى يتضح لنا الفرق أكثر يكفى أن نعرف أن الله تعالى عبّر عن الدنيا ونعيمها بقوله سبحانه?: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ.?

ولقد روى ما مضمونه أن جبرئيلعليه السلام طلب من الله تعالى أن يريه أبعاد الجنة، فقال الله له: طر، فطار جبرئيل فوق الجنة واستمر يطير ثلاثين ألف عام، فضعف عن الطيران، وطلب من الله المدد، وأتاه المدد الإلهى فطار ثلاثين ألف أخرى، وتعب فطلب المدد وأتاه، وهكذا حتى ثلاثين ألف مرة، فى كل منها يطير ثلاثين ألف عام (أى ما مجموعه تسعمئة مليون عام)، وبعد كل هذه المدة الطويلة إذا بحورية تخاطبه: إنك منذ بدأت بالطيران وحتى الآن لازلت تطير فوق جنتى! فعجب جبرئيل منها وسألها: ومن تكونين؟ فأجابت: حورية أعدّنى الله تعالى لمؤمن واحد من المؤمنين!

فهل يعد ملك الدنيا بعد هذا شيئاً إذا ما قيس إلى هذا الملك وما فيه من الخدم والحشم والحوريات التى لو أشرفت إحداهن على أهل الدنيا لماتوا بأجمعهم من رؤية جمالها! فكيف إذن بالمؤمنات ومقامهن أعلى من الحور العين؟! وهن المقصودات من قوله تعالى: ?فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ.?

كما أنه ليس فى ملك الجنة كدر ولا قلق ولا خوف من زوال النعمة.

أفلا تكون نعم الدنيا بالنسبة إلى نعم الآخرة بعد هذا كقطرة بالنسبة إلى بحر أو أقلّ؟!

وإذا كان الأمر كذلك، أفليس الخاسر الحقيقى من يخسر الآخرة؟

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.?

أرأيتم ماذا فعل صدام من أجل حوالى ثلاثة عقود من الحكم والرئاسة؟ وكم سيأخذ معه من أهليه ومن تبعه إلى نار جهنم؟!

أجل هذه هى الخسارة التى ما بعدها خسارة.

وأعظم من كل النعم فى الآخرة شعور المؤمن برضا الله تعالى عنه، ترى كم سيسرّ أحدنا إذا علم أن أباه راض عنه، فكيف سيكون الإحساس برضا الله تعالى؟!

وفى قضية معروفة لا مجال لذكرها الآن، قال الإمام الحجةعليه السلام لأحد علمائنا وهو طه نجف: ?أنت مرضىّ عندنا.

ففى يوم القيامة يشعر المؤمنون بلذة رضوان الله وهى لذة تفوق كل لذة وكل ما سواها من نعم الجنة؛ يقول الله تعالى?: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وقد روى عن الإمام على بن الحسينعليه السلام قال: «إذا صار أهل الجنة فى الجنة ودخل ولىّ الله إلى جنانه ومساكنه واتكأ كل مؤمن منهم على أريكته وحفّته خدامه وتهدّلت عليه الثمار وتفجّرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابى وصففت له النمارق وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك.. وخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله... ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائى وأهل طاعتى وسكان جنتى فى جوارى! ألا هل أنبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربنا

وأى شىء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذت أعيننا من النعم فى جوار الكريم. قال: فيعود عليهم بالقول. فيقولون: ربنا نعم فأتنا بخير مما نحن فيه. فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاى عنكم ومحبتى لكم خير وأعظم مما أنتم فيه، قال: فيقولون: نعم يا ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا».

وقد نقل السيد الوالد عن السيد الميلانى أنه نقل عن أستاذه الشيخ مرتضى الطالقانى أنه فتح عينيه وهو فى حالة الاحتضار (وهذه من نعم الله حيث يعود المحتضر إلى وعيه قبل أن يفارق الحياة، لعله يوصى بوصية أو يستغفر الله تعالى فى اللحظات الأخيرة من عمره) وقال لمن حوله:

«لو علم المؤمن ما أعدّه الله تعالى له فى الآخرة لما عوّض نصف ساعة من الآخرة بكل الدنيا».

ثم أغمض عينيه وتوفى.?

تركيز القرآن على موضوع الآخرة والعيش فى أجوائها

من الأمور المثيرة للعجب أنّا عندما نطالع التوراة المتداولة اليوم نرى غلبة الطابع المادى عليها ولا نرى ذكراً للآخرة على ما نقل إلا فى آية واحدة تشير إلى الموت والحياة وأن الرب يحيى ويميت!

وفى الإنجيل المتداول فعلياً هنالك ذكر للآخرة إلا أنه قليل.

أما القرآن الكريم فإن الطابع العام فيه هو تذكير المؤمنين بالآخرة، ونقلهم للعيش فى أجوائها، حتى نقل عن بعض الأعلام أن ثلثى آيات القرآن تدور حول الآخرة، أى أكثر من ألفى آية.

أما كيف نعيش أجواء الآخرة، فإن ذلك يتحقق من خلال أمور، منها:

المواظبة على قراءة القرآن الكريم ولو بمعدل صفحة فى اليوم الواحد.

وكذلك مطالعة نهج البلاغة وأحاديث أهل البيتعليهم السلام، فهى الأخرى تنقل الفرد إلى عوالم الآخرة، قال ابن أبى الحديد المعتزلى عن إحدى خطب الإمام فى نهج البلاغة حول الآخرة:

«وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندى روعة وخوفاً وعظة وأثّرت فى قلبى وجيباً وفى أعضائى رعدة ولا تأمّلتها إلا وذكرت الموتى من أهلى وأقاربى وأرباب ودى وخيلت فى نفسى أنى أنا ذلك الشخص الذى وصفعليه السلام حاله».

ومن الأمور الأخرى التى تزيد من ارتباط الإنسان بالآخرة وتقلل من اهتمامه وتعلقه بالدنيا، تشييع الجنائز وزيارة القبور؛ فإن الإنسان عندما يذهب إلى المقابر ينتقل من عالم الجلبة والضوضاء إلى عالم السكون والهدوء ويبدأ يفكّر فى حال من سبقوه وكان فيهم من هو أعقل منه وأكبر وأعظم وأكثر دهاءً وحيلة، ومع ذلك لم تنفعه إمكاناته وصار رهين القبر!

ومما ينقل عن أحوال الجد ?أنه كان يذهب إلى المقابر ويدخل قبراً مفتوحاً ثم يضطجع ويتصور نفسه ميتاً، فيبدأ الطلب من الله ويقول?: رَبِّ ارْجِعُونِ ?لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، ?ثم يجيب نفسه بالقول: كلا لقد أعطيناك الفرص فضيعتها! ويظل يلحّ حتى يأتيه الخطاب: قد أرجعناك يا مهدى، قم واستأنف العمل.

ومن الأمور الأخرى النافعة فى مجال تذكّر الآخرة النظر إلى الدنيا على حقيقتها وأنها جسر وقنطرة للآخرة فقط، فإذا كنت تنوى الوصول إلى مكان ما وكان فى طريقك قنطرة لابد من عبورها، فهل ستفكّر فى لون القنطرة مثلاً، أم لا تفكر سوى فى اجتيازها بلوغاً للهدف المنشود؟ هكذا هو حال الدنيا بالنسبة للآخرة.

ومما يذكّر الإنسان بالآخرة مطالعة أحوال الصالحين والتائبين وكيف أعرضوا عن هذه الدنيا الفانية واتجهوا نحو الآخرة الباقية.

فإبراهيم بن أدهم مثلاً ترك الملك دفعة وهام بوجهه فى الصحراء، ولم يكن ذلك باستطاعته لولا أنه حقّر الدنيا وملكها فى نظره!

ويروى فى أحوال السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) أنه التقى حطاباً فقيراً، فحوّله فى قصة طويلة ملكاً، فقال الحطّاب: لم لا تصنع لنفسك مثل هذا؟ فأجابه السيد المسيحعليه السلام: شُغلنا عن ذلك بما هو أغلى!

عندما أثار موقف الحر بن يزيد الرياحى الشجاع والفريد من نوعه، عجب من شاهده، قال فى جوابه: إنى أخيّر نفسى بين الجنة والنار، ووالله ما كنت لأختار على الجنة شيئاً!

تخلى أحد ولاة بنى أمية عن الولاية وزهد فى الدنيا وتاب إلى الله تعالى، حتى أنه تخلى عن ثيابه، ليتطهّر من المال الحرام، وعندما دخل عليه أحد أصحابه حدّثه من وراء الباب، ولم يلبث قليلاً حتى مات!

عندما يعيش الإنسان أجواء الآخرة يتحوّل تحوّلاً عجيباً، ويترفّع عن سفاسف الدنيا ويسمو نحو آفاق الآخرة الرحيبة.

مسؤوليتنا ثقيلة فى هذا المجال

كان السيد الوالد ?يؤكّد على الخطباء الكرام أن لا ينسوا هذا الموضوع المهم أبداً، وأن يكون التذكير بالآخرة أحد خمس خطب يخطبونها، لأن التذكير بالآخرة هو الطريق الوحيد لتحريك الإنسان وتخليصه من الانشداد إلى الأرض.

إن الموعظة والتذكير بالآخرة كانا جزءاً ثابتاً من مادة المنبر فى السابق، وينبغى لهذه الحالة أن تعود، ليس من على المنابر المتعارفة وحدها، بل من خلال كل منبر إعلامى ممكن، وهذه الحاجة غدت اليوم أكثر ضرورة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالة الشباب المسلم المتأثر بالغرب لاسيما الذين يعيشون منهم فى بلاد الغرب، فكيف سيقاومون كل تلك الإغراءات؟ لا شك أنهم لا يستطيعون المقاومة إلا إذا كان عندهم إيمان حقيقى بالآخرة.

وعلى كل حال يجب أن نستثمر هذه الأعوام القليلة المتبقية من أعمارنا فى هذه الدنيا، والتى لا تشكل إلا جزءاً صغيراً ضئيلاً من أعمارنا الحقيقية، فما أقصر الفترة القصيرة التى نقضيها فى هذه الحياة، إذا ما قارناها بما لا نتذكره من الأعوام السابقة (فى عالم الذر)، وبالسنوات التى لا نهاية لها فى عالم الآخرة!

وما أقلّ ما نعمله من أجل حياتنا الحقيقية والخالدة!

لو أن شخصاً بنى ألف مسجد وحسينية مثلاً فسيكتشف يوم القيامة أن عمله كان قليلاً؛ لما سيرى من عظمة الدار الآخرة وأن الزاد المطلوب لها كثير كثير.

ومن هنا يقول الإمام أمير المؤمنينعليه السلام: «آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

إذن علينا أن لا نقنع بالقليل من أعمالنا، بل لابد من الاستزادة قبل أن يدركنا الأجل.

نقل أن الشيخ الكعبى ?جاء إلى المرحوم الجد وقال له:

«أحمل إليك رسالة وأعتذر إليك من نقلها. فقال له الجد: قل ما هى؟ قال: رأيت الإمام موسى بن جعفرعليه السلام فى عالم الرؤيا فقال لى: قل لمهدى فليستعد لسفر الآخرة».

فأخذ الجد يبكى ويقلب كفيه وهو يقول: كيف أقدم على الله ويداى خاليتان؟

لا مجاملة فى هذا الكلام، بل هو واقع يدركه أولياء الله تعالى. ألم يكتب الإمام امير المؤمنينعليه السلام على كفن سلمان - ?فيما روى عنه -: «وفدتُ على الكريم بغير زاد؟».

إننا مهما نفعل فهو قليل، وهناك سنفهم حقيقة هذا الأمر ونندم حيث لا ينفع الندم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينبهنا من نومة الغافلين.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التوبة، القرار الشجاع

التوبة، القرار الشجاع

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

الحديث عن التوبة حديث ذو موقع متميز فى علوم عديدة، فعلى الصعيد الفقهى، يذكر صاحب (العروة الوثقى ?)هذا الموضوع فى باب أحكام الأموات باعتبار أن التوبة من الواجبات الفورية، أما فى علم الكلام؛ فيشار إلى التوبة نظراً لارتباطها بنحو من الارتباط بالمعاد، كما تُبحث التوبة فى علم الأخلاق باعتباره علماً يتناول تعديل القوى؛ القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة العقلية، ولا شك أن مبحث التوبة يرتبط عادةً بقوتين من هذه القوى، هما القوة الغضبية والقوة الشهوية، كما أن لمبحث التوبة موقعاً فى علم النفس؛ إذ يبحث علماء النفس عن التأثيرات العظيمة للتوبة فى باطن النفس الإنسانية.

نعم! إن لمبحث التوبة موقعاً مميزاً فى علوم عديدة، كما إن فيه مباحث كثيرة، غير أننا نغض الطرف عن كل ذلك، ونكتفى بالتعرض إلى مبحثين مهمين:

المبحث الأول: مفهوم التوبة.

المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها.

المبحث الأول: مفهوم التوبة

أما بالنسبة إلى المبحث الأول، وهو مفهوم التوبة؛ فيمكن القول بأن التوبة تعنى العودة إلى الله تعالى بعد الابتعاد عنه سبحانه.

وهذا الابتعاد له أنواع وصور وأشكال.. منها: الابتعاد بمخالفة أوامر الوجوب، ومنها: الابتعاد بمخالفة نواهى التحريم، ومنها الابتعاد عن الله تعالى بفعل المكروهات وترك المستحبات، وغير ذلك من أنواع الابتعاد والانحراف.

ومنذ بدء خلقة الإنسان، كان هنالك موقفان بعد الابتعاد عن الله تبارك وتعالى.

الموقف الأول: اتخذه الشيطان الأكبر إبليس الرجيم، وهو موقف الإصرار على ممارسة الذنب.. إذ الله عزّ اسمه أمره بالسجود لآدمعليه السلام، فلم يسجد ولم يمتثل الأمر الربانى، ولازال إلى هذه اللحظة مصرّاً على معصيته وسيظل كذلك حتى يوم القيامة.

وقد نقل أن إبليس رجا أحد الأنبياء ذات مرّة أن يتوسط له عند الله ليتوب عليه فنقل النبى رجاء ابليس لله تعالى، فأوحى الله اليه بأن لا مانع لديه من قبول توبة إبليس بشرط أن يؤدى السجدة التى أمر بها من قبل، ولكن هذه المرّة على قبر آدمعليه السلام، لتكون السجدة تصديقاً لتوبته، ولكن الشيطان المصرّ على ارتكاب المعصية قال لهذا النبى:

«إننى لم أسجد لآدم حينما كان على قيد الحياة، فكيف أسجد له ميتاً؟! كلا، لن أسجد له».

أما الموقف الثانى؛ فهو موقف العودة إلى الله تعالى.

وهذا الموقف مثّله القطب الثانى فى القصة، وهو أبونا آدم على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، فهو كان قد عصى الله تعالى وغوى: ?وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى.?

أما نوع هذه المعصية، وهل أنها كانت معصية مطلقة، كما يقول بعض علماء العامة ومفسّريهم، أو كانت تركاً للاولى كما يقول آخرون، أو كانت مخالفةً لأمر إرشادى تترتب عليها آثار وضعية كما يقول فريق آخر، أو لم تكن اياً من هذه الانواع بل كانت امراً

رابعاً كما ذهب اليه السيد الوالد ?في كتاب العقائد وكتاب البيع وفى بعض الكتب الأخرى فذلك موكول الى محلّه.

وعلى أية حال؛ فإن أبانا آدمعليه السلام عاد إلى الله سبحانه وتعالى?: فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.?

فهذان موقفان كانا منذ بداية خلقة الإنسان، موقف إبليس وهو موقف الإصرار والعناد واللجاج، وموقف أبينا آدمعليه السلام وهو موقف العودة والإنابةوالاعتراف.

المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها

ان التوبة تتضمن قدراً من التضحية، ولا ريب أن التضحية أمر صعب، لاسيما إذا كانت تمسّ مصالح الإنسان الرئيسية، فالتجار لهم مصالح رئيسية، وكذلك العلماء والحكام ولعلّ أشقّ الأعمال على الإنسان هو التضحية بهذه المصالح الرئيسية.

ولكن المؤمن الحقيقى هو الذى يتحمّل المشقّة ويقبل بالخسارة العاجلة، ليتفادى التورّط فى الخسارة الآجلة الدائمة؛ فالتوبة فى هذه الحالة تعنى اتخاذ قرار شجاع يتضمن التضحية بمصالح الانسان.

ونمثل فى هذه العجالة لكيفية افتقار عملية التوبة للقرار الشجاع؛ قرار التضحية بالمصالح الرئيسية، ببعض الامثلة، ونبدأ بالتضحية بالمال التى هى عملية صعبة جداً بالنسبة الى الأثرياء والتجار، بل بالنسبة الى غالب البشر، ونذكر نموذجين متقابلين.

النموذج الأول: قال أحد الأصدقاء: قلت لتاجر أعرفه: لماذا لا تؤدى الحقوق الشرعية المتعلقة فى ذمّتك؟

فقال التاجر: إنك لا تفهم ماتقول!

قلت: بلى، أفهم وأعى ما أقول، إذ ان الله تعالى تفضل عليك وأنعم، وعليك أن تشكره على تفضله، فتدفع عشرين بالمائة منه لمستحقّيه!

قال: ألم أقل بأنك لاتفهم ما تقول! إننى إذا أردت دفع الحقوق الشرعية، وجب علىّ أن أدفع ملياراً كاملاً دفعة واحدة، وهذه الاموال خلاصة جهود عمرى وثمرة ما قمت به طيلة سنوات وسنوات!!

قلت: وأى ضرر فى ذلك؟ تدفع ملياراً، وتبقى لديك أربعة مليارات.

فعاد قائلاً: الم اقل لك انك لا تفهم ما تقول؟ انك لا تملك ما أملك ولذا لا تفهم معنى ان يدفع الانسان ملياراً من امواله دفعةً واحدة!!

النموذج الثانى: ينقل أن أحدهم كان له من الأراضى الكثير جداً، ولم يكن يبالى بماهو حلال أو حرام، ومضت على هذه الحالة سنوات، حتى أدركته رحمة من ربّه، فأخذ يفكّر بما سيكون جوابه فى القبر ويوم القيامة، فاتخذ فى لحظة واحدة القرار الشجاع، وتخلّى عن أملاكه وأراضيه، ولجأ إلى فلّاح متواضع مقترحاً عليه بأن يقبله عاملاً بسيطاً لديه مقابل أجر محدود، فقبل الفلّاح هذا الاقتراح بعد أن أصيب بالدهشة والذهول، وهكذا تحوّل الملّاك الكبير إلى عامل بسيط يعمل بين يدى الفلّاح، وقد قيل إن أحد أحفاد الملّاك التائب أصبح من كبار العلماء.

والحقيقة انه غالباً ما تمرّ الأفكار، أفكار مراجعة الذات فى خواطرنا وضمائرنا?: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ?ولكن بعض الأفراد يعيرونها الأهمية المطلوبة ويرتبون الاثر عليها، فيما البعض الآخر على العكس من ذلك، وقد ورد فى الحديث ما مضمونه أن الذنب يمر على المؤمن كصخرة على صدره تثقله؛ يريد التخلص منه، ولكن الكافر أو المنافق يمر عليه كما تمر الذبابة، فلعله ينزعج به بشكل موقت ثم ينتهى الأمر، وهذه طبيعة كل من المؤمن والكافر والمنافق، والفرق بينهم أن المؤمن يتخذ القرار الشجاع بالتوبة والعودة إلى ربّه، بينما الكافر والمنافق لا توجد عنه شجاعة اتخاذ القرار.

التضحية بالجاه فى سبيل التوبة

هناك نموذج آخر من نماذج المصلحة الحيوية، وهو المقام الاجتماعى، وقد روى أن «آخر مايخرج من قلوب الصديقين؛ حبّ الرئاسة» وقد تقتضى التوبة تنازل الفرد عن موقعه ومنزلته الاجتماعية فى بعض الاحيان.

قصة لا أعلم!!

ينقل عن الشيخ محمد حسين الإصفهانى، صاحب كتاب (نهاية الدراية) أنه قال:

كنا نتتلمذ على أحد الأساتذة، وكان معنا تلميذ قروى، وذات يوم أخبر هذا التلميذ بخبر غيبى يتعلق بالأستاذ الذى بلغه الخبر، ولما التقيا طلب الاستاذ من التلميذ أن يكشف له عن مصدر علمه بالخبر، وبعد تمنّع وإصرار، قال التلميذ القروى: ان لى قصة وهى ان أبى كان عالماً فى قريتنا، وكان يقوم بشؤون القرية الدينية، وحينما توفاه الله تعالى، جاءنى أهل القرية يطلبون منى أن أخلف أبى فى مقامه، فى حين كنت لا أفقه شيئاً من الأحكام الشرعية، ولكنهم ألحّوا علىّ حتى أجبرونى على القبول، فكنت أتولى شؤونهم الدينية بلا علم.

وبعد فترة أدركتنى يقظة الضمير، فجمعت أهل القرية وخطبت فيهم، وأعلمتهم بأننى كنت أفتيهم وأقوم بشؤونهم الدينية خطأً، لأننى لم أكن أعرف شيئاً، وعندما سمع أهالى القرية هذا الاعتراف وهم الذين كانوا يظنون بى التواضع بإعلانى عدم استحقاقى لخلافة أبى فى أول الأمر- انهالوا علىّ بالإهانة والضرب، ولا أعلم كيف استطعت إنقاذ نفسى من بين أيديهم، ووجدتنى أسير فى الصحراء على غير هدىً، وبعد ذلك أدركنى التعب، فجلست لأستريح، وأخذت أفكر بأن النجف الأشرف هى المكان الأفضل الذى ينبغى لى أن أتوجه إليها لدراسة العلوم الدينية.

فأخذت أسير باتجاه النجف، وفجأة رأيت رجلاً يتجه نحوى، وحينما وصلنى قال لى: إلى أين تذهب؟

قلت: إلى النجف!

قال: هل تحب أن أرافقك؟

قلت: نعم.. وترافقنا!

وبعد برهة رأيت نفسى فى مدينة النجف، وكأن الأرض طويت تحتى، إذ لم أشعر ببعد المسافة ولا التعب، وهذا الرجل يأتينى بين الفترة والأخرى ليخبرنى عن بعض الأمور والأخبار، ومنها هذا الخبر الغيبى الذى أخبرتك عنه بواسطة رفيق دربى.

ففكر الاستاذ أن هذا الرجل إما أن يكون ولياً من أولياء الله تعالى، وأما أنه هو الإمام الحجةعليه السلام.

فقال لتلميذه: هل يمكننى أن أزور رفيقك؟

فقال الطالب القروى فى نفسه: يبدو أن استاذى قد بلغ من التواضع درجة كبيرة، فتوجه إليه قائلاً- بكل براءة: لعله هو الذى يأتى لزيارتك.

ثم إن التلميذ ذهب وسأل رفيق دربه عن إمكانية اللقاء وزيارة الأستاذ له؟!

فقال له: ليس من حاجة فى أن يزورنا، فنحن نزوره اذا عرفنا فيه أهلية ذلك.

فنقل التلميذ هذه الكلمة لأستاذه، فوقعت منه موقعاً عظيماً اهتز لها وجوده ... إذ أدرك أنه غير مؤهل لرؤية الإمامعليه السلام...

نعم! إن ما بلغ بالتلميذ القروى الى ما بلغ هو صحوة ضميره واعترافه بواقعه وإعلان ذلك أمام مرأى ومسمع من الناس، فلم يخجل من قول كلمة «لا أعلم» كما ان كبار العلماء الابرار لم يكونوا يخجلون من قول هذه الكلمة حينما كانت تطرح عليهم مسألة لا يعلمونها، وكما لم تخجل الملائكة من قول «لا- نعلم» حيث قالوا لربهم العليم?: قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ?فلماذا نخجل نحن من قول كلمة قالتها الملائكة فى السموات العلى! فأن يبتلى الفرد بالإحراج أو حتى الطرد الاجتماعى، خير له من أن يبتلى بعذاب الله العزيز الجبار ... وأن يخسر الإنسان دنياه، فذلك أفضل من خسرانه لآخرته.

وقد ندد الإمام المعصومعليه السلام بمن يفتى الناس بغير علم، فقال: «لمثل هذا تمنع السماء قطرها!!».

شهر رجب، شهر الرحمة والتوبة

روى الإمام الصادقعليه السلام عن جده رسول اللهعليه السلام أنه قال: «شهر رجب؛ شهر الاستغفار لأمتى» فهذا الشهر فرصة سانحة لكل إنسان يريد، التوبة والعودة الى الله سبحانه وانتشال نفسه من حضيض الذنوب والعروج الى آفاق المعنويات الرحيبة.

وقد نقل فى احوال جدنا الامى أنه كان يعطّل كل أعماله الاعتيادية مدة ثلاثة اشهر وكان يقول: تسعة أشهر نجعلها للكسب والتجارة، وثلاثة أشهر نجعلها للآخرة، وكان له دكان قرب الحرم الحسينى فى كربلاء المقدسة، فكان يعطّله أو يوكّل نائباً عنه، ليقصد النجف الأشرف والكاظمية وسامراء المشرّفتين ليقضى الأشهر الثلاثة فى العبادة بمعناها الأخص ... وهى غير العبادة بالمعنى الأعم الذى يشمل جميع الأعمال الصالحة التى ينوى فيها الإنسان التقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، فالعبادة بالمعنى الأخص هى الصلاة والصيام والدعاء والتضرع والزيارة وماأشبه ذلك.

فالمؤمن مدعوّ فى هذا الشهر الكريم، كما هو مدعوّ فى شهر شعبان المعظم وشهر رمضان المبارك إلى جعلها أشهراً للعبادة بمعناها الأخص، ومن أفضل العبادة الخاصة فى هذه الأشهر هى التوبة والإكثار من الاستغفار ومحاولة التخلص من الذنوب نهائياً.

ومن جملة الأمور المؤكد استحبابها فى شهر رجب الذى تصبّ فيه الرحمة صبّاً على أمة رسول اللهعليه السلام، هو الإتيان بالعمرة الرجبية ذات الفضل الكبير والأجر الجزيل، وقد ذُكر فى كتب الفقه أنها تلى الحج فى الثواب.

كما أن لزيارة الإمام على بن موسى الرضا ?موقعاً مميزاً أيضاً.

أما الأدعية الخاصة بشهر رجب؛ فهى الغاية فى الروعة، حيث تحمل الداعى بها إلى أسمى الآفاق الإيمانية والمعنوية.

وقد ورد أن أحد الرواة، وهو محمد بن ذكوان الملقّب بالسجاد لكثرة سجوده الذى فقد فيه بصره، جاء إلى الإمام الصادقعليه السلام قائلاً: هذا رجب ... فعلّمنى دعاءً ينفعنى الله فيه، فقال له الإمامعليه السلام: اكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يامن أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر» ... الى آخر الدعاء.

وهناك دعاء آخر جاء فيه:

«خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلّا لك، وضاع الملمّون إلّا بك»....

وجاء فى دعاء آخر:

«يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين»....

إذن؛ فشهر رجب الأصبّ شهر ينبغى أن نجعله شهر التوبة والاستغفار والانابة الى الله سبحانه ما وسعنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتوبة ويكرمنا بالمغفرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التفكير العالمى

التفكير العالمى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

يدور موضوعنا حول التفكير العالمى، ونتناول هذا الموضوع فى فصلين:

الفصل الأوّل: اختلاف الأمم والأفراد فی مدی التفکیر.

الفصل الثانی: فی مظاهر التفکیر العالمی.

نمهّد لهما بمقدمة وهی:

تأثیر الفکر فی حیاة الإنسان

إنّ لمنحی التفکیر تأثیراً کبیراً فی حیاة البشر؛ وذلک لأنّ دور الفکر هو القیادة، وهذه القیادة لا ینحصر تأثیرها فی الاتّجاه العام لحیاة الإنسان فحسب، بل تتدخّل فی کل مفردة من مفردات حیاته، فإنّ کل جزئیة من جزئیات حیاة الفرد خاضعة لنمط تفکیره، منذ أن یفتح عینیه فی الصباح إلی أن یغمضهما فی اللیل. کان الوالد ?یقول:

«کان فی کربلاء رجلان کلاهما عربیان وینحدران معاً من قبیلة واحدة (وهما علی ما أتذکر حرملة بن کاهل الأسدی وحبیب بن مظاهر الأسدی) اختار الأوّل طریق النار وظلت تلاحقه اللعنات علی مدی التاریخ، فیما اختار الآخر طریق الجنّة وظلّ ملهماً للأجیال.

لو سألنا: لماذا أصبح حرملة هکذا؟ ولماذا صار حبیب حبیباً مع أنّ کلیهما عربیان ومن قبیلة واحدة؟ لکان الجواب: إنّ نمط التفکیر عند کل منهما یختلف عن الآخر».

والأمثلة علی ذلک کثیرة، فأبو ذر وأبو لهب کلاهما عاصر النبیعلیه السلام ورآه، ولکن أبا لهب نزلت سورة من القرآن الکریم فی ذمّه وذم زوجته ولا- تحضرنی سورة فی القرآن الکریم نزلت بکاملها فی ذم شخص آخر سواه أما أبو ذر فهو الذی قال عنه رسول اللهعلیه السلام: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء علی ذی لهجة أصدق من أبی ذر»، فذاک قاده تفکیره إلی تلک النهایة الشقیة، وهذا ساقه تفکیره إلی هذه العاقبة السعیدة.

إذن للفکر أهمیة کبری فی حیاة البشر، وهناک روایات کثیرة فی هذا المجال ذکر بعضها العلامة السید عبد الله شبّر فی کتابه «مصابیح الأنوار فی حل مشکلات الأخبار» وهو کتاب جیّد حری بالمطالعة.

المهم فی المقام هو أنّ الأفراد یختلفون فی أفکارهم وفی مدی التفکیر وحدوده، وهذا الاختلاف یؤثّر تأثیراً بیّناً فی کل خطوة من خطوات حیاة الفرد، وهو ما نتناوله فی الفصل الأوّل من هذا البحث.

الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر

الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر

یختلف الأفراد فی مدی تفکیرهم إلی أنواع؛ نذکر بعضها:

النوع الأوّل: ذوو التفکیر الشخصی أو الشخصانی إذا جاز التعبیر وهؤلاء تکون الذات هی المحور وهی المنطلق والغایة وهی الإطار والهدف فی تفکیرهم، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ هذا حال أغلب الناس مع الأسف.

هناک کلمة لأحد العلماء جدیرة بالتأمّل، یقول فیها:

«نحن البشر فی الغالب نتألم لوجع سن واحدة من أسناننا أکثر مما نتألم لموت ملیون فرد من أفراد البشر جوعاً مثلاً، مع أنّ الله سبحانه وتعالی قد کرّم بنی آدم»

فإنّ کثیراً من الناس لا یهدأ له بال إذا أصابه أدنی أذی فی بدنه، ولکنه لا یکترث ولا یحرّک ساکناً بل لا یشغل فکره الأمر فیما لو أُخبر أنّ فی أثیوبیا مثلاً عشرة ملایین إنسان مهدّدون بالموت جوعاً!

هذا النمط من التفکیر هو تفکیر أنانی، فصاحبه یحب للأنا ویبغض للأنا ویعمل للأنا، ولو بحثتم عن السبب والجوهر الحقیقی وراء کلّ

ما يعمل لوجدتم أنّ الأمر لا يعدو تجارة مادّية فقط. وهذا النوع كما قلنا يمثّل مع الأسف حال كثير من البشر إن لم يكن حال أكثر البشر.

النوع الثانى: أصحاب التفكير العائلى، فهؤلاء يترقّون درجة فيفكّرون فى حدود عائلاتهم، فكل ما يشغل فكر الفرد هنا زوجته وأولاده وأحفاده، فتفكيره عائلى فقط.

النوع الثالث: التفكير العشائرى وهو أرقى من النوع الأوّل بدرجة، لأنّ الفرد يفكّر فى عشيرته وأقاربه، ولكنه لا يفكّر أبعد من ذلك.

النوع الرابع: التفكير القومى، وهذا النوع من التفكير ينطلق من المصالح القومية، أى أنّ المصالح القومية هى التى تقود تفكير الإنسان وتشغل باله ويعمل من أجلها ويضرب ما يتعارض معها. وهذا أرقى من مسابقه لا شكّ.

النوع الخامس: التفكير الإقليمى أو القطرى، حيث يكون ملاك التفكير عند صاحبه هو البلد الذى يعيش فيه.

وهناك أنواع أخرى كالتفكير اللونى أو اللغوى وغيرهما.

النوع الأخير والأعلى: التفكير العالمى، وهو أن يكون تفكير الفرد على مستوى العالَم.

تأثير الفكر فى حركة الإنسان

لا شكّ أنّ كل نمط من هذه الأنماط كما نوّهنا إلى ذلك فى المقدمة يؤثّر فى كل جزئية من جزئيات حركة الإنسان وقراراته، حتى أنه يؤثر فى اختيار المسكن والمدفن والزواج والتجارة.

أى أنّ قضية نوع التفكير الذى يتبنّاه الإنسان ليست قضية تجريدية لا ربط لها بالواقع، بل هى مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً وتفصيلياً، فإنّ الفرديفكّرحدود الإقليم يرى أنّه لابدّ أن يسكن ذلك الإقليم، يعيش فيه ويموت فيه حتى لو تعرّضت حياته وكرامته للخطر والزوال، وكأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق إلّا تلك الرقعة الجغرافية الضيقة، وكأنّه لم يسمع قول الله عزّ وجلّ?: وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً.?

فمع أنّ الأرض كلها لله، لكنّنا نرى أصحاب التفكير الإقليمى يحصرون تفكيرهم ووجودهم فى الأرض التى وُلدوا فيها ويعتقدون أنّ عليهم البقاء فيها مهما كان الثمن، وقد يتّخذون قرارات خاطئة وفق هذا التفكير الخاطئ، وهذه بعض الأمثلة:

•لقد بعث السيد الوالد ?إلى عالِم من العلماء رسولاً أعرفه ذكر له أنّ بقاءه فى البلد الكذائى خطر عليه وأنّ المصلحة تكمن فى مغادرته لذلك البلد؛ لأنّ الحكّام سيمنعونه من ممارسة دوره ويقضون على حياته.

ولكن ذلك العالِم أصرّ على البقاء وقال فى جواب الرسول: إنّنى ينبغى أن أبقى فى هذا المكان مهما كلّف الأمر. وكانت العاقبة أن قُبض عليه بعد مدة قصيرة وقُتل.

•وأتذكّر أيضاً أنّ السيد الوالدرحمة الله عليه نصح عالِماً آخر جاء لزيارته بعدم العودة إلى البلد الذى جاء منه، ولم يقتنع ذلك العالِم وكأن منطقه كان: (لقد وُلدتُ فى ذلك البلد ويجب أن أبقى فيه مهما كان) وهذه هى النزعة الاستصحابية ولم تمضِ إلا فترة قصيرة على عودته حتى أُلقى القبض عليه واقتيد إلى غياهب السجون الخفية ولا يُعلم عنه أىّ خبر حتى اليوم حيث يمرّ على القضية سنوات طويلة.

تبيّن إذاً أنّ نمط التفكير ليس شأناً مجرّداً بل إنّه يؤثّر على كل القرارات التى يتّخذها الفرد من المسكن وحتى المدفن.

•نقل أحد الخطباء أنّه كان حاضراً عند السيد الوالد ?إذ جاءه أحد العلماء المتقين وقال:

«إنّه تعب من الأوضاع وإنّه يشعر بقرب أجله، فقال له الوالد: هاجر إلى بلاد الغرب، فتعجب الرجل وقال: أأذهب فى نهاية عمرى إلى الغرب فأموت هناك! فقال له الوالد:

موتك هنا لا يغيّر شيئاً ولكنك إذا متّ هناك فربما أصبح مثواك هناك وأنت العالِم المتّقى مركزاً للإشعاع الفكرى حيث يؤمّه

المتـدينون وربما تقرّب بعضـهم بك إلى الله لقضاء حوائجهم، أو جرت العادة على قراءة القرآن والأدعيـة عند مرقدك وأصـبح محلاًّ عبادياً»!

أرأيت كيف أنّ نوع التفكير ومداه وحدوده وإطاره تؤثّر كلها فى كل جزئية من جزئيات حياة الفرد حتى اختيار محلّ موته؟!

الفصل الثانى: مظاهر التفكير العالمى

الفصل الثانى: مظاهر التفكير العالمى

للتفكير العالمى مظاهر فى مختلف الحقول، فله مظاهر فى الحقل الاقتصادى، وفى الحقل السياسى، وفى الحقل التبليغى.

وحيث إنّنا فى الغالب حاملون لرايـة التبليغ، فإنّ حـديثنا يـدور فى مظاهر التفكير العالمى فى الحقل التبليغى، ذلك أنّ للتفكير العالمى تأثيراً فى نمط التبليغ وكيفيته وأسلوبه ورقعته وأبعاده.

إنّ الله تعالى لم يجعل الدين حكراً على بلد معيّن، لقد كانت البيئة التى نشأ الرسولعليه السـلام وترعرع فيها بيئة ضيّقة ومحدودة، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال مراجعة المعلّقات والقصائد الأخرى للعرب يومذاك، ولكن القرآن الكريم لغته لغة عالمية.

يقول الله تعالى?: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.?

ويقول فى آية ثانية?: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.?

وفى آية ثالثة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.?

وفى آية رابعة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ?وليس لبقعة خاصة.

ويقول فى آيات أخرى?: يَا أَيُّهَا النَّاسُ.?

هناك كتاب جمع «مكاتيب الرسولعليه السـلام» التى بعثها إلى ملوك العالَم فى وقته، فلقد بعثعليه السلام كتباً وسفراء إلى ملك الروم وكسـرى فارس وملك الحبشـة وعظيم القبط، والحارث بن أبى شـمر ملك تخوم الشام، وهوذة الحنفى ملك اليمامـة، وبعث كتباً إلى رؤساء العرب وشيوخ القبائل، وإلى الأساقفة وإلى مختلف الطوائف.

ولقد تأثّر بعض هؤلاء واسـتجاب، ومن أولئك أسقف الروم فإنّه بعدما قرأ كتاب النبيعليه السلام خرج إلى الكنيسة فى حشد وقال: «يا معشر الروم إنّه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا إلى الله، وإنّى أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله».

ومنهم فروة عامل قيصر بعمان فإنّه عندما جاءه كتاب النبيعليه السلام آمن وأعلن إيمانه، فطُلب فأُخذ وقُتل.

وكـذلك ملك البحرين المنـذر بن ساوا، فقـد قبل دعوة النبيعليه السـلام وأعلن إسـلامه، ولقـد أعلنت البحرين إسـلامها منـذ بـدايات أمرها.

وقصة النجاشى فى هذا المجال معروفة أيضاً.

وهذا يتطلب منّا أن لا نحصر اهتمامنا فى بلد أو إقليم أو قومية بل نكون عالَميين فى تفكيرنا التبليغى.

التشيّع فى الهند وتايلند والفلبين

•لقد انتقل التشيع إلى الهند وأُعلنت فيها الشهادة الثالثة بفضل جهود عالِمَين قدّما حياتهما ثمناً لذلك، هما: الملا عنايت الله الشيرازى والملا فتـح الله الشـيرازى، قتلهما (إبراهيم شاه) الحاكم الناصبى المتعصب فى الهنـد يومـذاك بعد أن علم بخبرهما وأنّهما غرسا بذور التشيع فى قلب ولده المسمى (على).

ولقد نُقل عن العلاّمة الأمينى ?أنّه قال بعد عودته من الهند:

«ليت لى أموالاً عظيمة أنفقها لطلاب العلوم الدينية لكى ينشروا الإسلام فى العالَم».

•أما فى تايلند فيعود الفضل فيه إلى رجل اسمه أحمد من أهالى مدينة قم المقدسة، وتعود قصته إلى ما قبل حوالى خمسة قرون، حيث إنه سافر إلى تايلند وتزوج فتاة تايلندية ثم بدأ نشاطاً اجتماعياً هناك حتى أصبح فى فترة من الفترات رئيساً للوزراء بفضل ما تحلّى به من حكمة وعقل ودراية، واستطاع أن ينشر الإسلام والتشيع فى البلاد، فبنى مساجد وحسينيات وأسس مشاريع حتى أنّ ما نجد اليوم من انتشار الإسلام والتشيع هناك مدين لجهود الشيخ أحمد القمى هذا، وله اليوم مرقد عظيم وقبة يزوره الناس ويتشفعون به إلى الله تعالى لقضاء حوائجهم، كما رأيت المشهد مصوّراً.

وهكذا أصبح الرجل ملجأ للمسلمين وربما قصده غير المسلمين أيضاً، بينما لو بقى تفكيره محصوراً فى مدينة «قم» لربما ضاع بين الآلاف أو الملايين الذين لم يقدّموا شيئاً ذا بال.

لا نقصد من هذا الكلام أن لا يبقى الإنسان فى مدينته أو قم المقدسة مثلاً، بل المقصود أن يكون تفكيره عالمياً.

•لقد نقل السيد الوالد ?أنّ مسلمى الفلبين هم الآخرون مدينون لجهود الشيخ عبد الله المكى الذى ذهب إليهم قبل مئات السنين ونشر بينهم الإسلام.

الخلاصة

يجب علينا أن نأخذ العِبَر والدروس من هؤلاء فى فكرهم الشمولى وأن يكون تفكيرنا كما أراده الله سبحانه وتعالى تفكيراً عالَمياً، ألسنا نقول فى كل يوم عدة مرات: «الحمد لله رب العالمين»، فربوبية الله عالَمية ورحمته للعالمين ورسالته كونية.

وفى الحديث الشريف: «مَن أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»، ولم يقل لم يهتم بأمور بلد معيّن أو قطر معيّن أو عشيرة معيّنة بل قالعليه السلام بأمور المسلمين كلهم.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتأثير فى مجرى التاريخ فيما بقى من أعمارنا، وهذا ممكن بإذن الله، إن كان تفكيرنا عالمياً، وعملنا عالمياً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اليأس من روح الله

اليأس من روح الله

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الحديث عن قضية اليأس من روح الله ينقسم إلى قسمين:

الأول: مفهوم اليأس ومنشؤه.

الثانى: مجالات الأمل وانتظار الرحمة الإلهية.

أما فيما يخصّ المقام الأول؛ فان اليأس ضد الرجاء، إذ هو عبارة عن القنوط وانقطاع الأمل برحمة الله تعالى.

والذى يظهر من بعض الآيات القرآنية الكريمة أن الكفر هو منشأ اليأس من روح الله؛ قال الله تعالى:

?إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.?

والظاهر أن هذه الآية الكريمة تنحلّ إلى جملتين:

الجملة الأولى: كل يائس من روح الله سبحانه فهو كافر بمرتبة من مراتب الكفر.

الجملة الثانية: كل مؤمن فهو لا ييأس من روح الله تعالى.

وعليه فإذا وجد المرء نفسه فى يوم من الأيام يائساً من رحمة الله، فذلك دليل على عدم إيمانه.

العلاقة بين اليأس والكفر

ولكن ترى ماهى العلاقة بين اليأس والكفر بالله تعالى؟ ولماذا أصبح كل يائس كافراً، وكل مؤمن راجياً؟

الشيء الذى يمكن أن يقال والله أعلم إن الكافر يرى فى هذا الكون معادلات طبيعية حاكمة، ولا يرى سواها، فنظام العلية والمعلولية المادية يتحكم بتفكير الفرد الكافر، وهو يشعر بخضوعه المطلق لهذا النظام، دون أن يرى وراءه شيئاً آخر.

بين الإيمان والرجاء

إلا أن المؤمن تملؤه الثقة بأن وراء المعادلات الطبيعية شيئاً آخر، وهذا الشيء هو الإرادة الإلهية الحاكمة على كل شيء، فهو يؤمن بأن الإرادة الإلهية مطلقة لا يقيّدها شيء وهى فوق العلل الطبيعية.

وما دام المؤمن يعلم بأن الإرادة الإلهية فوق كل شيء فلماذا يفقد أمله، ولماذا يصاب باليأس والقنوط؟

يقول بعض الفلاسفة إن الإحراق طبيعة ذاتية للنار، والذاتى لا يختلف ولا يتخلف، ولكن المعادلات الإلهية تؤكد أن الله تعالى قادر على سلب النار طبيعتها المحرقة مع الحفاظ على ماهيتها كنار، فتتبدل حرارتها إلى برودة بالإرادة الإلهية.

ويقولون: إن الإرواء أمر ذاتى للماء فى نظام العلل والمعلولات، ولكن بالنسبة للإرادة الربانية المطلقة، يمكن أن لا يشعر شخص ما بالارتواء أبداً وإن شرب الماء، كما حدث ذلك بالنسبة إلى ذلك الشخص الذى دعا عليه الإمام الحسينعليه السلام، فكان يشرب الماء حتى يفيض من فمه ولكنه لم يكن يحس بالارتواء أبداً حتى هلك.

إذن هناك ملازمة طبيعية بين اليأس من رحمة الله تعالى وبين الكفر به، وهناك ملازمة طبيعية بين الإيمان بالله وبين الرجاء والأمل والثقة بهيمنته وقدرته ورحمته الواسعة.

آفاق الأمل والرجاء

أما فيمايخصّ الحديث عن القسم الثانى، وهو مجالات الأمل، فنقول:

إن للأمل مجالات ثلاثة متدرجة يمكن توضيحها كالتالى:

المجال الأول: الأمل فى التغيير الفردى

وفى هذا المجال أبعاد متعددة منها: الأمل فى النجاة من المشكلات الطبيعية للحياة.

إن طبيعة هذه الحياة هى طبيعة المشاكل، حتى يقول الشاعر:

كل من تلقاه يشكو ألماً

ليت شعرى هذه الدنيا لمن؟

والفرد فى خضمّ المشاكل، ولاسيما العنيفة منها يفقد عادةً الأمل ويتحول إلى كائن قنوط وييأس من أى احتمال للتغيير، ولكن الإنسان المؤمن يمتلئ قلبه بالرجاء والأمل حتى لدى تعرضه لأعتى المشاكل، وقد روى عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «اذا دعوت فظنَّ أنّ حاجتك بالباب» فكما تنتظر زيارة ضيفك وتتوقع قدومه فى كل لحظة، كذلك كن مفعماً بالأمل فى الرحمة الإلهية وتوقّع الاجابة فى كل لحظة.

وفی هـذا الإطار ینقل عن والـد الشـیخ عبـدالکریم الحائری ?أنه لم یرزق فی بدایـة حیاته بالذریـة، وقـد طرق أبواباً متعـددة إلّا انه لم ینجـح فی تحقیق مبتغاه ولکنه وعلی أثر حادثة معیّنة، انتبه لنفسه فاعترف لربه سـبحانه بأنه قد أخطأ حیث قد طرق منذ البدایة غیر بابه، ومن ثم أوکل الأمر الی المشـیئة الالهیـة فی أن یرزقه الله تبارک وتعالی الذریـة، أو لا یرزقه، وإثر هـذا التوجه الإیمانی رزقه الله بولد، وأی ولد کان إنه الشیخ عبدالکریم الحائری مؤسس الحوزة العلمیة فی مدینة قم المقدسة.

کما نقل أحـد العلماء قصـة لعل مضـمونها أن شـخصاً قصـد الأطباء لغرض علاج زوجته من العقم، ولکنهم أعلموه بأنها تفتقد الجهاز الذی یصنّع الجنین ولا قابلیة لها علی الإنجاب ... فذهب الرجل إلی الشیخ (النخودکی) وکان معروفاً بکراماته، فطلب الشیخ منه أن یشتری مقداراً من التین، وعندما أتی به نظر الشیخ الیه أی الی التین نظرة حادّة ثم أمره بأن یتناول نصفه وتتناول زوجته النصف الآخر، لیرزقه الله تعالی ولداً. فقال الرجل: إن الاطباء یعتبرون حدوث الحمل أمراً مستحیلاً، فقال له الشیخ النخودکی:

«إنک ترید الذریة من الله سبحانه وتعالی، وفقدان الجهاز ووجوده لا یؤثر فی الإرادة الإلهیة الحاکمة والمهیمنة والقاهرة شیئاً».

فامتثل الرجل لکلام الشیخ، فرزقه الله تعالی ولداً.

الاعتبار بما حدث فی العراق!

قبـل الأعوام الثلاثـة أو الأربعـة الماضـیة لم یکن فی حـدوث التغییر فی العراق لـدی الکثیرین بصـیص أمل، وربما لم یکن یخطر علی بالهم أن تتبدل أوضاع العراق فی یوم من الأیام، ولکن الله سـبحانه وتعالی القادر شاء أن تتحول الأحوال، وإذا بتلک السـلطة الغاشـمة قد تهاوت، والأوضاع قد تبدلت، الأمر الذی یؤکد من جدید هیمنة الله عزوجل علی الأمور، وقدرته المطلقة التی لا یحدّها شیء.

یقول الفلاسـفة: إن هناک سـنخیة (تجانساً وتوائماً) بین العلة والمعلول، إلا أن هذه السنخیة لو فرض التسلیم بوجودها هی من صنع الله تعالی، ولو تعلّقت الارادة الإلهیـة بصـدور شـیء من شـیء من غیر مسانخـة بینهما أبـداً لم یمکن أن یقف أمام تحقق تلک الإرادة أیّ مانع.

وفی دعاء الصباح: «وأنهرت المیاه من الصمّ الصیاخید عذباً وأجاجاً» فما هو الرابط بین الماء وبین الصـخور الصّماء؟ لا تبدو فی النظر علاقـة مطلقاً بین الطرفین، ولکن الله هو المرید، وهو الذی لا تقیّده الارتباطات الطبیعیة بین الأشیاء، لأنه القوی القاهر فوق کل شـیء، وهو الفعال لما یرید.

بعد آخر

وهنالـک بعـد آخر یرتبط بهـذا المجال (المجال الأول) وهو: أن کثیراً من الأفراد یشـعرون فی قرارة أنفسـهم بالعجز والاستسـلام تجاه الظروف القـاهرة فلاـ تجـد لـدیهم رغبـة فی العمل والإنجاز، ذلک لأنهم فقـدوا الأمل بالله وبقـدرته ورحمته اللتین وسـعتا کل شـیء، وبذلک افتقدوا المحرّک والباعث علی التقدم.

ولنا أن نتساءل عن الفرق بین هؤلاء العاجزین وبین أولئک الـذین تقـدّموا فی هـذه الحیاة کالمحقّق الخراسانی، الرجل الأفغانی الـذی أصـبح کتـابه (کفایـة الأـصول) محوراً فی الحوزات العلمیـة منـذ مائـة عام تقریباً. الفارق فیما یبـدو هو أن صاحب الکفایـة کان یمتاز بالأمل والرجاء برحمة الله، والإیمان بقدرته علی أن یعینه فی إنجاز ما یصبو الیه، بخلاف أولئک.

وکذلک الفرق بین العلّامة الأمینی صاحب موسوعة (الغدیر)، وبین غیره من الألوف الذین کانوا فی عهده.

والفرق هو کما یبـدو بین صاحب الجواهر وبین الآخرین، لقد نجح صاحب الجواهر فی تألیف هذه الموسوعة العظیمة بسـبب أمله بالله سبحانه، رغم قساوة ظروفه وموت ولده أثناء تألیفه للکتاب، وهو القائل فی مقدمة کتابه:

«فاستعنت بالله وتوکلت علیه بعزمة دونها العیّوق منزلةً وساعد لیس تثنیه الملمّات».

ورغم مرور حوالی مـائتی عـام علی تألیف هـذه الموسوعـة، إلّا أنک ربّما لا تجـد فقیهاً إلّا و «الجواهر» فی مکتبته، أما الآخرون فانهم

استسلموا لظروفهم القاهرة وفقدوا الأمل فى الإنجاز فلم يُحققوا شيئاً.

المجال الثانى: الأمل فى التغيير الاجتماعى

بعض الأفراد يتقوقع على نفسه ولا يفكر فى تغيير المجتمع، ولعل هؤلاء يشكّلون الأكثرية من المجتمع، وهنالك أقلية من الناس تفكّر فى صناعة التغيير الاجتماعى.

ترى هل التغيير الاجتماعى المحدود أمر ممكن وقريب المنال؟

والجواب نعم بإذن الله تعالى وإن أدلّ دليل على إمكان الشىء هو وقوعه فى الخارج، فالمؤمنون الأفذاذ تحرّكوا من أجل التغيير فى أشدّ الفترات التاريخية حرجاً وأحلكها ظلمة وقد نجحوا فى ذلك مرات كثيرة، مثلاً: الأمويون والعباسيون عرّضوا أهل البيتعليهم السلام وشيعتهم لأشدّ أنواع الأذى والتنكيل والقتل والتشريد، ولكن الشيعة لم يستسلموا ولم يفقدوا الأمل بالله ولم يتنازلوا عن إرادة التغيير، فكان من جملة إنجازاتهم كسب العديد من الشخصيات الأموية والعباسية إلى طريق الحق، مثل المعتضد العباسى الذى أمر بعد وصوله إلى الحكم أن يُكتب على المنابر عبارة: «خير الناس بعد رسول الله على ابن أبى طالب» كما أمر بتدوين رسالة فى معايب معاوية، وأن تتلى فوق المنابر.

وقد كان المتوكل العباسى من زنادقة النواصب، ولكن الشيعة بذلوا وسعاً حتى نجحوا فى جعل إبنه (المنتصر) مؤمناً شيعياً، وعندما وصل إلى الحكم ردّ فدك إلى أهل البيتعليهم السلام وفتح الطريق لزيارة سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام فى كربلاء، بعد أن كان أبوه المتوكل قد منع ذلك سنين طويلة وحاول إغراق قبر الإمام الحسينعليه السلام مرات عديدة.

وكان الخليفة العباسى الناصر لدين الله من الذين اعتنقوا التشيّع بفعل ما بذله الشيعة من جهود، وقد انتشر فى عهده الذى استمر سبعة وأربعين عاماً مذهب أهل البيتعليهم السلام.

إلى غير ذلك من النماذج.

وهناك العديد من الشخصيات بذل علماء الشيعة ورجالهم جهوداً فى سبيل تغييرهم ومنهم ابن (خالد بن الوليد) الشهير بمعاداته لأهل البيتعليهم السلام، وكان هذا الابن يدعى (المهاجر) وقد قاتل فى معركة الجمل إلى جانب أمير المؤمنينعليه السلام وقُتل فى حرب صفين شهيداً بين يدى وصى رسول اللهعليه السلام، ومنهم محمد ابن أبى بكر، ومنهم (سعد الخير) الأموى الذى ورد فى الحديث الشريف «إنه رجل منا أهل البيت».

وقد أقام الشيعة دولاً متعددة على مرّ التاريخ على أثر جهود جبارة بذلوها ومن تلكم الدول:

- دولة الأدارسة فى مراكش، أسسها ابن حفيد الإمام الحسن المجتبىعليه السلام وقد امتدت بين أعوام (۱۷۲ ۳۷۵) ه.
- دولة الشرفاء فى مراكش، امتدت بين أعوام (۹۵۱ ۱۳۱۱).
- الدولة الفاطمية فى مصر، التى حملت اسم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?بين أعوام (۲۹۷ ۵۴۷).
- دولة الحمدانيين فى حلب والموصل وغيرهما بين أعوام (۲۱۷ ۳۹۴).
- دولة المزيديين فى العراق بين أعوام (۴۰۳ ۵۴۵).
- دولة آل حمود فى مالطا بين أعوام (۴۰۷ ۴۹۹).
- دولة آل الأخيضر فى مكة واليمامة بين أعوام (۲۵۱ ۳۰۵).
- دولة آل موسى فى الحجاز بين أعوام (۳۰۵ ۴۵۳).
- الدولة المرعشية فى مازندران.
- الدولة البويهية فى العراق وإيران بين أعوام (۳۲۱ ۴۴۷).

•الدولة الصفوية فی إيران، وفی العراق فی بعض الفترات، وكان عدد من العلماء من الموجّهين لهذه الدولة، منهم العلامة المجلسی والشيخ البهائی.?

•ولقد نجح السيد مهدی القزوينی ?وهو شخص واحد أن يحوّل بفضل الله تعالی مئة ألف شخص فی العراق إلی مذهب أهل البيتعليهم السلام فی ظلّ الحكومة العثمانية الشديدة العداء لأهل البيتعليهم السلام.

إذن؛ من الممكن أن يقوم كلّ واحد منا بإيجاد تغيير وتحول تاريخی كبير بالتوكل علی الله تعالی والأمل برحمته الواسعة والهمّة الرفيعة والجهد الذی لا يعرف الكلل والملل ان شاء الله تعالی.

المجال الثالث: الأمل فی التغيير العالمی الشامل

وهو الأمل بالتغيير الذی سيتمّ علی يد الإمام المهدی المنتظرعليه السلام، وهذه الحالة (حالة الأمل بهذا التغيير وانتظار هذا التغيير) ينبغی أن يعيشها الفرد وينمّيها فی داخله.

ونذكر بعض الروايات التی تبيّن أهمية وجود هذه الحالة.

فقد قال الإمام الصادقعليه السلام: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم فی فسطاطه».

ثم مكث الإمامعليه السلام هنيئة وقال: «لا بل كمن قاوم معه بسيفه».

ثم قال: «لا والله إلّا كمن استشهد مع رسول رسول اللهعليه السلام».

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه فی سبيل الله».

وعن الإمام الصادقعليه السلام، عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلی الله عزوجل انتظار الفرج».

ولا بأس أن نشير هنا إلی أن الذی يبدو من بعض الروايات أن الانتظار قضية مشتركة، بمعنی أنه فی الوقت الذی ننتظر الفرج الإلهی للإمام المهديعليه السلام، كذلك هو ينتظر ذلك، وهو يحزن كما تشير الروايات المتحدثة عن الأئمة المعصومينعليهم السلام عموماً لحزن المؤمنين ويفرح لفرحهم، وقد عبّر الإمام أمير المؤمنينعليه السلام عن حزنه فی قضية الأنبار التی أغار عليها جند معاوية وآذوا أهلها بقوله: «فلو أن امرأً مات من بعد هذا أسفاً ما كان ملوماً، بل كان به عندی جديراً» فكيف والإمام المهديعليه السلام يشاهد هذه المآسی التی جرت وتجری فی العراق وغيره من بلاد المسلمين؟!

روی العلامة المجلسی ?فی كتاب (بحار الأنوار) دعاءً للامام المهديعليه السلام يقرأه فی قنوته وهو:

«اللّهم صلِّ علی محمد وآل محمد، وأكرم أولياءك بإنجاز وعدك، وبلّغهم درك ما يأملون من نصرك، واكفف عنهم بأس من نصَب الخلاف عليك، وتمرّد بمنعك علی ركوب مخالفتك، واستعان برفدك علی فلّ حدّك، وقصد لكيدك بأيدك، ووسعته حلماً لتأخذه علی جهرة، وتستأصله علی غرّة، فإنك قلت وقولك الحق: (حتّی إذا أخذت الأرض زُخرُفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغنَ بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقوم يتفكّرون) وقلت: (فلمّا آسَفُونا انتقمنا منهم)وإن الغاية عندنا قد تناهت وإنا لغضبك غاضبون، وإنا علی نصر الحقّ متعاصبون، وإلی ورود أمرك مشتاقون، ولإنجاز وعدك مترقّبون، ولحلول وعيدك بأعدائك متوقّعون، اللهم فأذن بذلك، وافتح طرقاته، وسهّل خروجه ووطّئ مسالكه، وأشرع شرائعه، وأيّد جنوده وأعوانه، وبادر بأسك القوم الظالمين، وابسط سيف نقمتك علی أعدائك المعاندين، وخذ بالثأر».

وجاء فی كتاب (الصحيفة المهدية) دعاء آخر للإمام المنتظرعليه السلام: «إلهی أين كفايتك التی هی نصرة المستضعفين من الأنام؟ وأين أين عنايتك التی هی جُنّة المستهدفين لجور الأيام؟».

«إلیّ إلیّ بها يا ربّ، نجّنی من القوم الظالمين، إنی مسّنی الضر وأنت أرحم الراحمين».

لقد شبّهت الروايات الشريفة صبر الإمام المنتظرعليه السلام بصبر أيوبعليه السلام، وعندما تضايقت حلقة البلاء على نبى الله أيوب، دعا بهذا الدعاء: «ربّ إنى مسّنى الضر وأنت أرحم الراحمين» ودعاء الامام المهديعليه السلام بهذا الدعاء قد يشير إلى شدة ضغط الحوادث على الإمامعليه السلام:

«مولاى! ترى تحيّرى فى أمرى، وتقلّبى فى ضرّى، وانطوائى على حرقة قلبى وحرارة صدرى، فصلِّ يا رب على محمد وآل محمد، وجُد لى يا رب بما أنت أهله فرجاً ومخرجاً».

نسأل الله تعالى أن يعجّل فرجه ويسهّل مخرجه، ويجعلنا من أعوانه وأنصاره.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التبعية الثقافية

التبعية الثقافية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قبل الحديث عن التبعية الثقافية، لابدّ أوّلاً ـ من الحديث عن مشكلة التبعية بشكل عام، كما أن من الضرورى التحدث عن سبل مكافحتها؛ ومن ثم فإنّ موضوعنا سيدور حول ثلاثة محاور هى:

- مشكلة التبعية بشكل عام.
- التبعية الثقافية وأخطارها.
- كيف نواجه التبعية الثقافية؟

۱مشكلة التبعية بشكل عام

إحدى المخاطر الكبيرة التى تواجه المجتمعات والأمم هى مشكلة تبعية الأمم الضعيفة للأمم القوية، وهذه المشكلة لا تتوقف عادة عند حدّ معيّن، فهى تستمر فى كثير من الأحيان حتى تصل إلى مرحلة الذوبان الكلى للأمّة الضعيفة فى الأمّة القوية، حيث تُمحى هوية الأمّة الضعيفة وكيانها بشكل كامل.

قد تبدأ تبعية أمّة ما فى المجال الاقتصادى، ولكن لا تتوقّف عند هذا الحد، يقول الله فى معرض تحذيره للمسلمين من التبعية لليهود والنصارى?: وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، ?أى إنّ هؤلاء لا يقنعون منكم بأن تكونوا تابعين لهم من الناحية الاقتصادية، ولا ـ أن تدوروا فى فلكهم من الناحية السياسية، ولا ـ أن تكونوا مقلّدين لهم فى الظواهر الاجتماعية فقط، بل لا يكتفون منكم إلّا بالذوبان الكامل والتحوّل التام إلى دينهم وملّتهم.

ولم يقل الله تعالى: «ولا ترضى» بل قال?: وَلَن تَرْضَى ?و «لن» كما هو المعروف فى اللغة العربية تفيد تأبيد النفى، أى أن هذه حالهم أبداً، فلا تتصوروا أنهم ربما يتغيّرون فى المستقبل ويكتفون بالقليل! ومعنى هذا أنّ اليهودى والمسيحى لا يكفيه أن تكون صديقاً له بل لا ـ يقبل منك إلّا أن تتحوّل عن دينك وتكون يهودياً أو نصرانياً مثله، أما العلاقات الظاهرية والمجاملات وما أشبه فلن تقنعهم أبداً.

ويقول تعالى فى آية أخرى?: حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ، ?فالهدف النهائى لهم هو أن نتخلى عن ديننا ومبادئنا وقيمنا.

قضية التنباك والعهد البهلوى فى إيران مثالاً

من الأحداث التاريخية المهمة فى إيران القضية المعروفة بقضية التنباك أو التبغ، وقد كان الهدف الظاهرى للمستعمرين الهيمنة على اقتصاد إيران من خلال شركة التبغ، ولكن الهدف الذى كانوا يخططون له كان أبعد من ذلك، وكان موضوع احتكار التبغ الإيرانى مجرد طريق وبداية، ولو أنهم أرادوا احتكار التبغ فقط لكفاهم ألف ممثل لهم على مستوى إيران مثلاً، ولكنهم جاءوا بأربعمئة ألف فرد إلى إيران كما ذكر فى بعض الكتب وهذا فى الواقع جيش احتلال كامل! أما الهدف الحقيقى فقد كان القضاء على الهوية الإسلامية للشعب الإيرانى، والدليل على ذلك أنّهم عندما سيطروا بعد ذلك حاولوا تحطيم الدين فى إيران، ولم يرتضوا حتى بوجود عباءة واحدة على رأس امرأة فى إيران، وحظروا إقامة المآتم الحسينية، وذلك فى عهد البهلوى الأوّل الذى كان عميلاً من عملائهم.

وهذا معنى قوله تعالى?: حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ، ?فالأمر رهين باستطاعتهم.

وقد نقل بعض من عاصر تلك الحقبة أنّهم كانوا يخافون حتى من إظهار البكاء فى أيام عاشوراء فكانوا يذهبون إلى المقابر ويجتمعون هناك للبكاء على الإمام الحسينعليه السلام متظاهرين أنهم إنما يبكون موتاهم، كى لا يلحقهم الضرر!

ونقل لى أحد الشيوخ أنّ والدته لم تغادر بيتها طيلة تلك المدة خشية أن يتعرض لها الشرطة الذين يتربصون بالمحجبات لخلع حجابهن.

كما نقل أحد الذين عايشوا تلك الظروف، قال:

«كنّا جماعة مجتمعين فى غرفة فى ظل احتياط أمنى شديد نبكى على مصاب الحسينعليه السلام وإذا بشرطى يداهم المنزل، فلم ندرِ ما نفعل؟ وبماذا نبرّر له وجودنا وجلوسنا هنا؟ فألهمنا الله تعالى فوراً طريقة الخلاص حيث تمدد أحدنا وسط الغرفة وألقينا عليه غطاءً، وعندما سألَنا الشرطى عن سر اجتماعنا وبكائنا، أشرنا إلى الشخص المسجى وسط الغرفة، فاقتنع وعاد».

فانظر إلى أىّ مدى بلغ فرض التبعية على الناس بحيث منعوهم حتى من البكاء على إمامهمعليه السلام فى يوم مصابه.

لماذا لم يفعلوا هذه الفظائع فى ثورة التنباك؟ لأنّهم لم يستطيعوا، وعندما استطاعوا ذلك فى عهد البهلوى الأوّل، لم يترددوا أبداً، وهذه الحقيقة كشف عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (حتّى يردّوكم عن دينِكم إن استطاعوا). فهذه حقيقة من الحقائق التاريخية يدلّ عليها استخدام كلمة (لن) التى تفيد النفى المؤبد كما ذكرنا ذلك سابقاً.

إذن، التبعية تبدأ من نقطة، قد تكون اقتصادية أو سياسية ولكنّها لا تتوقّف عادة حتى مرحلة الذوبان الكلى، كما حصل فى أسبانيا التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية عدة قرون، ولكن الأعداء دمّروا فيها الإسلام تدميراً كاملاً حتى لم يعد لتلك الحضارة أى أثر، وهذا هو هدفهم، ومَن يتصوّر أنّ الأمر يتوقّف عند حدود التبعية الاقتصادية أو التبعية السياسية فهو واهم.

۲. التبعية الثقافية

التبعية أنواع، فهناك التبعية الاقتصادية، والتبعية السياسية، والتبعية الاجتماعية، وهناك التبعية الثقافية، وهى أخطر أنواع التبعية، لأنّها تنبع من الداخل، فإنّ التبعية المفروضة من الخارج أمدها قصير فى العادة، فى حين أنّ التبعية إذا نبعت من الداخل وتحوّل الفرد إلى مستعبَد بمحض إرادته، فهذه العبودية ستكون طويلة وربما أبدية.

وقد نُقل أنّ مجموعة من العبيد الذين حرّرهم أحد الحكام خرجوا فى تظاهرات رافضين التحرير ومطالبين بإبقائهم عبيداً! حيث أنّهم أُشربوا فى قلوبهم العبودية والتبعية للأسياد، وإذا كان الشىء نابعاً من الداخل صعُب علاجه، وهذه هى التبعية التى يعمل المستعمرون على غرسها فى صفوف المسلمين.

نذكر شاهدين على ذلك:

الشاهد الأوّل من العراق: فلقد واجه البريطانيون فيها مقاومة عنيفة، فواجهوا قوة الدين، وكان ثقيلاً عليهم وهم الإمبراطورية العظمى والوحيدة كما يقولون أن يُهزموا فى العراق أمام مجموعة من الحفاة. وهناك تحليل يقول: إنّ الدول العظمى يهمّها اعتبارها وسمعتها

أكثر من أيّ شيء آخر، وكثير من المواقف يتّخذونها من أجل ذلك، وهذا ما خسرته بريطانيا المسمّاة بالعظمى فى العراق!

«تقول الجاسوسة البريطانية فى العراق فى مذكراتها «مذكرات مس بيل»: «ففكرنا بطريقة لمواجهة الحالة، وانتهينا إلى ضرورة فصل المجتمع عن علماء الدين ومراجع التقليد»، ولكن كيف؟ تقول: «عن طريق إنشاء المدارس الحديثة!».

وكانوا يوفدون أولاد رؤساء العشائر والشخصيات المهمة إلى اسطنبول بذريعة الإعداد العسكرى وتلقى التدريبات، ويقومون ثمة بشحن عقولهم بما يشاءون.

وهكذا كانوا يقومون بإعداد أفراد من داخل المجتمع العراقى لا يفكّرون إلّا بالطريقة الغربية وبما يخدم مصالح الحكومات الأجنبية.

وإذا راجعتم تاريخ العراق فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين لرأيتم أنّ كثيراً من النوّاب والوزراء المهمّين وقادة الجيش وأغلب الشخصيات السياسية البارزة كانوا خرّيجى هذه المدرسة، فتصوّر كيف سيكون وضع البلد الذى يحكمه أفراد من أبنائه تحكمهم عقلية الحكومات الغربية!

الشاهد الثانى من إيران: لقد كتب أحد السفراء الغربيين تقريراً حول الأوضاع فى إيران يقول فيه:

«إنّ مشكلتنا فى إيران تتلخّص فى الملالى والبازار (أى رجال الدين والسوق)، فأىّ قانون نضعه إذا رآه الملّا مخالفاً للدين يحرّك السوق، والسوق يضغط بدوره على الحكومة، وبالتالى لا نتمكن من تطبيق ذلك القانون».

يقول: «والحل فى ذلك أن نضعف التجار وأن نضعف نفوذ رجال الدين عن طريق إنشاء المدارس الحديثة».

من مظاهر التبعية الثقافية فى بلاد المسلمين: حدّث السيد الوالد ?ما مضمونه:

«أنّه كان وزير للمعارف فى العراق يقال له خليل كنة، وقد تبوّأ هذا المنصب فى خمس دورات متعاقبة».

يقول الوالد: ذهبنا إليه، فرحّب بنا، فبدأنا الكلام بذكر حديث شريف عن النبيعليه السلام يقول فيه: «صنفان من أمّتى إذا صلحا صلحت أمّتى وإذا فسدا فسدت أمّتى: الأمراء والعلماء» وقلنا له: أنت من الأمراء.

فقال: الأمراء وأنا منهم أكثرهم غير صالحين، ثم سألَنا عما أتى بنا وقال: ماذا تريدون؟

قلنا: نريد أن نتحدّث معك حول مناهج التعليم.

قال: تفضلوا.

قلنا: المناهج الموجودة لا تدرّس مادة الدين بشكل كامل، إذ إن الدين لا ينحصر فى العبادات كالصلاة والصيام.

قال: ماذا تريدون مثلاً؟

قلنا: إن الجانب السياسى فى الإسلام مهمل تماماً فى المناهج الدراسية، وهكذا الجانب الاقتصادى والجانب الاجتماعى والجانب العقائدى مثل نظرة الدين إلى الكون والحياة فهذه الأمور كلها يجب أن تدرج ضمن المناهج الدراسية.

يقول الوالد: وهنا ضحك الوزير وقال: إنّنى مع كونى وزيراً للمعارف، لا أعرف عن هذه الجوانب شيئاً»!

وهذه هى المشكلة، فإذا كان وزير المعارف لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور، فمن الطبيعى أن يدرّس الاقتصاد الغربى والسياسة الغربية وعلم الاجتماع الغربى وعلم النفس الغربى و ... فى المدارس وعندما يكبر الطالب تكون عقليته غربية ومنطلقاته فى الحياة غربية، ولذلك يقود البلاد نحو الغرب.

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

وهى متعددة نذكر منها:

أ إنشاء المعاهد التعليمية ابتداءً من الابتدائية وانتهاءً إلى الجامعة.

وهذا الأمر ممكن وعملي ونافع حتى لو فكّرنا فيه بلحاظ معادلات الربح والخسارة.

والذين ذهبوا إلى الغرب واجهوا هذه المشكلة، لكنّا نحن مع الأسف قليلو الانتباه لهذه النقطة المهمة، إننا نحتاج إلى مزيد من المعاهد الإسلامية في بلاد الغرب، بل في بلادنا، يحتاج العراق اليوم إلى معاهد تعليمية موجَّهة، أفلا نتمكن من القيام بدور ولو محدود في هذا المجال؟

وقبل ذلك ألا نستطيع إنشاء دورات تعليمية في العطلة الصيفية؟ وهل نعلم تأثيرها الكبير؟

لقد بدأ الوالد ?أوّل حلوله في الكويت بإنشاء دورات في العطل، وكثير من المتديّنين الذين نعرفهم اليوم هم خرّيجو تلك الدورات.

نقل لي أحد الإخوة هذه القضية وهي في الواقع قضية مؤلمة جداً أنقلها لكم لتعرفوا حجم الخطر، قال:

«إن إحدى العوائل المتديّنة العريقة التي هاجرت إلى الغرب أرسلت ابنتها إلى المدرسة لتكمل دراستها، وماذا يمكن للمرء أن يفعل هناك؟ إما أن يرسل أولاده إلى المعاهد الغربية الكافرة، أو المعاهد الوهابية المنحرفة، أو يتركهم في البيت ويعنى هو بتعليمهم.

وفي يوم من الأيام طُرق الباب، فخرج الأب يتطلع مَن الطارق؟ وإذا بشخص زنجي ضخم واقف على الباب، سأل من الرجل: ماذا تريد؟ أجابه أنا صديق ابنتك، أريد لقاءها! فارت في عروق الرجل دماء الحمية والغيرة، وصفع الرجل الزنجي، فذهب إلى سبيله.

وبعد دقائق طُرق الباب ثانية وإذا بالرجل الأسود ومعه شرطي، قال الشرطي لصاحب الدار: إن عقوبتك السجن لصفعك هذا الرجل، ولكنه عفا عنك، وأمامك الآن أحد طريقين، فإما أن نأخذ منك ابنتك وندعها ترافق هذا الرجل، وإما أن تسمح له بأن يدخل بيتك لملاقاة بنتك.

فكّر الرجل قليلاً ورأى أنّ السماح للزنجي بالدخول أهون الشرين، وعندما دخل الزنجي جاء الأب وجلس بين يديه وتوسّل إليه أن يشهد الشهادتين، فتلفّظ بهما الزنجي على مضض، فعقد له الرجل على ابنته لتحلّ له».

وهذا نموذج لما يحدث لبعض العوائل في بلاد الغرب، ولا نحتاج إلى أن نذهب إلى بلاد الغرب، فإنّهم بدأوا يصدّرون هذه الظواهر إلينا، فمن الظواهر المعقّدة في هذا البلد مثلاً (يعني إيران) ظاهرة هروب الصبايا من منازل آبائهن!

نعود إلى موضوع إنشاء المعاهد، وأذكّركم بتجربة مدارس حفاظ وحافظات القرآن الكريم في كربلاء المقدسة، حيث كان يدرس فيها زهاء ثلاثة آلاف طالب وطالبة يتلقّون فيها العلوم الدينية إلى جانب العلوم الأكاديمية، فكانوا يتلقّون علوم القرآن والفقه والتاريخ إلى جانب علوم الكيمياء والفيزياء واللغة. ولقد ظهرت نتائج تلك التجربة، فقد انتشر هؤلاء في شرق الدنيا وغربها حاملين لواء الإمام الحسينعليه السلام ومشعله في ظلام الكفر الدامس.

ب اجعلوا بيوتكم قبلة:

نقل لي أحد الإخوة أن مجموعة من المؤمنين الذين يعيشون في بلاد الغرب رأوا أولادهم وبناتهم على خطر عظيم، فأينما يذهبون يواجههم خطر الانحراف، لأنّ ثقافة العرى منتشرة في كل مكان، سواء على البحر أو في المسابح أو أجهزة المذياع والتلفاز والكمبيوتر والفضائيات والصحف، فالفرد ينظر إلى الانحراف ويسمع الانحراف ويحيط به الانحراف من كل مكان، ففكّر هؤلاء أن يصنعوا مجمّعات ويوفّروا لأبنائهم وبناتهم وسائل الترفيه والراحة فيها، بدلاً من أن يتبعثروا ويذوبوا في المجتمع الغربي.

يرى البعض أنّ هذا هو المقصود من قوله تعالى?: وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ?أي لا تتوزّعوا وتتبعثروا وتتشتّتوا في المجتمع المنحرف فتذوبوا فيه، بل لتكن بيوتكم بعضها بجوار بعض ومقابل بعض. يقول الناقل:

«وقد فكر هؤلاء أنّهم لا يمكن لهم أن يمنعوا أولادهم من الذهاب إلى المسابح الغربية ففكروا في إنشاء مسابح خاصة بهم، وبالفعل فقد أنشأوا مسبحاً كلّفهم ثلاثة ملايين ونصف مليون بوند».

إذن الأمر الأوّل الذي نحتاج إليه في مواجهة التبعية الثقافية والذوبان الثقافي هو بناء المعاهد العلمية الموجّهة، فلنبدأ بذلك، ولو على

مستوى الدورات الصيفية، فإنّها مؤثّرة جداً.

ج تقديم البدائل الفكرية:

لا ـ يكفى للمهتم بشؤون المجتمع أن يقول إنّ أمراً ما هو خاطئ، بل عليه تقديم البديل الصحيح أيضاً، ونحن عندما نقول مثلاً إنّ السياسة الموجودة غير صحيحة، فالمطلوب منّا تبيين السياسة الصحيحة، وهكذا فى فروع الحياة الأخرى كالاقتصاد والتربية والعلوم الإنسانية تدرّس فى الجامعات الحديثة، وهذا الأمر بحاجة إلى تخصّص واجتهاد.

لقد ربّى الإمام الصادقعليه السلام مجموعة من التلاميذ، وكان كلّ منهم متخصّصاً فى مجال، فإذا كان السائل يبحث عن مسألة فى علم الكلام قيل له: عليك بهشام بن الحكم، وهكذا فى سائر الفنون.

إنّ تقديم البدائل يتطلّب منّا تخصّصاً ومعرفة بالمبانى والمناهج ويحتاج إلى اطّلاع على الصغريات الخارجية، لأنّ بيان الحكم كما يحتاج إلى معرفة الكبريات الكلية يحتاج إلى معرفة الصغريات الخارجية أيضاً، كما لابد أن يتفرّغ كلٌّ منّا لأحد الفروع والمجالات، كالسياسة والاقتصاد والاجتماع، فعلم الاجتماع مثلاً مليء بالنظريات الإلحادية، فلابد من أن نعرض إزاءها نظريات إسلامية.

د الاهتمام بالأدب والفن:

كان البعض يُشكل على تسمية نهج البلاغة من قِبل الشريف الرضى ?ويقول كان ينبغى له أن يسمّيه نهج الحياة، ولكن هذا الإشكال غير وارد، وذلك لما للأدب من دور ريادى فى الحياة؛ ولقد اختار الشريف الرضى ?النصوص التى تشكّل القمّة فى البلاغة من كلام الإمامعليه السلام، وكلماتهعليه السلام وإن كانت نهج الحياة، ولكن جميعها ليست بالضرورة قمماً فى البلاغة، فإنّ الأئمةعليهم السلام كانوا يكلّمون الناس على قدر عقولهم، فكانوا يضطرّون أحياناً للتكلّم بلغتهم، أما ما جمعه الشريف الرضى ?فى هذا الكتاب فهى القمم من الناحية البلاغية والتعبيرية من كلمات الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، ولقد كان ذلك من أسباب نفوذ كتاب نهج البلاغة وانتشاره.

فالأدب مهم والفن مهم، ولقد غفلنا نحن كثيراً عن هذا الجانب، فى حين إنّ له تأثيراً كبيراً فى صياغة عقليات الناس بصورة مباشرة وغير مباشرة.

هل تعلمون على سبيل المثال مدى تأثير أفلام الكارتون فى عقول الأطفال؟ وهل تعلمون أنّ كثيراً من هذه الأفلام تحمل إلى أطفالنا قيم الحضارة الغربية؟ إنّ لكل حضارة قيماً، وإنّ الأفلام المنتجة فى الغرب تعبّر عادة عن تلك القيم، وهى تنتقل إلى أولادنا الصغار حتى ذوى الخمسة أعوام أو أقل، وينشأ أولادنا على تلك القيم من حيث لا نعلم.

وقد صدر قبل فترة كتاب فى الغرب ألّفته امرأة غربية، قالوا إنّه بيع منه فى اليومين الأوّلين من نشره فقط ثمانية ملايين وستمئة ألف نسخة، أى بما معدّله أربعة ملايين وثلاثمئة ألف نسخة فى اليوم، ونُشر تقرير يقول: إنّ المكتبات تعمل ليل نهار بسبب وجود طوابير من الناس منتظرة لاقتناء نسخة من الكتاب!

يقول أحد الإخوة المؤمنين:

«حصلت على فلم معدّ عن الصدّيقة الزهراء ?أنتجه حديثاً بعض الشباب المؤمنين، فرأيت أنه من الأفضل أن أقدّمه لابنى الذى يبلغ من العمر حوالى ستة أعوام. وفى أحد الأيام دخلت غرفته فرأيته يشاهد الفلم ودموعه تنهمر كالمطر».

وهذا يدلّ على تأثير الفن فى النفوس، فهذا الطفل الصغير ذو الستة أعوام تأثّر بالفلم على حدود فهمه وغرق فى البكاء!

تصوّروا إذاً ما عمله الغربيون بالعالَم عن طريق الأفلام والقصص والروايات والكتب!

بالهمة والتوكل على الله يصبح العطاء ثرّاً

لا يقولنّ أحد إنا لا نتمكّن، فإننا قادرون بإذن الله تعالى على التقدّم فى هذه المجالات إذا شمّرنا عن سواعد الجدّ وتوكّلنا على الله

وتفرّغ بعضنا للتخصّص فيها.

أنقل فيما يلى هذا المطلب عن السيد العم حفظه الله، قال:

«إنّ أمّهات الكتب الفقهيـة الشـيعية المؤلّفـة من عهد الشـيخ المفيد ?إلى يومنا هذا، حتى الرسائل العملية، إنما تبتنى على مجموعة من روايات أهل البيتعليهم السـلام، فإنّ عمـدة الـدليل فى الفقه هو الدليل الثانى أى الأخبار والروايات، صـحيح أنّ القرآن الكريم يقع فى الرتبة الأولى ولكنّه يُجمل الحديث فى كثير من الموارد، أما الروايات فهى تمتاز بالكثرة والتنوّع وبيان التفاصيل.

وهذه الروايات نقلها لنا مجموعة من الثقات أمثال زرارة بن أعين وأكثر من عشرة من إخوانه وأخت واحدة لهم.

أنا أخمّن أنّ خمس فقهنا تقريباً يبتنى على هؤلاء!

ولكن هـل تعلمون مَن الـذى كـان سـبباً فى هدايـة هـذه المجموعـة؟ إنّه رجل أفغانى يقال له أبو خالـد الكابلى، فهو رأس الخيط فى استقطاب هؤلاء إلى الإيمان، بينما لم يكونوا مؤمنين من قبل».

انظروا كيف اسـتطاع شـاب واحـد أفغـانى أن يترك أثراً عظيمـاً وامتـداداً تاريخيـاً يعود لأكثر من ألف عام وقـد يسـتمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إذن لا يقل أحد منّا أنا لا أقدر، فقد يحتجّ الله تعالى علينا يوم القيامة بأبى خالد الكابلى، ولعلّ بينكم مَن هو أكثر قدرة منه»!

إذن المطلوب منا أن نبـدأ بملء هـذه الفراغات بالتوكل على الله تعالى والاسـتمداد منه والاسـتعانة بأوليائه الطاهرين، نسأله سـبحانه أن يوفّقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الجلد و الجتهاد

الجلد و الجتهاد

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

نتحدث عن هذا الموضوع بإذن الله تعالى ضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجدّ والاجتهاد فى مجال الطاعة والعبادة.

المبحث الثانى: الجد والاجتهاد فى مجال التعلّم والمعرفة.

المبحث الثالث: الجد والاجتهاد فى مجال العمل والخدمة.

ولكن قبل أن نخوض فى هـذه المباحث نقدّم مقدمة قصـيرة وهى: أن كلّ عمل يقوم به الإنسان يبتنى على فلسـفة فكرية معيّنة، بدون فرق فى ذلك بين أن يكون العمل حقيراً أو خطيراً، بل ثبت فى علم الحكمـة الإلهيـة أنه لا يمكن بالإمكان العقلى صـدور عمل معيّن إلا إذا كانت لدى الفاعل غاية معيّنة، عبّروا عنها هناك بالعلة الغائية، ولكننا نعبّر عنها هنا بالفلسفة الفكرية للعمل.

قـد تجـدون طـالبَين من طلاّب العلم يختلفان من ناحيـة العمل، فترون الأوّل يستيقظ قبل الفجر بساعـة ليبـدأ بالعبادة والطاعـة والبحث والمطالعـة مع أنه لم ينم قبل الساعـة الثانيـة عشـرة ليلًا، بينما يظلّ الثانى نائماً حتى الساعـة العاشـرة صـباحاً، فهذا الاختلاف يبتنى فيما يبتنى على الفلسفة الفكرية لكلّ منهما.

كان السـيد الوالـد ?يقول: بعض الأفراد عندهم فلسـفة التأخر فى الحياة؛ لأن للمتأخرين فلسـفة فى الحياة أيضاً! فلو قيل لأحدهم: لماذا

أنت متأخّر؟ ولماذا لا تعمل؟ أو لماذا لا تجدّ فی طلب العلم؟ فلن یعدم الجواب ولن یعدم الفلسفة الفکریة التی تبرر له عمله، ولکنها فلسفة التأخّر کما أن هناک فلسفة للتقدم تکمن وراء تقدّم الأفراد المتقدّمین فی الحیاة.

إذا اتضحت هذه المقدمة تبدو لنا حینئذ أهمیة معرفة الفلسفة الفکریة التی یبتنی علیها الجدّ والاجتهاد فی هذه المجالات الثلاثة.

۱. الجد والاجتهاد فی مجال الطاعة والعبادة

هنالک بعض الأفراد یوجد لطاعته وعبادته لله سبحانه سقف معیّن یظنّ أنه إذا بلغه بلغ الحدّ الأقصی من العبادة وانتهی بعد ذلک کلّ شی، فیتصوّر مثلاً أنه بلغ القمة فی العبادة إذا کان ملتزماً بالفرائض الیومیة أو کان یؤدّی نافلة اللیل فوق ذلک، أو کان ملتزماً بما ورد فی الروایات الشریفة من صلاة إحدی وخمسین (أی أداء النوافل إضافة للفرائض الیومیة)، أو کان یقرأ دعاء کمیل کلّ لیلة جمعة ودعاء الصباح عقیب صلاة الفجر، إنه یشعر عندئذ أنه أدّی الوظیفة بل زاد علیها، وقد یُدلّ علی الله تعالی بعمله، مع أن عبادة الله تعالی وطاعته لا تقف عند حدّ معیّن إلا عجز الفرد، وهذا أیضاً لیس حدّاً حقیقیاً وإنما هو من باب التسامح فی التعبیر، وإلا فلیس للطاعة والعبودیة لله تعالی حدّ معیّن تقف عنده.

والعجز قد یکون تکوینیاً؛ فإن الإنسان لا یستطیع الاستمرار علی العبادة من دون أن ینام مثلاً، فیکون فی مثل هذه الحالات مضطرّاً للانقطاع عن العبادة، وهذا ما نعبّر عنه بالعجز التکوینی، أی أن تکوینه لا یسمح له بالاستمرار أکثر، وإذا ما أجبر نفسه علی الاستمرار فإنه سینهار.

وقد یکون العجز تشریعیاً، ومثاله أن الطالب عندما ینشغل بطلب العلم الواجب فإنه لا یمکنه آنئذ أن یجمع بین البحث والدراسة وطلب العلم وبین قراءة القرآن والأدعیة وأداء العبادات الأخری عادة. إذن لیس لعبادة الله تعالی وطاعته حدّ معیّن.

وهذه الحالة تبتنی علی فلسفة فکریة ذُکرت فی روایة رواها الشیخ الکلینی ?فی کتابه (الکافی) عن الإمام الصادق علیه السلامقال: قال رسول اللهعلیه السلام: من عرف الله وعظّمه منع فاه من الکلام وبطنه من الطعام وعنّی نفسه بالصیام والقیام.

[عظّمه: عدّه عظیماً، منع فاه من الکلام: لعل المقصود منه الکلام الذی لا یعنیه، وبطنه من الطعام: لعل المراد الطعام أکثر من المقدار الضروری، وعنّی نفسه بالصیام والقیام: أی أتعبها بالصوم فی النهار والعبادة فی اللیل]. فجذر العبادة معرفة الله عزّ وجلّ.

وفی حدیث روی عن النبی الأعظمعلیه السلام أنه قال: ما عبدناک حق عبادتک وما عرفناک حقّ معرفتک.

وکلما زادت المعرفة زادت العبادة، وقد نقل عن بعض العبّاد أنهم لم یکونوا طوال عمرهم ینامون فی اللیل ولا یأکلون فی النهار، بل کانوا یصومون نهارهم ویقومون لیلهم فکانوا منشغلین بعبادة الله تعالی دائماً، وهکذا الأمر فی الخشیة، فمن کانت معرفته بالله تعالی متواضعة کانت خشیته منه قلیلة، لأن الخشیة لیست عملاً اختیاریاً بل للخشیة مبدأ هو المعرفة، فلو عرفت أن شخصاً ما عظیم بدرجة ما فإنک تقوم تجاهه بتعظیم یتناسب مع معرفتک، ولکن إذا انکشف لک أنه فوق ما کنت تتصوره فإن تعظیمک واحترامک سیکون أکثر، فکیف بالله تعالی الذی لا حدّ لعظمته وجلاله؟! وما قدر أعمالنا فی جنب عظمته.

لقد کان الماء فی السابق یمثّل مشکلة کبیرة وکان الحصول علی الماء الصالح للشرب أمراً عسیراً وقد یعود کذلک فی المستقبل، ویقول العلماء إن حروب المستقبل ستکون من أجل الصراع علی الماء? قُلْ أَرَأَیْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُکُمْ غَوْرًا فَمَن یَأْتِیکُم بِمَاء مَّعِینٍ? وکانوا قدیماً یضعون التمر فی الماء المالح لتقلیل ملوحته، ولمثل هذا الماء کان یقال النبیذ، فلکلمة النبیذ الواردة فی الروایات معنیان هذا أحدهما.

ویحکی ما مضمونه أن بدویاً کان یقطع الصحراء فمرّ بموضع رأی فیه حفرة اجتمع فیها ماء المطر فقال یخاطب نفسه: هذه أفضل هدیّة أقدّمها للملک إذا دخلت علیه، فملأ قربة کان یحملها حتی ورد المدینة فدخل علی الملک وقدّم له ذلک الماء، فشکره الملک علی هدیته وکافأه ثم أمر خدمه أن یصطحبوه إذا خرج ویمرّوا به علی الطریق الذی یطلّ علی النهر الکبیر للمدینة کنهر دجلة فی

بغداد مثلاً يقال: عندما رأى الأعرابى هذا النهر الممتلئ بالمياه العذبة كاد أن يذوب خجلاً من تواضع هديته التى قدّمها إلى الملك.

ونحن أيضاً عندما ننتقل إلى الدار الآخرة فسوف تعترينا هذه الحالة، ونندم على ضآلة ما قدّمناه، ولعل من هنا كان من أسماء القيامة يوم الحسرة والندامة، إننا سنرى أن كل ما قدّمناه ضئيل وحقير بالنسبة لما تتطلّبه الآخرة؛ يقول الله تعالى?: لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ.?

وقد روى أن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام كتب على كفن سلمان الفارسى:?

وفدت على الكريم بغير زاد

من الحسنات والقلب السليم

وإذا كان هذا الكلام يقال فى سلمان فماذا نقول نحن؟

وما قدر أعمالنا فى جنب عظمة الله تعالى؟

لو قام البعض منا بأداء صلاة الليل تصوّر أنه بلغ المرحلة العليا فى العبادة وأنه أصبح فى مصاف أولياء الله تعالى وخلصائه، وقد يتصوّر أنه لا يوجد على سطح الأرض أو تحت السماء مثله! هذا فى حين أننا محدودون بالكسل والعجز التكوينى والتشريعى فى عبادتنا لله تعالى، لذلك ينبغى لنا أن نخاطب الله سبحانه وتعالى دوماً ونقول له: اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، ونردد ما ورد فى الدعاء الوارد عقب زيارة الإمام الرضاعليه السلام: لا تُحمد يا سيدى إلا بتوفيق منك يقتضى حمداً، ولا تُشكر على أصغر منّة إلا استوجبت بها شكراً، فمتى تُحصى نعماؤك يا إلهى وتجازى آلاؤك يا مولاى.

روى الحرّ العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) قال: ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء حتى كادت أن تحترق، ودبرت جبهته وانخرم أنفه وورمت ساقاه وقدماه من القيام فى الصلاة، قال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال، فبكيت رحمة له. فالتفت إلىّ بعد هنيئة من دخولى فقال: يا بنى أعطنى بعض تلك الصحف التى فيها عبادة على بن أبى طالبعليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علىّ بن أبى طالبعليه السلام؟

لا شكّ أن عبادة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام كانت عبادة متعددة الأبعاد، لأنّ العبادة فى معناها الأعم تعنى استعمال الإنسان قواه فى سبيل المعبود، ولقد كانت حياة أمير المؤمنينعليه السلام كلّها عبادة لله تعالى وكانت مشروعاً دائماً للتضحية فى سبيله، ولم يكن مبيته عليه السلام فى فراش النبيعليه السلام ليلة المبيت المعروفة إلا نموذجاً مشهوداً لتلك التضحيات المستمرّة، وإلا فإن الإمامعليه السلام كان يقدّم نفسه فداءً لرسول اللهعليه السلام فى كلّ المواقف، ولولا تلك المواقف التى وقفها أمير المؤمنينعليه السلام فى الذبّ عن رسول اللهعليه السلام لما زُرعت ضدّه تلك الأحقاد البدرية والأحدية والخيبرية والحنينية وغيرهن، ولما أبغضه إمام أحد المذاهب حيث قتل الإمام جدّه لأمّه (الخارجى المعروف بذى الثدية) فى معركة النهروان. وكان الإمامعليه السلام يعلم بأن مواقفه هذه ستنتج تلك الأحقاد، ولكنه مع ذلك لم يتوانَ عن أداء حقّ العبودية الخالصة لله تعالى وفداء نفسه لنبيّهعليه السلام.

ولقد أشارت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ?إلى مواقف أمير المؤمنين على بن أبى طالبعليه السلام فى خطبتها المعروفة بقولها: قذف أخاه فى لهواتها.

وكما أكرم الله تعالى نبيّهعليه السلام فى الدنيا فقرن اسمهعليه السلامباسمه تعالى، فكذلك أكرم عليّاًعليه السلام وقرن اسمه باسم نبيّهعليه السلام، وسينكشف لنا فى الآخرة بعض آخر مما ادّخر الله تعالى لهما وللإمام زين العابدين وسائر الأئمّة المعصومينعليهم السلام من عطاء وتكريم.

وقد روى أنه سُئلت خادمة للإمام السّجادعليه السلام عن عبادته فقالت: أطنب أم أختصر؟ فقيل لها: بل اختصرى، فقالت: «ما أتيته بطعام نهاراً قطّ، ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ».

وهذا معناه أن الإمامعليه السلام لم يكن يفطر إلا فى يوم العيد، وكان فى سائر الأيام صائماً نهاره قائماً ليله، ومع ذلك يقول من يقوى على عبادة أمير المؤمنين؟! فأين نحن من عبادته وعبادة سائر الأئمة المعصومينعليهم السلام وقد كانوا القمّة فى العبادة؟! فلنعرف إذن على الأقلّ أننا نعيش فى السفوح؛ لأن هذه المعرفة نفسها قد ترتقى بنا شيئاً فشيئاً.

۲. الجد والاجتهاد فى مجال التعلم والمعرفة

إن النهضة والبناء الحضارى للأمم يقودها العلماء، ولذلك يحاول الأعداء أن يبقونا فى حضيض الجهل والتخلّف، وبالمناسبة أنقل لكم القضية التالية وهى أن أحد الشباب أراد الذهاب إلى الغرب للدراسة فى حقل الاقتصاد، فنصحه السيد العمّ ?أن يواصل التحصيل فى هذا المجال ولا يعود إلا بعد أن يبلغ أعلى الدرجات وإن استغرق ذلك منه مدة طويلة، وذهب الشاب والتحق بإحدى الجامعات الغربية، وبعد أن حصل على الشهادة المتعارفة قدّم طلباً للمسؤولين عن الجامعة يخبرهم أنه يريد الاستمرار حتى المرحلة العليا، فأرسلوا إليه شخصاً يهودياً خلا به وبدأ يسأله أسئلة دقيقة حول حياته، والشابّ يجيب، فسأله عن منطقته وأقربائه ومهنهم، وسأله عن أصدقائه ومن يلتقى بهم، ولكنه بقى كمن يبحث عن حلقة مفقودة دون أن يجدها.

يقول الشاب:

وأخيراً قال لى: لدىّ سؤال واحد، وهذه الأسئلة كلّها كانت مقدّمة للوصول إلى جواب هذا السؤال ولكنى لم أصل إليه؛ ولذلك أسألك الآن: من الذى اقترح عليك البقاء من أجل مواصلة الدراسة حتى المراحل العليا؟ فإنى لا أرى فى هؤلاء المحيطين بك من هو أهل لذلك.

فقلت له: إن فى بلدنا عالماً من علماء الدين هو الذى حثّنى على ذلك.

فقال: لقد انحلّت العقدة ووصلت إلى الحلقة المفقودة.

ولكنهم بعد ذلك حاولوا بمختلف الأساليب ثنيى عن الاستمرار، ومن جملة الأمور التى قالها لى ذلك اليهودى: إن بلادكم متخلّفة وإن المقدار الذى حصلتَ عليه من العلم يكفيك لخدمتها، وإن الزائد لن يفيدك فى مجال تقديم الخدمة لبلادك.

واقتنع الشاب بهذا المنطق وعاد إلى البلاد.

لقد جعلوا بلادنا كطائر حبيس فى قفص لا يمكنه التحرّر منه، وبقيت مقدّراتنا بأيديهم سواء فى عالم السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ومن أسباب ذلك أن لهم مفكرين فى كل المجالات، وحتى الكتب التى تدرّس فى جامعاتنا فى علم الاجتماع والاقتصاد وغيرهما هى كتب تحتوى على أفكار الملحدين والمنحرفين، فكم منظّراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً عندنا؟ وكم مؤلفاً لدينا كصاحب الجواهر الذى أنفق الأعوام الطويلة من عمره لتأليفه؟ إن الاكتفاء ببضعة دروس فى اليوم الواحد لا يصنع مؤلفاً مثل صاحب الجواهر.

ألا نحتاج اليوم إلى نهوض فقهى؟ فهل من يكتفى بتلقّى بعض الدروس البسيطة ويقضى ليله ونهاره بالكسل مرشّح للقيام بهذا الدور والإجابة على التساؤلات القائمة؟ كلا بالطبع، إن الأمر بحاجة إلى عمل دائم وسعى حثيث وجهد متواصل من طالب العلم عسى يمكنه تقديم شىء يساهم فى خلق النهوض الفقهى أو الحضارى؛ يقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

إن كتاب (مفتاح الكرامة) للسيد جواد العاملى من الكتب الفقهية الرائعة، ومن يراجعه يقف مذهولاً أمام الذهن الوقّاد لمؤلفه، حتى أن أحد العلماء المعاصرين شبّه ذهنه بالحاسوب (الكمبيوتر)، فهل يتصوّر أن هذا العمل الضخم أتى من فراغ ومن دون جدّ واجتهاد؟ كلّا بالطبع.

ينقل حفيده بعض أحواله فيقول:

«كنت أعيش مدة فی بيت جدّی، فكان إذا أراد النوم وضع رأسه على كفّه وغفا إغفاءه قصيرة ثم نهض وواصل الكتابة! ولقد قال لی مرة: كم تنام؟ وإلى متى هذا الحب للنوم؟».

لو راجعتم كتاب (مفتاح الكرامة) للاحظتم أنه يذكر فی آخر بعض مجلداته عبارات من قبيل:

«(قد فرغت من تأليف هذا الكتاب قبل منتصف الليل، أوقد فرغت من هذا المجلد بعد منتصف الليل، أوقد فرغت منه فی الربع الأخير من الليل، أوقد فرغت منه فی ليلة القدر) مما يكشف أنه كان يكتب حتى فی ليلة القدر، ولقد سئل ما أفضل الأعمال فی ليلة القدر؟ فقال: طلب العلم، بإجماع علماء الإمامية».

إن من يريد أن يصبح فقيهاً أو أصولياً أو رجالياً فعليه أن يجدّ ويجتهد.

إن كتاب المامقانی ?فی علم الرجال وحده لعله يقع فی حوالی خمسين مجلداً حسب الطبعة الحديثة، وكتاب الجواهر للنجفی ?يقع فی ثلاثة وأربعين مجلداً، وهكذا كتب الأصول، فمتى سيكمل الطالب دراسة هذه الكتب إذا لم يكن مستعدّاً للسهر ومضاعفة الجهود والسعی الحثيث المتواصل؟! وقديماً قيل: يقول العلم: أعطنی كلّك أعطك بعضی.

۳. الجد والاجتهاد فی مجال الخدمة والعمل

وفی هذا المجال أذكر كلمتين:

الكلمة الأولى للسيد الوالد ?حيث كان يدعو للوقوف عند ثلاث آيات فی القرآن الكريم، وهی:

الآية الأولى قوله تعالى?: وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ?فهذه الآية المباركة دعوة للعمل.

الآية الثانية قوله تعالى?: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ?وهذه الآية لا تكتفی بالدعوة إلى العمل بل تحثّ على المسارعة فيه أيضاً.

الآية الثالثة قوله تعالى?: فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ ?فهنا دعوة للمؤمن لأن يكون فی حالة سباق فی العمل، وهذا يتطلّب منه استنفاد كلّ طاقاته.

الكلمة الثانية للسيد العم (السيد المجتبى)، ?حيث قال:

إن هناك أربع مراحل للعمل بالنسبة لطالب العلم:

المرحلة الأولى: المرحلة الطبيعية، وفيها يتلقّى طالب العلم الدروس المقرّرة فی كلّ يوم، ويكتفی بذلك.

المرحلة الثانية: هی أدون من المرحلة الأولى، حيث لا يلتزم الطالب فی هذه المرحلة بمقتضيات المرحلة الطبيعية.

المرحلة الثالثة: هی ما فوق المرحلة الطبيعية وفيها يضاعف الطالب من جهوده فی طلب العلم.

وأما المرحلة الرابعة فيمكن أن نعبّر عنها بمرحلة الرجال المحاصَرين، أرأيت الرجال المحاصَرين من قِبل العدو فی قلعة مهدّدة بالسقوط؛ كيف سيتصرفون؟! تراهم لا ينامون إلا قليلاً ولا يفكرون فی الأكل والشرب كثيراً، بل يبذلون وقتهم وجهدهم وفكرهم كلّه للخروج من الوضع الذی هم فيه، ولا يهدأ لهم بال حتى بلوغ الهدف النهائی وهو النجاة.

حقّاً أين نحن من هذا التفكير والمنطق، منطق المسارعة والتفكير فی كوننا محاصرين، والشعور بأن لدينا مهمة كبيرة وأن كلّ ما نعمله فهو قليل إلى جنب ما هو مطلوب منّا؟ لاسيما ونحن نعيش هذه التحديات الكبرى فی عالم اليوم؛ فالأرقام الموجودة فی العالم فی كلّ المجالات أرقام فلكية، فهل يقنع أحدنا بأنه ألّف كتاباً أو كتابين أو أنه طُبع من كتابه بضعة آلاف نسخة، أو أنه بنى مسجداً ثم يتصور أن هذا غاية المنى وأنه انتهى كلّ شی.

إن هذه الأرقام تنفع على مستوى بلد صغير وليس على مستوى العالم.

لننظر إلى العالم بيد من هو الآن؟ إنه بيد الكفار، فالإعلام بيدهم، والفكر بيدهم ومناهجنا الجامعية هم الذين يضعونها، ودستورنا

وقوانينا هم الذين يصوغونها، أما آن أن نختار نحن مصير العالم، كما قال العم الشهيد (السيد حسن الشيرازى):?

قد آن أن نختار نحن مصيره

من قبل أن يختاره الكفار؟

لقد اختار الكفار الآن ومع الأسف مصير العالم يصنعون فيه ما يشاءون ويلعبون ببلادنا ومقدّراتنا كما يلعب الأطفال بالكرة.

إنها لحقيقة مؤسفة؛ إن بلادنا اليوم ألعوبة بيد حفنة من الكفّار.. كلّ شى بأيديهم، سواء التجارة والمال والاقتصاد أو الدعاية والإعلام أو السياسة والفكر والاجتماع، ولا يمكن بهذه الأعمال المتواضعة التى نقوم بها أن نحقق قوله تعالى? وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، ?لقد بلغنا من الهوان حدّاً بحيث باتوا لا ينظرون إلينا ولا يستمعون لما نقول، فكيف سنقول كلمتنا؟!

فى هذا العالم المشحون بالأفكار والإمكانات ينبغى لنا أن نسعى ونعدو بكلّ طاقاتنا لعلّ الله سبحانه وتعالى يمنّ علينا بالنجاة، فإنّه تعالى مغيّر الأحوال وهو القائل? وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ.?

إن الإصلاح التام لا يتحقق إلا فى عهد الإمام المنتظرعليه السلام ولكن يمكننا أن نغيّر من سوء حالنا ولو بمقدار، بالجد والاجتهاد، سواء فى ميدان الطاعة والعبادة، أو فى ميدان العلم والمعرفة، أو فى ميدان العمل والخدمة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذلك كما أعان الصالحين عليه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

لنكن من المجتهدين

لنكن من المجتهدين

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

كما أن الأمة بحاجة الى عدد كبير من الخطباء والمؤلفين والمؤسسين والناهضين، فهى بحاجة الى مجموعة كبيرة من المجتهدين.

ولا نعنى بكلامنا هذا التفكيك بين الاجتهاد والتأليف ولا بين الاجتهاد والخطابة أو النهوض أو التأسيس؛ فقد يكون المجتهد مؤلفاً كما كان العلامة الحلىّ الذى ألّف ألف كتاب كما يمكن للمجتهد أن يكون خطيباً، وقد نقل السيد الوالد ?أن مجموعة من خطباء إيران قديماً كانوا مجتهدين، ويمكن أن يكون ناهضاً كصاحب الكفاية أو المجدد الشيرازى، إنما نعنى أن هنالك فراغاً كبيراً فى هذا الجانب ينبغى ملؤه كما ينبغى ملء الفراغات الموجودة فى المجالات الأخرى العلمية منها والعملية.

إذن يدور هذا الحديث حول موضوع الاجتهاد وضرورة ملء الفراغ الذى تعانى منه الأمّة فى هذا المجال، ونتناول هذا الموضوع ضمن البحوث التالية:

البحث الأول: ما هى حاجة الأمة إلى المجتهدين؟

البحث الثانى: لماذا لا نكتفى باجتهادات المجتهدين الماضين؟

البحث الثالث: هل عملية الاجتهاد منحصرة فى إطار الأحكام الفقهية فقط؟

البحث الرابع: هل الاجتهاد محصور فى قطر أو قومية أو حدود جغرافية معيّنة؟

البحث الأول: الحاجة إلى الاجتهاد

كما أن المجتمع بحاجة إلى أهل الخبرة والاختصاص فى جميع العلوم والفنون، فكذلك الحال فى مجال علم الفقه الذى يُعنى بمعرفة الأحكام الشرعية، وكما أن الثقافة العامة لا تكفى عادةً فى المجالات الأخرى بل لا بدّ من التخصص والخبرة، فكذلك لا يحقّ لمن لم يبلغوا درجة الاجتهاد (أى التخصص فى الفقه) أن يبتّوا فى المسائل الشرعية بتصوراتهم الظنية، مهما بلغت ثقافتهم الدينية العامة، تماماً كما لا يحقّ لغير المتخصص فى مجال الطب معالجة مريض أُصيب بالجلطة القلبية مثلاً، مهما بلغت ثقافته الطبية ومهما قرأ من كتب فى علم الطب مالم يبلغ درجة الخبروية التامة. وقد جرت سيرة العقلاء فى كل المجالات أن لا يستمعوا إلاّ لآراء المتخصصين فيها.

إذن، فالحاجة إلى المجتهدين فى الفقه تمثّل صغرى من صغريات كبرى كلية وهى الحاجة إلى أهل الخبرة فى كل علم.

أما أن ينبرى شخص ويقول: هذا هو فهمى من الآية أو الرواية أو هكذا أتصوّر روح الإسلام فهذا يشبه من يقول هذا فهمى من النصوص الطبية أو هكذا أتصور روح الطب، فكما أن الثانى ليس له الحق أن يعمل وفق فهمه مالم يكن متخصصاً فى الطب، فكذلك لا يحقّ لمن ليس متخصصاً فى الفقه أن يجعل فهمه الخاص مقياساً لاستنباط الاحكام الشرعية.

ولتقريب الحاجة إلى التخصص نضرب مثلاً ذكره صاحب المناهج ?بشىء من التصرف: إذا ورد حديث يقول: «إذا أفطرت يوماً من شهر رمضان متعمداً فأعتق رقبة أو أطعم ستين مسكيناً أو صُم شهرين متتابعين»، فإن فهم هذا الحديث يتوقّف على بحوث كثيرة هنا، ومنها:

هل الخبر الواحد بنحو عام حجة أو لا؟

هل هذا الخبر الواحد بنحو الخصوص حجة أو لا؟

هل الرواة الذين وقعوا فى طريق الخبر ثقات أو لا؟

هل الرواية موثّقة أو حسنة أو؟...

وهل الخبر الموثق أو الحسن حجّة؟

إذا كان هذا الخبر ضعيفاً ولكنه عمل به المشهور، فهل الشهرة العملية جابرة لضعف السند أو لا؟

هل يجب البحث عن المخصّص والمقيّد والمعارض بشكل عام أو لا؟

لو قلنا بوجوب البحث عن المخصص والمقيّد والمعارض، فهل يوجد فى خصوص المقام مخصّص أو مقيّد أو معارض أو لا؟

إلى أىّ مقدار يجب الفحص عن المقيّد والمخصّص والمعارض؟ هل يكفى الظن أو يجب بلوغ مرحلة الاطمئنان؟ أو لا بد من تحصيل العلم؟

هل صيغة الأمر هنا (أعتق) تدلّ على الوجوب أو لا؟

ما المقصود بالمسكين؟ هل هو الفقير أو من هو أسوأ حالاً منه؟

هل المقصود بالشهرين أن تكون من الأشهر القمرية أو تشمل الشمسية أيضاً أو أنها أعمّ من كل ذلك؟

وما حكم الشهور التلفيقية؟

ما المراد بالتتابع؟ هل هو التتابع الدقّى أو العرفى؟

ما المقصود بالإطعام فى «أطعم»؟ هل يكفى الطعام غير المطبوخ أو لابد أن يكون مطبوخاً، وهل يكفى الادنى أو لا بد من المتوسط؟

هل يكفى إطعام الأطفال أو لا؟

هل يجزى إطعام ستين مسكيناً على انفراد، أو لا بد من إطعامهم سوية؟

هل الجاهل المقصّر مشمول لقوله (متعمداً) أو لا؟

هل يطلق على التقصير فى المقدمات التقصير العمدى (اذ ما بالاختيار لا ينافى الاختيار) أو لا؟

هل المقصود بشهر رمضان فى الرواية المعلوم بالعلم الوجدانى أو يشمل التعبدى أيضاً؟ فمثلاً: لو شككنا فى يوم هل هو آخر شهر

رمضان أو أول شهر شوال فهل يشمل من أفطر فى هذا اليوم متعمداً هذا الحكم لاستصحاب بقاء شهر رمضان أو لا؟

هل الأمر يفيد الفور أو لا؟

هل لا بد من مباشرة التنفيذ بعد انقضاء شهر رمضان أو يمكن التأجيل حتى بعد مرور سنة؟ وإلى أى حدّ يمكن التأجيل؟

هل يجوز الإطعام فى بلد آخر أو لا بد من الاقتصار على بلد المكفّر؟

هل يجوز الإطعام فى بلد آخر إذا كانت القيمة فيه أقل من قيمة بلد المكفّر؟

هل يجب أن يكون الإطعام من ماله أو يكفى أن يقول لشخص أطعم عنى من مالِك؟

لو تبرّع متبرّع بدون علم المكلف، فهل يجزى عنه أو لا؟

إذا وكّل غيره فهل ينوى الموكّل أم الوكيل أم كلاهما...؟

إلى آخر هذه الفروع التى تبدأ وربما لا تنتهى، وربما احتاج تحليل هذه الرواية ومبانيها المختلفة (الأصولية والفقهية والرجالية) إلى عام كامل من البحث، مما يدلّ على أنه لا تكفى الثقافة العامة بل لا بد من التخصص.

يقول أحد أطباء الأسنان:

«قبل أن أدخل كلية طب الأسنان كنت أتصور أننى اخترت أقلّ فروع الطب توسّعاً إذ كنت أتصور أننى سأتعامل مع عظم صغير الحجم لا تعدو قضية التعامل معه القلع أو التنظيف ونحوهما، ولكن اكتشفت بعد أن دخلت الكلية أن الأسنان فيها من المشاكل والمسائل والقضايا بمقدار بلد تعداده ستون مليون نسمة!».

البحث الثانى: هل تكفى اجتهادات المجتهدين السابقين؟

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد فى الفقه وعدم إجزاء الثقافة العامة، يثار هذا السؤال، وهو: ألا تكفى اجتهادات مجتهدينا الماضين، لاسيما وأنهم ?قد بذلوا جهوداً كبيرة وسهروا الليالى وألّفوا المصنّفات الضخمة فى الفروع الفقهية؛ فما هى الحاجة إلى مجتهدين جدد؟

نجيب على هذا السؤال بثلاثة أجوبة، الأول منها نقضىّ والآخران حليّان.

الجواب الأول: لقد بذل الأطباء القدامى جهوداً كبيرة وألّفوا الكتب الطبية ككتاب القانون لابن سينا مثلاً؛ فما هى الحاجة إلى الأطباء الجدد؟

فهذا إشكال مشترك بين جميع العلوم ولا يخصّ علم الفقه وحده؛ فما يقال فى الجواب هناك يقال فى الجواب هنا.

الجواب الثانى: إن العلوم فى حالة تطوّر وهى لا تقف عند حدّ معيّن، صحيح أن المبانى الأصلية للعلوم ثابتة إلّا أن هناك أموراً جديدة تكتشف، ففى الفقه تُكتشف روايات جديدة؛ ويشير الشيخ الأنصارى ?فى كتاب «الفرائد» إلى أن أول من تمسّك بروايات «الاستصحاب» فيما نعلم والد الشيخ البهائى، ?فيما حكى عنه فى «العقد الطهماسبى» وهذا يعنى أن هذه الروايات التى تحظى بكلّ هذه الأهمية لم تُكتشف أو لم يُستدلّ بها خلال حقبة طويلة من الزمن تقدّمت على عهد والد الشيخ البهائى.?

يقول الشيخ الأنصارى:?

«نعم ربما يظهر من بعض عبارات ابن إدريس الحلى أنه اعتمد على هذه الروايات فى بحث استصحاب نجاسة الماء المتغيّر إذا زال تغيّره من قبل نفسه».

وهناك مجالات أخرى يمكن أن تكتشف؛ فمثلاً عُرف عن السيد البروجردى ?أنه اكتشف بتتبعه طرقاً جديدة فى علم الرجال.

إذن لما كان العلم لا يقف عند حدّ معيّن فإن الفقهاء قد يكتشفون أموراً جديدة وإن كانت المبانى العامة محفوظة وثابتة، ولهذا قيل: كم ترك الأول للآخر؟

الجواب الثالث: إن الحياة نفسها فى تجدد وتطوّر، وهذا معناه أن الحياة تطرح صغريات جديدة لابدّ من وجود المجتهد الذى يمكنه تطبيق الكبريات الفقهية عليها.

فمن الصغريات المستحدثة التى لم تكن موجودة فى السابق، نظام المصارف والبنوك المالية بهذه الصيغة المعقدة، ومنها عقود التأمين، ومنها قضية الاستنساخ البشرى، وقضايا أخرى كثيرة ولكل واحد من هذه المسائل فروع لابد من فقيه يجيب عليها، فمثلاً: هل المستنسخ ابن أو لا؟ وهل يرث أو لا؟ إلى غير ذلك من الفروع.

وفى الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع» أى أن الأئمةعليهم السلام بيّنوا الكليات، وعلى الفقهاء تطبيقها على الصغريات.

وفى قضية «ركب الجارية» شاهد على تطبيق أصحاب الأئمةعليهم السلام الكبريات على صغرياتها المتجددة.

البحث الثالث: الاجتهاد الدينى ليس منحصراً فى الفقه

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد فى العلوم الدينية، يتبادر سؤال آخر وهو: هل عملية الاجتهاد منحصرة فى إطار الأحكام الفقهية، أى مسائل الطهارة والصلاة والصيام ونحوها؟

والجواب: كلا- بل يمكن للإنسان أن يكون مجتهداً فى مجالات اخرى مثل القضايا العقائدية، (فى فروعها طبعاً وليس أصولها، لأن أصول العقائد ثابتة قامت عليها البراهين العقلية والنقلية المتواترة) فمثلاً- يبحث هل الذى يعذَّب فى القبر روح الميت أو بدنه أو كلاهما؟

ومن المجالات التى يمكن للإنسان أن يجتهد فيها تفسير القرآن الكريم؛ وقد نقل السيد الوالد ?عن السيد الحكيم ?أنه كان عندهم أستاذ فى التفسير تناول إحدى الآيات المباركات بالشرح فى أحد الأيام، ولكنه جاء فى اليوم الثانى وقال:

«كان ما ذكرناه أحد الاحتمالات فى تفسير الآية»

ثم طرح احتمالاً- ثانياً وشرحه، وعندما جاء فى اليوم الثالث قال: وهناك احتمال ثالث وتناوله، وهكذا حتى استمر لمدة شهر كامل طرح خلاله حوالى ثلاثين احتمالاً فى تفسير الآية الكريمة.

وقد ذكر بعض المفسّرين أن الاحتمالات فى تفسير قوله تعالى? وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ? ... تبلغ مليوناً ومئتين وستين ألف احتمال تقريباً!

حتى الروايات التى تتناول القضايا الطبية تحتاج إلى اجتهاد، فهناك رواية تقول: «افتتح بالملح فى طعامك واختم بالملح» ويمكن تصوّر فروع كثيرة فى المقام، منها:

هل الطعام يشمل الفاكهة أو لا؟

وهل يشمل الماء، باعتبار أن الله تعالى يقول?: إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ? ... أو أنه منصرف عنه؟

وهل يشمل الحليب والعسل ونحوهما أو لا؟

وماذا بالنسبة للطفل الرضيع؟ هل تبدأ أمّه إرضاعه بالملح أو أن الحديث الشريف منصرف عن ذلك؟

إلى غير ذلك من الفروع، ولقد ذكر السيد الوالد ?هذه الفروع فى كتاب الأطعمة والأشربة فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

البحث الرابع: الاجتهاد لا يعرف الحدود

إن من نقاط قوة الشيعة أن الاجتهاد عندهم لا يعرف الحدود الجغرافية والإقليمية والعنصرية واللونية وما أشبه، ولذلك نسمع بمراجع

أو فقهاء عرب كالشهيد الأول وإيرانيين كالشيخ الأنصارى، وهنود كالفاضل الهندى صاحب كتاب كشف اللثام، وأفغانيين كصاحب الكفاية، وكذلك كان عندنا فقهاء من البحرين والحجاز، وقد نقل أنه كان فى البحرين القديمة بين (۳۰۰) الى (۶۰۰) مجتهد، كما سميت القطيف بالنجف الصغرى لكثرة العلماء والمجتهدين فيها.

إذن الملاك فى الاجتهاد والمرجعية الكفاءة، بالنحو المبيّن فى الكتب الفقهية لا الامور الاعتبارية المصطنعة، وهذه مفخرة من مفاخر الإسلام ومذهب أهل البيتعليهم السلام لم تتوصل إليها الدنيا حتى الآن.

وأخيراً

ينبغى للإخوة الكرام جميعاً سواء من كان منهم يريد أن يصبح خطيباً أو كاتباً أو مدرّساً أو مؤسساً أو ناهضاً أو ... ومن أية قومية كانوا أن يحاولوا بلوغ مرتبة الاجتهاد إلا إذا كان هناك محذور خارجى لأن المجتهد هو الذى يمكنه أن يحلّ المعضلات الفقهية أو الفكرية أو العقائدية أو الطبية المرتبطة بالشرع كلٌّ حسب اختصاصه.

وقد نقل أنه كان فى مدينة طهران ستّون مجتهداً فى وقت كان عدد نفوسها لا يتجاوز ۶۰۰ ألف شخص، أما يوم بلغ نفوس طهران أكثر من ۶ ملايين نسمة فإن عدد المجتهدين فيها لم يتجاوز ستة أشخاص!

إن الحاجة الى المجتهدين كبيرة ولا مانع أن يكون الفرد خطيباً أو مؤلفاً أو مفسراً أو ... ويكون مجتهداً مع ذلك.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

پی نوشتها

. سورة الزمر، الآية: ۱۷۱۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. سورة هود، الآية: ۱۱۹.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۳۶.

. قال ابن سنان: كان المأمون يجلس فى ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس ويقعد الرضا ?على يمينه، فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره فرأى عليه سيماء الخير، فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح! فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً وقال الله تعالى?: فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ?وقد منعت من الخمس والغنائم. فقال: وما حقك منها؟ فقال: قال الله تعالى?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ? فمنعتنى حقى وأنا مسكين وابن السبيل وأنا من حملة القرآن، وقد منعت كل سنة منى مائتى دينار بقول النبى. ?فقال المأمون: لا أعطّل حدّاً من حدود الله وحكماً من أحكامه فى السارق من أجل أساطيرك هذه. قال: فابدأ أوّلاً بنفسك فطهّرها ثم طهّر غيرك وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك. قال: فالتفت المأمون إلى الرضا ?فقال: ما تقول ...؟ قال: إن الله عزّ وجل قال لنبيّه?: ?قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ?وهى التى تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة، وقد احتجّ الرجل. قال: فأمر بإطلاق الرجل الصوفى وغضب على الرضا فى السرّ. (مناقب آل أبى طالب، ?محمد بن شهرآشوب المازندرانى المتوفى عام ۵۸۸ه، مؤسسة العلّامة للنشر، قم، ۱۳۷۹ه.

. رجع ابن أبی داوود (قاضی القضاة) ذات یوم من عند المعتصم وهو مغتمّ فسئل عن السبب، فقال: وددت الیوم أنی قد متّ منذ عشرین سنة. قیل له: ولم ذاک؟ قال: لما کان من هذا الأسود (الإمام محمد بن علی الجواد ?الیوم بین یدی الخلیفة (یعنی المعتصم) قیل له: وکیف کان ذلک؟ قال: إن سارقاً أقرّ علی نفسه بالسرقة وسأل الخلیفة تطهیره بإقامة الحد علیه فجمع لذلک الفقهاء فی مجلسه وقد أحضر محمد بن علی، فسألنا عن القطع فی أیّ موضع یجب أن یقطع؟ فقلت: من الکرسوع. قال: وما الحجة فی ذلک؟ قلت: لأن الید هی الأصابع والکف إلی الکرسوع؛ لقول الله فی التیمم? فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِکُمْ وَأَیْدِیکُمْ ? واتفق معی علی ذلک قوم، وقال آخرون: بل یجب القطع من المرفق. قال: وما الدلیل علی ذلک؟ قالوا: لأن الله لما قال? وَأَیْدِیَکُمْ إِلَی الْمَرَافِقِ ?فی الغسل، دلّ ذلک علی أنّ حدّ الید هو المرفق. قال: فالتفت إلی محمد بن علی فقال: ما تقول فی هذا یا أبا جعفر؟ فقال: قد تکلّم القوم فیه فدعنی. قال: أی شیء عندک؟ قال: اعفنی عن هذا. قال: أقسمت علیک بالله لما أخبرت بما عندک فیه. فقال: ?أما إذ أقسمت علیّ بالله أنی أقول: إنهم أخطأوا فیه السنة، فإنّ القطع یجب أن یکون من مفصل أصول الأصابع فیترک الکفّ. قال: وما الحجة فی ذلک؟ قال: قول رسول الله: ?السجود علی سبعة أعضاء: الوجه والیدین والرکبتین والرجلین، فإذا قطعت یده من الکرسوع أو المرفق لم یبق له ید یسجد علیها، وقال الله تبارک وتعالی?: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ?یعنی هذه الأعضاء السبعة التی یسجد علیها? فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ?وما کان لله لم یقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلک وأمر بقطع ید السارق من مفصل الأصابع دون الکفّ. قال ابن أبی داوود: قامت قیامتی وتمنّیت أنی لم أک حیّاً. (بحار الأنوار: ج۷۶ ص۱۹۱).

. سورة البقرة، الآیة: ۱۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۶ ص۱۱۵.

. کتاب المحاسن للبرقی (أحمد بن محمد بن خالد البرقی الابن) ج۲ ص۴۸۵، وسائل الشیعة: ج۱۱ ص۵۱۳ ح۱۵۴۰۳.

. الکافی: ج۶ ص۵۳۷.

. السَّکُونِیِّ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد ?قَالَ: لِلدَّابَّةِ عَلَی صَاحِبِهَا سَبْعَةُ حُقُوق وَذَکَرَ الْحَدِیثَ (السابق) وَزَادَ: ولا یَضْرِبُهَا عَلَی النِّفَار (أمالی الصدوق: ص۵۹۷).

. نهج البلاغة: ص ۳۴۶ من کلام له ?یتبرّأ من الظلم.

. الحدائق الناضرة، للمحقق البحرانی: ج۵۲ ص۱۴۳.

. لما کان فتح مکة ... دخل صنادید قریش الکعبة وهم یظنّون أن السیف لا یُرفع عنهم، فأتی رسول الله ?البیت وأخذ بعضادتی الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، ثم قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سهیل بن عمرو: نقول خیراً ونظن خیراً، أخ کریم وابن عم. قال: فإنی أقول لکم کما قال أخی یوسف?: لاَ تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ ... ?فاذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرج القوم کأنما أنشروا من القبور ودخلوا فی الإسلام (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۳۲ ب۲۶ فتح مکة).

. عن الإمام الصادق ?قال: إن رسول الله ?یوم فتح مکة لم یسب لأهلها ذریة، وقال: من أغلق بابه وألقی سلاحه أو دخل دار أبی سفیان فهو آمن. (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۱۷ ب۲۶ فتح مکة.

. بحار الأنوار: ج۲ ص۳۰.

. تقریر للکلمة التی القیت علی جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدینیة فی مدینة قم المقدسة، مطلع جمادی الأولی وذلک بمناسبة قرب حلول الأیام الفاطمیة، حیث أکد سماحته علی الإخوة المؤمنین إحیاء هذه الأیام والقیام بمسؤولیاتهم تجاه السیدة الزهراء ?التی تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفیصل الذی یفصل بین الإسلام والحکومات الجائرة التی حکمت باسمه.

. تقریر للکلمة التی القیت علی جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدینیة فی مدینة قم المقدسة، مطلع جمادی الأولی وذلک بمناسبة

قرب حلول الأيام الفاطمية، حيث أكد سماحته على الإخوة المؤمنين إحياء هذه الأيام والقيام بمسؤولياتهم تجاه السيدة الزهراء ?التى تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفيصل الذى يفصل بين الإسلام والحكومات الجائرة التى حكمت باسمه.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۳۴.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷.

. سورة شعراء، الآية: ۸۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. بحار الأنوار: ج۶۶ ص۲۹۶.

. بحار الأنوار: ج۷۴ ص۴۳۴.

. سورة البقرة، الآية: ۵۶.

. سورة البقرة، الآية: ۷۳.

. سورة الفيل، الآية: ۳۴.

. سورة النمل، الآية: ۳۹.

. سورة فاطر، الآية: ۲۸.

. سورة العنكبوت، الآية: ۲۶.

. سورة النور، الآية: ۳۶.

. بحار الأنوار: ج۲۳ ص۳۲۵.

. انظر بحار الأنوار: ج۴۱ ص۳۰.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷ ب۱۶.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲۹.

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۳۴ ب۵، تزويجها.?

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۹۱ ب۷، ما وقع عليها من الظلم.

. بحار الأنوار: ج۴۰ ص۳۴۳.

. لعل القصة منقولة بالمضمون التقريبى.

. سورة البقرة، الآية: ۱۳.

. سورة الحج، الآية: ۳۲.

. سورة الأنعام، الآية: ۹.

. أو هى كفء بعلها.

. سورة الأنفال، الآية: ۶۵.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۴.

. بحار الأنوار: ج۱۳ ص۱۰۶ب ۵.

. سورة الزلزلة، الآية: ۷.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۵.

. راجع أمالى الشيخ الطوسى المجلس السادس ص۱۶۱ ح۲۰، والبحار: ج۴۴ ص۲۸۰ ب۳۴ ح۹ وج۴۵ ص۳۱۳ ب۴۶ ح۱۴، وكامل الزيارات ص۱۰۷ ب۳۲ ح۲ وص۱۰۸ ح۶ و ص۱۹۳ ب۷۱ ح۷.

. بحار الأنوار: ج۲۸ ص۵۵ ب۲.

. سورة الغافر، الآية: ۵۱.

. ينقل أنه يوجد فى مدينة (قم) وحدها ما يربو على أربعمئة مزار، أما فى كل إيران فربما زاد على الأربعة آلاف. ولهذه المزارات أهمية كبرى فمثلاـ وجود مرقد السيدة معصومة ?فى قم أمر مهم جداً، ليس لدينا فحسب بل لدنيانا أيضاً، فهذا المقام مؤسسة اجتماعية ذات أبعاد مختلفة، لكن بعضنا غفل عن تلك الجوانب والأبعاد، ولم نعِ أهمية وجود السيدة المعصومة ?بيننا كما ينبغى.

. إقبال الأعمال: ص۵۹۰.

. نهج البلاغة: ص۵۱۰ ح۲۳۷.

. سورة الأنعام، الآية: ۴۳.

. وهو كتاب مؤلف فى نهضة سيد الشهداء.?

. الكافى: ج۸ ص۵۸.

. انظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ج۷ ص۱۵۹.

. تاريخ الطبرى: ج۴ ص۲۳۹، مؤسسة الأعلمى، بيروت لبنان.

. الفتوح لابن أعثم: ج۳ ص۱۹۶.

. جواهر المطالب فى مناقب الإمام على ?لابن الدمشقىّ: ج۱ ص۳۰۸.

. جواهر المطالب فى مناقب الامام على بن أبى طالب: ?ص۴۳.

. يقول اليعقوبى فى تاريخه: ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس، فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدى معاوية ابن أبى سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه فى القرابة برسول الله، وأحقّ فى الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين ... فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيّته وصار رهناً بعمله، ثم قلّد أبى وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدّته، وصار فى حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه. ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبى سفيان ما أصابوا منها. (تاريخ اليعقوبى: ج۲ ص۲۵۴). وراجع: جامع النورين: ص۳۱۶، وتتمّة المنتهى: ص۴۸، وبحار الأنوار: ج۴۶ ص۱۱۸.

. راجع مروج الذهب: ج۳ ص۲۵۳.

. مناقب آل أبى طالب: ج۳ ص۲۷۹.

. سورة الشورى، الآية: ۲۳.

. سورة الإسراء، الآية: ۲۶.

. سورة الانفال، الآية: ۴۱.

. سورة الأحزاب، الآية: ۳۳.

. اللهوف فی قتلی الطفوف للسید ابن طاووس الحسنی: ص۱۰۲.

. العدد القویة، علی بن یوسف الحلی: ص۳۱۹.

. فروع الکافی: ج۲ ص۴۷۴، أعیان الشیعة: ج۱ ص۶۲۹.

. سورة الأعراف، الآیة: ۱۵۶.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۱.

. مفاتیح الجنان للشیخ عباس القمی.

. أصول الکافی: ج۱ ص۵۲۸.

. لاحظ ما ورد فی زیارة الإمام الحسین: «?إرادة الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم، والصادر مما فصل من أحکام العباد»، وقد روی هذه الزیارة «المحمدون الثلاثة.?»

. سورة الأعراف، الآیة: ۱۵۶.

. سورة محمّد، الآیة: ۱۷.

. سورة طه، الآیة: ۵۰.

. بحار الأنوار: ج۳ ص۶۷.

. لاحظ کلمات الزیارة المعتبرة التی أشرنا إلیها آنفاً.

. بحار الأنوار: ج۳۵ ص۱۹۳.

. بحار الأنوار: ج۵ ص۳۰۶.

. کمال الدین وتمام النعمة، المقدمة.

. سورة الشعراء، الآیة: ۸۰.

. ذکر أحد العلماء أنه کان یوجد فی مدینة إصفهان طبیب معروف یسجّل أسماء مراجعیه من المرضی فی ورقة عنده بعد أن یکتب لهم الوصفة الطبیة، وعندما سئل: لماذا تعمل هذا العمل؟ أجاب: إننی أعتقد أن الأدویة عوامل ظاهریة وأن الشفاء حقاً بید الله تعالی، ولذلک أکتب أسماء المرضی الذین یراجعوننی کی أدعو لهم فی صلاة اللیل وأطلب شفاءهم من الله تعالی، فهو الشافی، وما الأطباء والأدویة إلا أسباب ظاهریة.

. سورة النحل، الآیة: ۶۹.

. سورة الزمر، الآیة: ۴۲.

. سورة السجدة، الآیة: ۱۱.

. سورة البقرة، الآیة: ۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۵۳ ص۹۸.

. سورة الذاریات، الآیة: ۱۷.

. سورة النمل، الآیة: ۶۲.

. سورة السجدة، الآیة: ۱۶.

. سورة البقرة، الآیة: ۱۵۲.

. هذا فی صورة العمد أو الجهل التقصیری، وأما فی صورة الجهل القصوری فقد دلّت الروایات الشریفة علی أنه یعاد امتحانه فی یوم

القيامة ويتوقف مصيره على ذلك الامتحان.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲.

. الكافي: ج۱ ص۱۹۳ ح۶ باب أن الأئمة ?ولاة أمر الله تعالى.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۷۸ ح۹ ب۳۱ ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

. الكافي: ج۱ ص۳۷۷ ح۳ باب من مات وليس له إمام.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. سورة المائدة، الآية: ۳۵.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. بحار الأنوار: ج۹ ص۲.

. سورة الشعراء، الآية: ۸۰.

. سورة النحل، الآية: ۶۹.

. صحيح البخاري: ج۲ ص۱۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

. مسند أحمد بن حنبل: ج۴ ص۱۳۸. وسنن ابن ماجة، الحديث رقم ۱۳۸۵ بتفاوت يسير.

. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج۷ ص۱۱۳، ط: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

. صحيفة الزهراء، ?الشيخ جواد القيومي: ص۳۰۴ (الفارسية).

. بحار الأنوار: ج۵۸ ص۳۷ ب۱ ح۱۸.

. سورة سورة التوبة، الآية: ۱۱۴.

. سورة التوبة، الآية: ۱۱۳.

. سورة الممتحنة، الآية:: ۸.

. راجع تفاصيل ذلك في الكتب الفقهية.

. بحار الأنوار: ج۱۱ ص۸۸ رقم۱۵.

. سورة الأنعام، الآية: ۱۹.

. سورة هود، الآية: ۳۵.

. سورة النحل، الآية: ۹۸.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۳ ص۲۴۱.

. صحيح البخاري: ج۴ ص۲۱۰.

. صحيح البخاري: ج۸ ص۳.

. بحار الأنوار: ج۳۰ ص۳۱۷ ب۳۰.

. كشف الغمّة: ج۱ ص۴۷۹.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۰۱۹۱.

. الكافي: ج۱ ص۳۱۰.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج۷۹ ص۱۹۸ ب۱، فضل الصلاة وعقاب تاركها.

. سورة الزخرف، الآية: ۱۳.

. راجع تفاصيل كل ذلك فى كتب الأدعية.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۸۳ ب۵.

. مستدرك الوسائل: ج۳۱ ص۳۳۴، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج۳۱ ص۳۳۶، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج۵۵ ص۲۶۲، باب نوادر ما يتعلق بأبواب القصاص.

. سورة السجدة، الآية:: ۱۶۱۷.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. روى عن الإمام أمير المؤمنين ?أنه قال: لقد قام رسول الله ?عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب فى ذلك فقال الله عز وجل?: مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. (?مستدرك الوسائل: ج۴ ص۱۱۸ ب۲ ح۲ جواز التوكى على أحد الرجلين).

. روى عن الإمام الحسن المجتبى ?أنه قال: ماكان فى الدنيا أعبد من فاطمة، ?كانت تقوم حتى تتورم قدماها (بحار الأنوار: ج۴۳ ص۷۶ ح۶۲ ب۲ أسماؤها وبعض فضائلها).?

. عن ابن عباس قال: لقد حجّ الحسن بن على ?خمساً وعشرين حجّة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه (مستدرك الوسائل: ج۸ ص۳۰ ب۲۱ ح۴ رقم۸۹۸۹).

. الإرشاد: ج۲ ص۸۹.

. بحار الأنوار: ج۴۴ ص۳۹۳ ب۳۷ رقم۱۷.

. بحار الأنوار: ج۴۸ ص۱۰۷ ب۵ عبادته ومكارم أخلاقه.?

. المصدر نفسه.

. مستدرك الوسائل: ج۱۱ ص۲۴۴ ب۱۵ ح۲۹.

. مثلاً ـ ذكر فى بعض الروايات أن بعض الأمور تورث الفقر مثل: التمشط وقوفاً أو ترك بيت العنكبوت فى البيت، ولعن الأمهات أولادهن ونحو ذلك، دون أن يبدو هنالك ارتباط واضح بين الفقر وهذه الأمور.

. لا يخفى أن هذه المعطيات قد تترتب على صلاة الليل بخصوصها وقد تترتب على عنوان عام يشمل صلاة الليل فلاحظ.

. مستدرك الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء فى جوف الليل.

. الكافى: ج۳ ص۴۸۸ باب النوادر.

. التهذيب: ج۲ ص۱۲۱ ب۸ ح۲۲۵.

. وسائل الشيعة: ج۸ ص۱۵۰ ب۳۹ رقم ۱۰۲۷۵.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۷ ب۳۳ ح۲۸ رقم۶۹۴۵.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۹۲ ب۲۲ فى فضل صلاة الليل.

. وسائل الشيعة: ج۷ ص۲۵۷ ب۹ رقم۹۲۶۸.

. مستدرك الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء فى جوف الليل ح۱ رقم۵۷۰۸.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۲ ب۳۳ ح۱۷ رقم۶۹۳۴.

. التهذيب: ج۲ ص۱۲۰ ب۸ رقم۲۲۲.

. المصدر نفسه.

. ثواب الأعمال: ص۴۲.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۶۱ ب۶ فضل صلاة الليل ح۵۳.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل ح۳۱.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. من لا يحضره الفقيه: ج۱ ص۴۷۳ باب ثواب صلاة الليل، رقم۱۳۶۷.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. نفس المصدر.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۶۱ ب۶ ح۵۳.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۱ ص۱۹۹.

. سورة طه، الآية: ۱۴.

. وسائل الشيعة: ج۱۰ ص۳۱۳؛ بحار الأنوار: ج۹۳ ص۳۵۶ ب۴۶.

. سورة النساء، الآية: ۱۹.

. سورة ص، الآية: ۳۵.

. بحارالأنوار: ج۷۲ ص۱۴ ب۵.

. بحارالأنوار: ج۷۴ ص۸۴.

. سورة المؤمنون، الآية: ۵۱.

. دعاء كميل من الأدعية المهمة وهو دعاء خضر ?علّمه الإمام أمير المؤمنين ?لكميل بن زياد ?فسمّى باسمه.
وحقاً أن هذه الأدعية الموجودة بين أيدينا نحن الشيعة كنوز لا يملكها الآخرون.

. الكافي: ج۸ ص۵۸.

. مستدرک الوسائل: ج۱۸ ص۲۵۸ ح۱۱.

. بحارالأنوار: ج۱۳۰ ص۲۰ ب۱۲.

. وهذا حال بعض الأفراد مع الأسف، وبعض التقصير يعود لنا، لأننا لم نعمل من أجل نشر التشيع وتعريف الناس بآل البيت، ?وإلا فإن أغلب مناطق إيران كانت سنية المذهب سابقاً، حتى أن العلاّمة المجلسي ?ينحدر من أسرة سنية، فقد كان أحد أجداده سنياً وهو أبو

نعيم الإصفهانى؛ إلّا أن الشيعة نشطوا فى إصفهان وبقية مناطق إيران وشيّعوها.

. سورة الأعلى، الآية: ۱۷.

. بحار الأنوار: ج۱۸ ص۲۱۴.

. سورة الإنسان، الآية: ۲۰.

. سورة النساء، الآية: ۷۷.

. سورة الرحمن، الآية: ۷۰.

. سورة الزمر، الآية: ۱۵.

. سورة التوبة، الآية: ۷۲.

. بحار الأنوار: ج۸ ص۱۴۰.

. شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد المعتزلى: ج۱۱ ص۱۵۳.

. سورة المؤمنون، الآية: ۱۰۰۹۹.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۸ ص۲۲۵.

. سورة طه، الآية: ۱۲۱.

. سورة البقرة، الآية: ۳۷.

. سورة القيامة، الآية: ۲.

. سورة البقرة، الآية: ۳۲.

. بحار الانوار: ج۹۴ ص۳۸ ب۵۵ فضائل شهر رجب.

. أو هو من العوامل الرئيسية فى ذلك. وهذه الملاحظة سارية فيما يأتى من الكلمات أيضاً.

. بحار الأنوار: ج۲۲ ص۳۹۸ ح۴.

. سورة النساء، الآية: ۱۰۰.

. سورة الفرقان، الآية: ۱.

. سورة الفتح، الآية: ۲۸.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. سورة سبأ، الآية: ۲۸.

. سورة البقرة، الآيـة: ۲۱ و۱۶۹، سورة النساء، الآيـة: ۱ و۱۷۰ و۱۷۴، سورة الأعراف، الآيـة: ۱۵۸، سورة يونس، الآيـة: ۲۳ و۵۷ و۱۰۴ و۱۰۸، سورة الحج، الآية: ۱ و۵ و۴۹ و۷۳، سورة لقمان، الآية: ۳۳، سورة فاطر، الآية: ۳ و۵ و۱۵، سورة الحجرات، الآية: ۱۳.

. الكافى: ج۲ ص۱۶۳ ح۱.

. سورة يوسف، الآية: ۸۷.

. الكافى: ج۲ ص۴۷۳.

. الكافى: ج۲ ص۴۷۳.

. بحار الانوار: ج۵۲ ص۱۲۶ ب۲۲.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۱۰۴ ب۷.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۹۴ ب۷.

. نهج البلاغة، خطبة الجهاد.

. مهج الدعوات: ص۶۸.

. بحار الانوار: ج۵۳ ص۲۲۴.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۰.

. سورة البقرة، الآية: ۲۱۷.

. من الخطط الاستعمارية إضعاف التجّار المسلمين لأن للتجار دوراً مهماً جداً فی الحياة.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۷۰.

. سورة يونس، الآية: ۸۷.

. الكافی للكلينی: ص ۴۲۶، وانظر: وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۷.

. بحار الأنوار: ج۶۸ ص۲۳ ب۶۱ الشكر.

. سورة الملك، الآية: ۳۰.

. سورة ق، الآية: ۲۲.

. بحار الأنوار: ج۹۹ ص۵۵.

. أی دخل الإمام الباقر علی أبيه الإمام السجّاد.?

. ويكفينا أن نعرف أنّه لقب بالسجّاد وزين العابدين.

. مهما يكن من أمر، فالإمام بشر (قل إنما أنا بشر مثلكم) يتألمّ ويصفرّ لونه، وهكذا حال كلّ العظماء، ولكن بعض الناس يتصوّر أن العظماء لا يتألمون، إننا نری اليوم كتاب وسائل الشيعة للحرّ العاملی بين أيدينا ولا نعرف مبلغ العناء الذی لقيه المؤلّف، فربما كان وراء كلّ كلمة فيه جهد وتعب، وربما كان الحرّ العاملی يكتب بعض كتابه وهو فی أقصی درجات الجهد والإعياء، وهكذا الحال مع موسوعة الجواهر وغيرها من الكتب الفقهية والحديثية.

. أی حميت.

. أی تقرّحت من كثرة المماسة والاحتكاك بالأرض بسبب كثرة السجود عليها لله تعالی.

. من السجود أيضاً.

. يعنی الإمام الباقر.?

. أی تلا أو طالع.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۹۱ رقم۲۱۵.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۲۳.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۹ ب۲۰.

. سورة التوبة، الآية: ۱۰۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۴۸.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۹.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۴۰.

. المراد من هذه العبارة وأمثالها: التصورات الظنية، علی التفصيل المذكور فی مباحث «الحجج» من علم الاصول.

. وهى إحدى القواعد أو الأصول العملية المهمة التى قد تترتب عليها آلاف الفروع الفقهية.

. فرائد الأصول.

. وسائل الشيعة: ج۲۷ ص۶۲ ب۶ الرقم۳۳۲۰۲.

. على الظاهر.

. سورة البقرة، الآية: ۱۰۲.

. الكافى: ج۶ ص۳۲۵ باب فضل الملح.

. سورة البقرة، الآية: ۲۴۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹